تاريخ المصريين ٢٣٦

مصر وفلسطين

فيما بين القرنين الحادى عشر والثامن ق.م

د. أحمد محمد عبد الحليم دراز



الهيئة المصرية العامة للكتاب

● تاريخ المصريين

رئيس مجلس الإدارة :

د. سمير سرحان

رئيس التحرير :

د. عبد العظيم رمضان

مدير التحرير :

محمود الجزار

تصدر عن

الهيئة المصرية العامة للكتاب



مصر وفلسطين

فيما بين القرنين الحادى عشر والثامن ق.م

د. أحمد محمد عبد الحليم دراز



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠٣

الاشراف الفنى :

محمود الجزار

تقـــديم

يسرني أن اقدم للقــارىء الكريم هذا الكتــاب عن « مصر وفلســطين » فيما بين (القرنين الحــادى عشر والثامن ق٠م) للدكتور أحمد محمد عبد الحليم دراز ، وهو فى الأصل رســالة علمية حصل بها صاحبها على درجة المــاجستير فى التاريخ القديم ، وبالتالى تتوافر فيه الشروط العلميــة التى تجعل منه دراســة تاريخية جديرة بالقراءة ٠

وهو ينقسم الى خمسة فصول ٠ الفصــل الأول وهو بعنوان « مصر وفلسطين قبيل القرن الحــادى عشر ق٠م » وتحدث فيه أولا عن الأحوال الداخلية لمصر من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، كما تحدث أيضــا عن الأحوال الخارجية لمصر وعلاقة مصر بغرب آســيا وشعوب البحر ، وثانيــا تعرض لجغرافيــة فلسطين السياسية وبدء الصراع بين الاسرائيليين والفلسطينيين ٠

أما الفصل الثانى وهو بعنوان « الانقسام المصرى والملكيــة الاسرائيلية » ، فقد تعرض فيه الى الأحوال الداخلية لمصر فى عصر الأسرة الحادية والعشرين من الناحيــة السياســية والاقتصــادية والاجتماعيــة ، وتعرض أيضــا الى الملكية الاسرائيلية ، وعلاقــة الاسرائيليين والفلسطينيين والأدوميين فى عصر الملكية ، كما تعرض لعلاقة مصر واسرائيل وزواج سليمان من أميرة مصرية ، وتنــاول الغزو المصرى لفلسطين ٠

وفى الفصل الثالث وهو بعنوان مصر وفلسطين من منتصف « القرن العاشر حتى نهاية القرن التاسع ق٠م » ، وتحدث عن قيام الأسرة الثانية والعشرين وأحوال مصر الداخلية من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية كما تحدث عن العبريين بعد سليمان ، وعوامل انقسام المملكة ٠ كذلك تعرض لمصر وفلسطين فى عهد وبعد شاشانق الأول حتى نهاية القرن التاسع ق٠م ٠

وقد تناول فى الفصل الرابع ، وهو بعنوان « مصر وفلسطين فى ظل السيادة الآشورية » الأحوال الداخلية فى مصر ، والغزو الكوشى ، وقيام الأسرة الخامسة والعشرين ٠ كذلك تناول الأحوال الداخلية فى فلسطين ، والسيادة الآشورية على بلاد الشام ٠

أما الفصل الخامس والأخير وهو بعنوان « التأثيرات الحضارية المتبادلة بين مصر وفلسطين » ، فقد تحدث فيه عن تبادل عبادة الالهة بين مصر وفلسطين ، والفكر الدينى ، والأدب ، والعمارة ، والفن ٠

وأملى أن ينتفع بهذه الدراسة الباحث المتخصص والقارىء المثقف ٠

رئيس التحرير

د٠ عبد العظيم رمضان

قائمــة الاختصــارات

A.E.O. :

Gardiner, A.H., *Ancient Egyptian Onomastica*, 2, Vols, Oxford, 1927.

A.J.S.L. :

American Journal of Semitic Languages and Literatures.

A.N.E.T. :

Pritchard, J, (ed) *Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament*, Princeton 1969.

A.O. :

Archiv Orientalni.

A.R.A.B. :

Luckenbill, D.D., *Ancient Records of Assyria and Rabylonia* 1926 — 7.

A.S.A.E. :

Annales du sérvice des Antiquités de L'Egypte.

B.A. :

Biblical Archaeologist.

B.A.R. :

Breasted, J.H., *Ancient Records of Egypt,* 5 Vols., Chicago, 1906 — 07.

B.A.S.O.R., :

Bulletin of the American Schools of Oriental Research.

B.I.F.A.O. :

Bulletin de L'Institut francais d'archedogie Orientale.

C.A.H. 3. :

Cambridge Ancient History, (3rd ed.). 2 Vols, 198[illegible]

C.d.E. :

Chronique d'Egypte.

J.E.A. :

Journal of Egyptian Archaeology.

J..E.S. :

Journal of Near Eastern Studies.

P.E.Q. :

Palestine Exploration Quarterly.

P.M. :

Porter B, and Moss, R., *Opographical Bibliography of Ancient Egyptian Hieroglyphic Texts, Reliefs and paintings,* 7 Vols., Oxford, 1927 — 57.

Third Intermediate :

Kitchen, K.A., *The Third Intermediate Period in Egypt (1100 — 650 B.C.)* 2nd edition, Warminster, 1986.

V.T. :

Vetus Testamentum.

Z.A.S. :

Zeitschrift für Agyptische Sprache und Altertumskunde.

مقدمـــة

كان الدرس الذى تعلمته مصر من احتلال الكهسوس درسا قاسيا ، فلما جاء يوم الخلاص واستطاعت طرد العدو من البلاد ادرك أحمس ، الذى تتبع فلولهم فى فلسطين ، أنه لا اطمئنان لمصر الا بالقضاء عليه ، فحاصر مدينة « شاروحين » (تل الفراعنة) ثلاث سنوات حتى سقطت فى يده .

راى المصريون أن الخطر قد جاءهم من الحدود الشرقية ، فأخذوا يبعدون كل خطر محتمل عن تلك الحدود ، وقادهم النصر الى نصر على أيدى فراعنتها المحاربين ، حتى دانت لمصر بلاد الشام حتى أعالى نهر الفرات ، وانتشرت الحاميات المصرية فى المدن المختلفة ، وأقام الموظفون المصريون فيها ، كما كثرت زيارات زعماء البلاد لمصر عندما كانوا يأتون بالجزية أو لتحية الجالس على العرش ، فازدادت معرفتهم بمصر وثقافتها ودينها كما زادت معرفة مصر ببلادهم وأقبلوا على بعض مظاهر الحضارة فيها .

كانت هذه الامبراطورية تحتاج دائما الى نفقات ، وتحتاج دائما الى جيوش للحفاظ عليها ، فمن المعروف ان الناس فى كل زمان ومكان يقدسون حريتهم ، ولهذا فكثيرا ما قامت الثورات بين شعوب غرب آسيا ، وكان على الفراعنة أن يسارعوا باخمادها ،

كما كان عليهم أن يكثروا من ارسال الهدايا الثمينة الى الحكام الموطنيين ليضمنوا ولاءهم ويحولوا دون خروجهم على حكم مصر ٠

سارت احوال الامبراطورية فى فلسطين وسوريا بين مد وجزر ، فمن صراع مع الميتانيين فى أعالى الفرات خلال النصف الأول من الأسرة الثامية عشرة الى قتال مع حيثيى آسيا الصغرى خلال النصف الثانى من الأسرة الثامنة عشرة والنصف الأول من الأسرة التاسعة عشرة ، الى دفاع مستميت عن مصر ذاتها ضد هجمات الجماعات الليبية من الغرب وشعوب البحر من الشرق والغرب فى أواخر الأسرة التاسعة عشرة وبدايات الأسرة العشرين ، مما أنهك قوى البلاد الاقتصادية وبدأت مصر تنسحب داخل حدودها وشغلت بأحوالها الداخلية المضطربة وبدأ العمال يضربون عن العمل لعجز الخزانة عن دفع المرتبات ، وارتفعت الأسعار ، ومرت على مصر فترات كادت تتفكك فيها وحدتها ، ثم لا تلبث أن تقوم من كبوتها ، كان لكهان آمون فى تلك الأيام الكلمة العليا والثروة المكدسة ، وزاد تأخر البلاد وضاعت هيبة مصر فى آسيا وفى رحلة (ونأمون) خير دليل على تلك المأساة ، ولكن رغم زوال نفوذ مصر السياسى ظل لها بعض نفوذها الدينى والثقافى ٠

كانت فلسطين فى تلك الوقت قد عادت الى ما كانت عليه ، من تقسيمها الى دويلات صغيرة ، ثم نشأت مملكة العبريين تحت حكم بيت « داود » فى جزء من فلسطين وجاورهم « البلست » والكنعانيون/الفنيقيون والادرميون والمؤابيون ، وبالرغم من أن مصر لم تكن فى قوتها القديمة فانها كانت ذات أثر فعال فى توجيه سياسة فلسطين ، وكان سليمان على صلة كبيرة بمصر حتى أنه تزوج من أميرة مصرية ، وقد لعبت مصر بعد موته دورا كبيرا ازاء ما أصاب دولته من شقاق ، ولم تنجح دويلة من دويلات فلسطين فى البقاء ، الا من كانت تساندها مصر وتضفى عليها حمايتها ٠

ضعفت الأسرة الحادية والعشرون وتلتها الأسرة الثانية والعشرون ، فأعاد بعض ملوكها الكرة على فلسطين ، ونجحوا فى استعادة نفوذ مصر هناك ولو الى حين ، فى ذلك الوقت كانت آشور قد بدأت تدخل فى دور جديد ، وراحت ترمي بأبصارها نحو سوريا وفلسطين ، وكان لابد لها ان تصطدم بمصر اذا نجحت فى تنفيذ سياستها .

فى ذلك الوقت كان يحيط بمصر خطر آخر من جهة الجنوب ممثلا فى مملكة « نباتا » التى بدأت ترنو ببصرها نحو شمال الوادى ، وتم لها ما أرادت فى عهد الملك « باى » وفى عهد خلفائه من أسرته حدث الصدام بين مصر وآشور وانتهى الأمر بوقوع مصر فريسة لحكم الآشوريين .

رغم تشابك العلاقة بين مصر وفلسطين فى هذه الفترة ، فانها لم تحظ بما تستحقه من اهتمام ولم تقدم عنها حسب علمنا ، دراسة مستقلة بذاتها ، وانما اقتصر الأمر على دراسات متفرقة فى الكتب والأبحاث التي تناولت تاريخ مصر وتاريخ بلاد الشام القديم كل على حدة وتناولت علاقة مصر ببلاد الشام أو غرب آسيا ككل ، وحتى اذا اقتصر البعض على فلسطين ، تناول شعبا واحدا من شعوبها المتعددة ، وربما ترجع صعوبة دراسة علاقة مصر وفلسطين ككل الى أن الأخيرة كانت دائما مسرحا لسلسلة من الهجرات والغزوات مما حال دون وجود فرصة لاقامة دولة قوية مستقرة ، ويرجع ذلك فى المقام الأول الى موقع فلسطين الجغرافى والذى جعلها بمثابة ميدان للمطامع والمنافسات التجارية والسياسية والحربية للدول الكبرى المحيطة بها فى مصر وبلاد الرافدين وآسيا الصغرى ، لذلك كان من الصعب تناول فلسطين كدولة ذات سيادة وحضارة متميزة حيث كانت حضارتها خليطا

من حضـارات الشعوب التى استقرت فيها ، بالاضافـة الى تأثير حضارتى مصر وأرض الرافدين •

من هنا اقترح على أستاذى عمل دراسـة عن العلاقـة بين مصر وفلسطين ككل بحدودها الجغرافيـة وشعوبها التى استقرت فيها ، وكانت هذه هى الفكرة التى من خلالها تم اختيـار موضـوع هذا البحث مع قصر مداه الزمنى على أربعـة قرون « من القرن الحـادى عشر حتى القرن الثـامن ق•م » ، وهـذه الفترة تمثل تقريبا ما اصطلح المؤرخون على تسميته (عصر الانتقال الثالث) التى لم تكن بأى حـال فترة زاهيـة فى تاريخ مصر ، مما أتـاح لدويلات فلسطين وغيرها فرصـة الاستقلال ، وهنا أردنا أن نبرز محاولات مصر رغم ضعفها الاقتصـادى والسـياسى والعسـكرى ، استمرار سيطرتها على فلسطين ، مما يوضح اهمية الأخيرة لحماية حدود مصر من ناحية الشرق •

وقد اسـتعان الباحث بالمنهجين الوصفي التحليلى والمقـارن متوخيا قدر الامكان الحيطة والحذر فى استخلاص النتائج التى ليس لها سند مصـدرى وقد جاءت الدراسـة فى خمسة فصـول مرتبة فى معظمها ترتيبا زمنيا على النحو التالى :

الفصـل الأول : مصر وفلسطين قبيل القرن الحـادى عشر ق•م •

الفصـل الثاني : الانقسـام المصرى والملكيـة الاسرائيليـة (من القرن الحادى عشر حتى منتصف القرن العاشر ق•م) •

الفصـل الثالث : مصر وفلسطين من منتصف القرن العـاشر حتى نهاية القرن التاسع ق•م •

الفصل الرابع : مصر وفلسطين فى ظل السيادة الآشورية (بداية القرن الثامن حتى الرابع الأول من القرن السابع ق٠م) ٠

الفصل الخامس : التأثيرات الحضارية المتبادلة بين مصر وفلسطين ٠

تناول الباحث فى الفصل الأول الأوضاع فى مصر وفلسطين قبيل القرن الحادى عشر ق٠م ، فتعرض لأحوال البلدين الداخلية وانعكاسها على العلاقات الخارجية ، فتعرض لحالة مصر الاقتصادية والاجتماعية وما آلت اليه من انهيار وأسباب ذلك وانعكاسه على حالتها السياسية مما أدى الى ضياع سلطة الفرعون وازدياد نفوذ الكهنة ، وتأثير هذه الأحوال ذاتها على سياسة مصر تجاه غرب آسيا ، وفقدانها لاملاكها هناك ، ثم موقف مصر من شعوب البحر ونجاح « مرنبتاح » و « رمسيس الثالث » فى وقف تقدمهم صوب مصر ، وان سمح الأخير لبعض قبائلهم بالاستقرار فى بقاع من مصر وفلسطين ، مما سيكون له أكبر الأثر على المجتمع المصرى فيما بعد ٠

اما فلسطين فقد تناول الباحث جغرافيتها السياسية ، موضحا أهم الشعوب التى استوطنتها خلال تلك الفترة ، متتبعا تاريخ كل شعب ومناطق نفوذه ، ومحاولة كل منها مد سيطرته على حساب الآخر مما سيكون سببا لاندلاع الصراعات فيما بينها ٠

فى الفصل الثانى عالج الباحث الانقسام المصرى وقيام الملكية الاسرائيلية ، فتعرض لأحوال مصر الداخلية خلال عصر الأسرة الحادية والعشرين موضحا استمرار تدهورها الاقتصادى والاجتماعى وانعكاس ذلك على حالتها السياسية ، حيث انقسمت مصر واقعيا الى مملكتين ، « بيت نسبا نب جد » فى الشمال

وعاصمتها « تانيس » ، وبيت « حريحور » فى الجنوب وعاصمتها « طيبة » ، وأوضح الباحث سياسة كل من البيتين تجاه الآخر واثر هذه السياسة على وحدة العرش المصرى ، وأثر هذه الأحوال الداخلية على سياسة مصر تجاه فلسطين ٠

اما فلسطين فقد استعرض الباحث عوامل قيام الملكية الاسرائيلية ، ومفهومها فى اسرائيل مع محاولة مقارنة هذه الملكية بملكية بلاد الرافدين لابراز ما تميزت به الملكية الاسرائيلية وما أخذته عنها ، ثم أوضح الباحث الصراع بين الاسرائيليين والفلسطينيين ، وبين الاسرائيليين والآدوميين مبينا أسبابه وشارحا نتائجه ، وموضحا موقف مصر منه ، وأخيرا تناول الباحث علاقة مصر السياسية باسرائيل وزواج سليمان بأميرة مصرية موضحا اهمية هذه الزيجة ونتائجها للجانبين المصرى والاسرائيلى ، واختتم هذا الفصل بغزو مصر لفلسطين فى عهد الملك « سيأمون » صهر سليمان ٠

فى الفصل الثالث ناقش الباحث علاقة مصر بفلسطين من منتصف القرن العاشر حتى نهاية القرن التاسع ق٠م ، وتشير بداية هذا الفصل الى قيام الأسرة الثانية والعشرين حيث تناول الباحث أحوال مصر الداخلية فى عصر هذه الأسرة مبرزا وحدة مصر الشكلية فى عهد مؤسسها وأثر ذلك على سياستها تجاه فلسطين حيث كانت حملة « شاشانق الأول » ، فأبرز الباحث أسباب هذه الحملة ونتائجها ، وما أصاب مصر من انقسام بعد موت قائدها ٠

أما فلسطين فقد تعرض الباحث لأحوال العبريين بعد سليمان وانقسام مملكتهم واستعادة ممالك أخرى فى فلسطين لسيادتها مثل

« أدوم » وغيرها مما هيأ الفرصة لنجاح حملة شاشانق الأول على فلسطين ٠

وقد تناول الباحث فى الفصل الرابع علاقة مصر بفلسطين فى ظل السيادة الآشورية ، فتعرض لأحوال مصر الداخلية وما أصاب وحدتها السياسية من تفتت والذى مر بمراحل تاريخية متباينة سواء فى مصر العليا أو السفلى ، وانعكاس هذه الأوضاع على مركز مصر بين جيرانها ووقوعها فريسة لهؤلاء الجيران خاصة الكوشيين من جهة الجنوب ، لذلك ألقى الضوء على قيام مملكة نباتا ومحاولة ملوكها مد نفوذهم شمالا صوب مصر وموقف « تف نخت » من هذا الغزو ، ونتائج ذلك ثم تعرض الباحث لأحوال فلسطين الداخلية وما نشب بها من صراعات بين ممالكها المختلفة مما أعطى الفرصة لقوة آشور الطاغية من بسط سيادتها على بلاد الشام فى عهد « تيجلات بيلسر الثالث » ثم مواصلة كل من « سرجون » الثانى وابنه « سناحريب » ما بداه سلفهما من توطيد سيطرتهما على بلاد الشام ، وموقف مصر من الغزو الآشورى، ثم ناقش الباحث باسهاب مشكلة الملك (؟) سوا ، مفندا بعض الآراء ومؤيدا بالأدلة بعضها الآخر واختتم الفصل بالغزو الآشورى لمصر ذاتها على يد « اسرحدون » ووقوع مصر فريسة للحكم الآشورى ٠

أما الفصل الخامس والأخير فقد أفرده الباحث للتأثيرات الحضارية المتبادلة بين مصر وفلسطين من خلال خمس نقاط ، الأولى تبادل عبادة الالهة بين مصر وفلسطين حيث ذكر الباحث بعض الالهة الفلسطينية التى عبدت فى مصر وارتبطت ببعض الالهة المصرية لاتفاقهما معها فى طبيعتها وبعض الالهة المصرية التى عبدت فى

فلسطين ، أما النقطة الثانيــة فهى ، الفكر الدينى حيث تنــاول الباحث الفــكر الدينى فى بلاد الشرق الأدنى القديم بصفة عامــة وما تميزت به مصر عن غيرها ، وما انفرد به العبريون فى فكرهم الدينى عن بقيــة شعوب الشرق الأدنى وهل كان لمصر أثر فى هذا ؟ ، وقد تنــاول الباحث ذلك التــأثير من خــلال أنشودة اخنــاتون والمزمور ١٠٤ ، والسحر ، أما النقطة الثالثة فهى الأدب وقد تضمن الشعر وأدب الحكمــة وقد أبرز الباحث أثر مصر الواضح فى هذين المجالين على فلسطين من خلال ابراز مميزات الشعر المصرى واقسامه ومقارنة ذلك بالشعر الكنعــانى والشعر العبرى ، ثم عقد الباحث مقارنة بين حكم « أمنمؤبى » الحكيم المصرى وأشهر أدب للحكمة فى فلسطين ممثلا فى سفر الأمثال العبرى · أما النقطــة الرابعــة لتوضيح أثر التبادل الحضــارى بين مصر وفلسطين فهى العمــارة حيث ظهر تأثير مصر الواضح على فلسطين فى هذا المجال ولتوضيح ذلك تناول الباحث دراســة المعبد المصرى تخطيطه وأهم اقسامه ، ومقارنة ذلك بماوجد فى فلسطين من معــابد لابراز أوجــه الشبه والاختلاف · ونظرا للعثور على بقايا أعمدة وتيجانها فى فلسطين ، تناول الباحث نشأة الأعمدة فى مصر وتطورها لمقارنتها بما وجد فى فلســطين · أما الجــانب الأخير الذى يوضح التأثير الحضــارى المتبادل بين مصر وفلسطين فهو الفن بجوانبــه المختلفة ، النحت والتصوير والفنون الأخرى ، وقد تناول الباحث نحت التماثيــل وحفر الصور البارزة والتصوير بالألوان ·

وأخيرا لابد من أن نرد الفضل الى أهله ، حيث اننى مدين فى اعداد هذه الرســالة الى كل من قدم العون والمســاعدة فى انجازها وأخص بالذكر أستاذى الجليل الأســتاذ الدكتور/ جاب الله على جاب الله الذى شرفنى بالاشراف على رســالتى وقدم لى من العون والجهد والوقت ما تتضاءل أمامه الكلمات ، فلست أحسب أن هناك

من الكلمات أو العبارات ما يمكن أن يوفى سيادته بعضا من حقه على ، فلقد كان لى شرف تلقى العلم على يدى سيادته منذ السنة التمهيدية للماجستير ، ومنذ ذلك الوقت تعهدنى برعايته ولم يضن على بجهد أو وقت ، فوقف بجانبى ناصحا وموجها ومرشدا ، وامدنى بالعديد من المراجع العلمية النادرة التى تعذر الحصول عليها ، فكان سيادته لى أبا ومعلما وأستاذا لمست فيه حنان الأب وصرامة الأستاذ ، واننى مهما فعلت فلست بمستطيع ان أوفى سيادته بعضا من حقه أو أرد له جزءا من فضله فجزاه الله عنى خير الجزاء .

كما أتقدم بعظيم الشكر والعرفان بالجميل للدكتور/ محمد على سعد الله ، مدرس التاريخ القديم بكلية الآداب جامعة الزقازيق فرع بنها ، لتفضله بالاشتراك فى الاشراف على الرسالة وبما أسداه لى من نصائح علمية وما قدمه من عون صادق ، فالله أسأل أن يجزيه عنى خير الجزاء .

كما أتقدم بعظيم الشكر والتقدير للدكتور/ أحمد محمود صابون أستاذ التاريخ القديم المساعد بكلية التربية جامعة الاسكندرية فرع دمنهور على ما قدمه لى من ارشادات وما زودنى به من مراجع مهمة فالله أسأل أن يجزيه عنى خير الجزاء .

ولا أنسى أن أتوجه بالشكر لأساتذتى وزملائى فى كلية الآداب جامعة المنوفية .

والله ولى التوفيق ،

الفصـــل الأول

مصر وفلسطين قبيل القرن الحـادى عشر ق٠م

أولا ـ مصـــــر

مقدمـــة :

١ ـ الأحوال الداخليـة ٠

(أ) الحالة الاقتصادية والاجتماعية ٠

(ب) الحـالة السياسـية ٠

٢ ـ الأحـوال الخارجيـة ٠

(أ) مصر وجنوب غرب آسيا ٠

(ب) مصر وشعوب البحر ٠

ثانيـــا ـ فلســـطين

١ ـ جغرافية فلسطين السياسية ٠

(أ) الكنعانيون ـ الفنيقيون ٠

(ب) الآدوميـــون ·

(جـ) المؤابيـــون ·

(د) العبرانيـــون ·

(هـ) الفلســطينيون ·

٢ ــ بدء الصراع بين الاسرائيليين والفلسطينيين ·

أولا ــ مصـــر

مقدمـــة :

عند تناول أحوال مصر قبيل القرن الحادى عشر ق٠م يكون المقصود فى الحقيقة تناول أحوالها قرب نهاية عصر الدولة الحديثة ، وقد اتسمت هذه الفترة بتأرجح البلاد بين مظاهر الضعف واسباب الانحـلال من ناحيـة ومحاولات اعـادة النظـام والأمن اليها من ناحية أخرى ٠

تضـافرت مجموعة من العوامل الداخليـة لتسير بمصر نحو الضعف والانحلال فمن الناحيـة الداخلية تدهورت أحوال البـلاد الاقتصادية والاجتماعية ، وانعكست آثار هذا التدهور فى اضرابات العمـال فى عهد « رمسيس الثـالث » وفى سرقات المقابر فى عهـد « رمسيس التاسع » كما تدهورت سلطة الفرعون حتى صار مجرد رمز لا حول له ولا قوة فى ادارة شـئون البلاد وفى مقابل ذلك ازداد نفوذ الكهنة وخاصـة كهنة الاله آمون بمعنى أن ما فقده الفرعون من سلطة ونفوذ آل الى الكهنـة حتى أصبحت كل أمور البلاد فى أيديهم ، وانعكس ذلك بدوره فى الثورات والحروب الأهليـة التى اجتاحت مصر خلال تلك الفترة الى جانب المؤامرة التى استهدفت الفرعون « رمسيس الثالث » ونعنى بها مؤامرة الحريم ٠

اما عن الأوضـاع الخارجية والحالة التى آلت اليها سـلطة مصر ونفوذ الفرعون خارج حدودها فيمكن أن تكشف عنها رحـلة « وناموں » وما لقيه من متاعب ومحن عندما ذهب الى سورية لاحضار الأخشاب لبناء القارب المقدس للاله « آمون » ٠

والحقيقة أننا لا نستطيع أن نفصـل أحد هـذه العوامل عن الآخر فكلها متشابكة ومتداخلة ويؤثر الواحد فى الآخر ويتأثر به ، فالأحوال الاقتصادية تؤثربالضرورة على حالة المجتمع السياسـية والاجتماعيـة وفى نفس الوقت تتأثر بهمـا وتنعكس بدورها على أحوالها الخارجية أما بالسلب أو الايجاب ٠

الأســرة العشــرون

الأحـوال الداخليـة

(أ) الحالة الاقتصادية والاجتماعية :

كانت مصر قرب نهايـة عصر الدولة الحديثـة تمر بأزمـة اقتصادية طاحنة وأحوال اجتماعية متفسخة ، وكان وراء ذلك العديد من العوامل الداخلية والخارجية التى أحاطت بها خلال تلك الفترة ٠

اســتنزفت خيرات مصر الحروب المتكررة التى خاضتهـا فى الشرق والغرب ضد « شعوب البحر » كما سـيأتى ذكره ، فضلا عن ذلك فقد كان للهبات التى أغدقها فراعنة الدولة الحديثـة وعلى الأخص الفرعون « رمسيس الثالث » على معـابد الآلهـة المختلفـة وخاصـة معبد الاله آمون « بطيبة » أكبر الأثر على أحوال مصر الاقتصادية ، فتذكر بردية « هاريس » أن دخل هذه المعابد وحدها بلغ ما يعادل ٦٢ كيلو جراما من الذهب و ١١٨٩ كيلو جراما من

الفضـــة و ٢٨٥٥ كيلو جراما من النحـــاس ، وأن مراعيه كانت تأوى ٤٢٣٦٢ رأســـا من المـــاشية الكبـــيرة والصغيرة ، أهـــداه « رمسيس الثالث » منها ٢٨٣٣٧ رأســـا دفعة واحدة ، كما بلغ دخل معابد مصر حينذاك نحو مائة ألف مكيال من الغـــلال واستأثرت بخيرات ١٦٩ مدينة وقرية فى مصر وخارجهـــا ، وامتلكت أكثر من ٨٨ سفينة ونحو ٥٠ ترســـانة لصناعة السفن واصلاحها ، وتراوحت مساحة مزارعها بين ١٢ ، ١٥٪ من أراضى مصر الزراعية(١) ٠

كان على تلك المعابد أن تســـاهم بنصيب فى خزينـــة الدولة نتيجة لمـــا هو مفروض عليهـــا من ضرائب حيث كانت أملاك هذه المعابد معفاة من السخرة وغير معفاة من الضرائب ولكن تولى عائلات كبار الكهنـــة للوظائف المهمة فى الدولة خاصـــة المـــالية جعل من الميسور لهم أن يتصرفوا فى مالية الدولة كما يشاءون فلا يدفعون الضرائب اذا أرادوا ، ومن الأمثلة التى توضح سيطرة عائلات كبار الكهنة على الوظائف المهمة أنه فى عهد « رمسيس الرابع » كان « رمسيس نخت » كبيرا لكهنـــة آمون فى الوقت الذى كان أبوه « مرى بارست » رئيسا لمـــأمورى الضرائب ، بينما تولى اثنان من أبنائه وظيفتين من آهم الوظائف فى البلاد فكان ابنه « نس آمون » كبيرا لكهنة آمون من بعده وابنه « وسر ماعت رع نخت » كبيرا لمـــأمورى الضرائب والمشرف على أراضى الملك(٢) ٠

علاوة على ذلك فرغم الأزمة الاقتصادية التى كانت تعانى منها مصر فى تلك الفترة فقد زاد الفراعنـــة (خاصـــة فراعنة الأسرة العشرين) من شـــدتها عندما أسرفوا فى اقامة المنشآت المعماريـــة ، فحفروا مقابر ضخمة على غرار من سبقوهم فى العصـــور المستقرة الغنية ، وهناك نص من العام الثالث للملك « رمسيس الرابع » فى وادى الحمامات يسجل استحضار حجر فاخر من محجره المشهور

وهذا أمر طبيعي ولكن اذا علمنا أن عدد المكلفين بهذا العمل بلغ ثمانية آلاف عامل اتضح لنا ضخامة العمل الذى قطعت هذه الأحجار من أجله(٣) • كما تعتبر مقبرة « رمسيس السادس » من أضخم مقابر « طيبة » وأحفلها بما تصوره من تصورات عصرها عن الآخرة وأربابها(٤) •

ومن العوامل الرئيسية التى أثرت على أحوال مصر الاقتصادية ، انها فقدت امبراطوريتها فى آسيا ، حيث أن مصر كانت تعتمد على آسيا فى الحصول على المعادن الى حد كبير ، خاصة الفضة والحديد ، وزاد الأمر سوءا تغير الاقتصاد العالمى فى ذلك الوقت ، حيث حل عصر الحديد محل عصر البرونز فكان على مصر أن تعدل اقتصادها القومى ، والمعروف أن تعديل الاقتصاد القومى لأمة من الأمم على أساس معدن جديد أمر عسير ، خاصة اذا كانت تلك الأمة هى المسيطرة على المعدن القديم ولا تملك المعدن الجديد ، فاحتاجت مصر الى وقت طويل ومجهودات مضنية لتواجه هذه الحالة الجديدة(٥) •

والأكثر من ذلك أن مصر فقدت سيطرتها على مناطق التعدين القديمة خاصة فى سيناء فكان اسم « رمسيس السادس » هو آخر الاسماء التى دونت فى « سرابيط الخادم » وتراجعت حدود مصر حتى أصبحت تمتد فى أقصر الطرق بين البحرين المتوسط والأحمر(٦) • ربما كان موضع قناة السويس فى الوقت الحاضر •

وقد ترتب على هذه الحالة الاقتصادية المتردية ، أن أصبحت مصر تعانى ما يمكن أن يوصف بتضخم اقتصادى فارتفعت أسعار الغلال من دبن واحد لغزارة القمح فى بداية الأسرة العشرين الى خمسة دبنات فى عهد « رمسيس السابع » ولكن انخفضت هذه

الأسعار فى نهاية القرن الثانى عشر ق٠م فأصبح الغراوة من القمح والشعير دبنين فقط(٧) ٠

فى نفس الوقت استمر التفاوت بين طبقات المجتمع فى مستويات المعيشة مما أدى الى اضطراب أحوال مصر الاجتماعية ، اضف الى ذلك استقرار العناصر الأجنبية فى مصر فكان من الجائز ان يمتلك أحد الأجانب أرضا ويزرعها سواء أكان ضابطا فى الجيش او موظفا مدنيا ، كما كان أغلب هؤلاء الأجانب جنودا مرتزقة فى الجيش ، فعندما توقفت الحملات الحربية التى كانوا يشتركون فيها فقدوا مصدر رزقهم فأصبحوا يتعيشون على السلب والنهب من المواطنين المصريين(٨) ٠

الى جانب ذلك يمكن القول بأن زيادة عدد الأجانب فى القصور الفرعونية كان من العوامل التى أثرت فى أحوال مصر الاجتماعية ، حيث زادت الزيجات من أجنبيات ، وازدادت أعداد الجوارى واحتوت القصور الى جانب الجوارى أعدادا من الحشم عملوا خدما وسقاة ووصفاء فيها(٩) حتى تسللوا الى مخدع الفرعون ذاته ٠

فاذا كانت الأوضاع على نحو ما مر بنا فلا غرابة اذا رأينا حالة الحكومة مضطربة مزعزعة ووجد الموظفون ما يغريهم على العمل لحسابهم الشخصى بدلا من أن يعملوا لمصلحة الدولة ، فكان أكثرهم طموحا يعرف كيف ينتزع بوضع اليد بعض ممتلكات « آمون » التى كانت قد اتسعت فى عهد « رمسيس الثالث » كما أن فرق الجند المرتزقة كانت دائما على استعداد لأن تشن الغارات وتكون أداة للشغب والتمرد ، بينما فعلت المؤامرات السياسية فعلها فى تخريب الخدمات العامة فتدهورت المحاصيل الزراعية وكثرت المجاعات ، وانساق صغار القوم وراء كبارهم فى أعمال السلب والنهب(١٠) ٠

ومن أبرز الوقائع التى تصــور أوضاع مصر فى تلك الفترة ، وما آلت اليه أحوالها من انتشار الفوضى واختلال الأمن والنظام ، يسوق الدارس واقعتين على سبيل الاستشهاد ، هما :

- اضرابات عمال دير المدينة التى وقعت أيام حكم رمسيس الثـالث •

- سرقات المقابر التى حدثت فى أيام حكم رمسيس التاسع •

اضرابات عمال دير المدينة :

كان هؤلاء الرجــال الذين عملوا فى نحت وزخرفــة مقــابر الفراعين أبعد النــاس عن أن يكونوا أقل رعايا الفرعون حظــا ، بل ان كثيرا ما ارتفع بعضهم الى مراكز مهمة فى الدولة ، وكان من المتبع أن يستمر العمل طوال أيام السنة ، ويمنح العمال كل شهر عطلة ثلاثة أيام كانت تقع فى أيام العاشر والعشرين والثلاثين ، فضلا عن اجازات أخرى فى المناسبات الخاصــة بأعياد الالهة الكبرى ، وكانوا يتقاضــون أجورهم حبوبا من قمح وشعير ، كما كانوا يمنحون فى مناسبات خاصة مكافآت من الفرعون(١١) •

كانت هذه فى الواقع أحوال عمال المقابر الملكية قبل النصف الثانى من عهد الملك « رمسيس الثالث » ولكن فى العام التاســع والعشرين من حكم هــذا الفرعون نسمع عن أول اضراب لهم وكان لهذا الاضراب وما تلاه من اضرابات أخرى ما يبررها ، اذ تأخرت مقرراتهم أكثر من شهرين ويوضح ذلك أن صيحتهم الأولى كانت « نحن جائعون » ولعل ما شجعهم على سلوك سبيل الاضراب صلتهم بالوزير « تــو » الذى كان بيده أعمــــال الفرعون ، والذى كان يرتبط بعمال « طيبة » برباط الأصل حيث كان والده « امنمحات »

كاتبا من كتاب الجبانة ، ولذلك يميل « ادجرتون » الى القول : ان عمال طيبــة فى مطالبتهم العنيفة بمقرراتهم كانوا يعتمدون على قريبهم المشهور الوزير « تــو » ويستفيدون منه(١٢) .

وترجع هــذه الاضرابات أيضــا الى فســاد الموظفين وتفشى الرشوة والسرقة داخل الجهاز الحكومى ، والمنازعات السياســية التى بدأت تظهر فى أخريات عهد « رمسيس الثالث » والتى نتج عنها اضطراب الأمن مما جعل الحكومة تفشل فى امداد عمال دير المدينة بمقرراتهم .

وليس هنــاك من داع للدخول فى تفاصــيل هذه الاضرابات فما يهمنا منها هو دلالتهــا ، فقد تزعزعت ثقة العمــال بالفرعون وحكومته ، فبعد أن كانوا يقولون عن الفرعون فى الاضراب الأول « فلترسلوا الى مولانا الطيب فرعون » نراهم فى الاضراب الثالث (والذى وقع فى العام ٢٩ ، الشهر السابع) يعرضــون بشخص الفرعــون ويتمردون على رؤســائهم فى تحد ظاهر ، حتى انهم فى الاضراب الرابع وجهوا للوزير تهمة الاستيلاء على مقرراتهم ، ويتضح ذلك من قول الوزير « وتقولون لا تأخذ منا مقرراتنا »(١٣) .

سرقــات المقــابر :

اذا كانت اضرابات العمال وما صحبها من أحداث تبرز الأحوال الاقتصادية المتردية وعجز خزانة الدولة عن الوفــاء بمسئولياتها تجاه الأعمال المهمة فان الجرائم التى ارتكبت فى تلك الفترة من تاريخ مصر لتشير الى مدى الانهيــار والتفكك الاجتمــاعى اللذين أصابا البلاد ولعل أشهرها سرقات المقابر الملكيــة ، فالمعروف أن العوز والطمع يدفعان فى أغلب الأحيان الى الجريمة ، خاصة اذا وجد ما يغرى بها ، ففى تلال « طيبــة » الغربيــة دفن المصريون

كنوزا من الذهب والفضـــة ويوضـــح ذلك ما وجـد فى مقبرة « توت عنخ آمون » والتى حفظهاالزمان من السلب والنهب ومن أروع ما وجد فيها قناعه الذهبى وتوابيته الثلاثة التى شكلت على هيئته ، فصيغ الداخلى منها من الذهب الخـالص وصفح الآخران بالذهب وطعما بأحجار شبه كريمـة ثم مقعد عرشـه وصندوقـه الخاص ومجموعة رائعة من تماثيله المعدنيـة الصغيرة ، وتماثيل بعض أفراد أسرته ، ومجموعات من أدوات الزينة والأوانى المرمرية الشفافة ، وقد غطيت عجلاته الحربيـة وسرادقاته الخشبية بصفائح من الذهب ، فاذا كان ذلك ما وجد فى مقبرة فرعون قصير الأجل مضطرب العهد ، فلاشك أن ثراء مقابر أسـلافه ولاحقيه العظـام كان أجل وأعظم(١٤) ، ونفس الأمر يمكن أن يقال عن مقابر كبار الأفـراد .

كان الاغراء بسلب هذه المقتنيات شديدا فى كل وقت ، ولكن طالمـا مادام الحـكومة قوية ساهرة على حفظ النظـام ، ومادام رجالها أمنـاء فان هذه المقـابر كانت فى أمان ، فاذا ما ضعفت الحـكومة وفسـد رجالها تستباح الحرمات ، ومع ذلك لم تنتشر سرقات المقـابر فى الأسرة العشرين الا عنـدما أشرفت الدولة على الهـلاك ، نتيجة الضعف الذى ألم بهـا فحدث التضخم المـالى وانتشر الجوع والفقر وعجز رجـال الشرطة عن ايقـاف عصابات الأجانب عند حدها ، كمـا انعدم الشـعور باحترام أملاك الدولة واحترام قدسية المقابر التى كانت الدار الأبدية ، وعلى هذا كان لابد من انتشار سرقة هـذه الكنوز المكدسـة ، وبدأ اللصـوص بمقابر الأفراد ثم تعدتها بعد ذلك الى مقـابر الملوك ، وقد أجريت التحقيقات وحوكم اللصوص(١٥) .

ولكن رغم ذلك استمرت السرقات دون رادع وظل الموظفون المسـئولون فى وظائفهم خـلال تلك السنين الطويلة لقد أظهرت

سرقات المقابر أيام الأسرة العشرين مدى تراخي الموظفين فى تأدية واجبهم ولربما كانوا يجنون نفعا خاصا من تلك السرقات ، وأوهموا الناس بأن العدالة لاتزال قائمة ، وذلك بإجراء تلك المحاكمات الصورية مما يوضح هبوط الروح المصرية واختفاء المثل العليا .

(ب) الحالة السياسية :

أدت الأحوال الاقتصادية والاجتماعية وما آلت اليه من سوء الى اضطراب أحوال مصر السياسية قرب نهاية الدولة الحديثة ، وكانت سرعة تتابع ملوك هذه الفترة مظهرا وسببا لهذا الاضطراب، أما كونها مظهرا فقد لمسنا ذلك فى الفترة القصيرة بين « رمسيس الثالث » و « رمسيس الحادى عشر » حيث تولى سبعة ملوك فى فترة لا تزيد على نصف القرن ، أما كونها سببا فان سرعة تتابع الملوك على العرش يعنى تلاحق السياسات مما لا يعطى الفرصة للنضج ، فمن المعروف أن استقرار الدولة مرهون باستقرار السياسة التى تسير عليها ، كما أن سرعة تتابع الملوك على العرش يعنى أن الجالس على العرش لا يستطيع حماية نفسه من ادعياء الملك ، فاذا كان الفرعون غير قادر على حماية نفسه فانه لا يستطيع من باب أولى أن يوفر الحماية لأفراد رعيته ، فاضمحلت سلطة الفرعون وفقد هيبته الالهية ، وليس من شك فى أن اضمحلال سلطته على هذا النحو كان من شأنه أن يزعزع فى نفس الأفراد احترامهم له والذى كان حجر الزاوية بالنسبة للأمن الداخلي الذى ضاع تماما فى تلك الفترة فكانت اضرابات العمال وسرقات المقابر ، كما أن النهايات الغامضة لملوك تلك الفترة لدليل واضح على اضطراب الأحوال الأمنية ، كما أن سرعة تتابع الملوك على العرش كانت سببا ومظهرا للصراع بين طوائف المجتمع المختلفة ، فالحكام

لا يتصارعون بأشخاصهم وانما بأحزابهم وكل صراع على العرش فرصة يغتنمها الكهنة ورجال الجيش حيث يحاول هؤلاء وغيرهم أن يستفيدوا منها قدر ما يستطيعون ، فاذا ما فاز أحد الأفراد بالعرش فتح باب الانتقام من أعدائه بابعادهم عن وظائفهم أو محو أسمائهم من آثارهم الى غير ذلك من ألوان الانتقام ومما يدل على الاضطراب السياسى فى تلك الفترة ، قيام أحد وزراء الملك « رمسيس الثالث » بتمرد ضده كان مركزه « اتريب » (بنها الحالية) ولكنه لم ينجح واستطاع الفرعون القضاء عليه وعزل هذا الوزير الذى لم يعرف اسمه(١٦) ٠

وهناك مثال آخر على اضطراب الأحوال السياسية والأمنية فى مصر خلال تلك الفترة ونقصد بها تلك المؤامرة التى هددت حياة الفرعون « رمسيس الثالث » والمعروفة بمؤامرة الحريم(١٧) ٠

اما فى عهد رمسيس الخامس أو السادس فهناك ما يشير الى نشوب حرب أهلية فى مصر ، فقد حوت بردية لكاتب المقبرة الملكية اشارة لأعداء يعتقد أنهم مصريون اذ لو كانوا أجانب لاختار الكاتب دلالات ملائمة كما فعل الكتاب الآخرون عند الغزو الليبى ، وقد دمر هؤلاء الأعداء موقعا يدعى « برنبيت » وهو موقع يصعب تحديد مكانه ، ولكن استدعاء رجال الحرس من اقليم جنوب طيبة يشير الى أن هؤلاء الأعداء لم يأتوا من الجنوب وانما من الشمال ، فاذا قارنا هذا بما جاء فى بعض أجزاء بردية « تورين » نرى احتمال أن يكون هؤلاء الأعداء من معارضى الملك الجديد سواء أكان رمسيس الخامس أو السادس وهذا يعنى نشوب عصيان مسلح(١٨) ٠

وفى عهد الملك « رمسيس الحادى عشر » قامت ثورة ضد « امنحتب » كبير كهنة « آمون » وثورة أخرى قام بها « بانحسى »

نائب الملك فى النوبة (وهذا ما سنوضحه عند الحديث عن ازدياد نفوذ كهنة آمون) • •

بالاضافة الى ما سبق تعتبر زيادة سلطة الموظفين وفساد اقسام الحكومة المختلفة سببا فى اضطراب الأحوال السياسية فى تلك الفترة ، فرغم انتقال العرش من ملك الى آخر ، احتفظ بعض الموظفين بمناصبهم ، فقد ظل الوزير « نفر ـ رنبوى » فى منصبه فى العام الثانى لحكم « رمسيس الرابع » وحتى نهاية حكم « رمسيس السادس » كما ظل وزير الخزانة « منتيمتوى » من نهاية حكم « رمسيس الثالث » حتى نهاية العام الأول من حكم «رمسيس السادس » وحدث هذا مع ساقى الملك « كدرن »(١٩) ، مما قد يشير الى تضخم سلطة كبار الموظفين على حساب سلطة الملك نفسه •

ازدياد نفوذ الكهنة :

كان من تداعى الأحداث فى تلك الفترة أن تبع تدهور سلطة الفرعون ازدياد سلطة الكهنة خاصة كهنة الاله « آمون » ، فمادامت سلطة الفرعون قوية ، فان نفوذ كهنة آمون أو كهنة غيره من الالهة لا تشكل خطرا عليها ، ولكن مع تغير الأحوال خلال النصف الثانى من الأسرة الثامنة عشرة ،ولا سيما بعد فشل دعوة « اخناتون » الدينية زاد نفوذهم السياسى وأصبحوا يكونون دولة داخل الدولة فأحس فراعنة الأسرة التاسعة عشرة بما لكهان آمون من بأس ، ومن هنا بدأوا يعملون على اضعافهم ، فوزعوا مظاهر عقيدتهم بين أرباب البلاد الكبرى « رع ـ حر ـ اختى » اله « هليوبولس » و « بتاح » اله « منف » و « ست » اله فراعنة الأسرة التاسعة عشرة ، ولم يعد الاله آمون الا واحدا من الأرباب(٢٠) •

علاوة على ذلك فقد انتزع منصب كبير كهنه طيبة من رجال الدين المحليين حيث قام رمسيس الثانى بتعيين «نب ـ وننف» كاهنا أكبر لآمون بعد ان كان كاهنا أكبر للاله « أوزير » فى « ثنى » وللالهة « حاتحور » فى « دندرة » وقد برر رمسيس الثاني هذا التعيين بمهارة حيث اعتبر اختياره من قبل الالهة(٢١) ، من هذا يتضح ان العوامل السياسية قد لعبت دورا كبيرا فى هذا التعيين ، حيث أن « نب ـ وننف » لم يكن من كهان طيبة فظهر رمسيس الثانى على انه صاحب الرأى الأول فى اختيار وتعيين كبير كهنة آمون أو عزله ، ولو استمر الرعامسة فى اتباع هذه السياسة لتمكنوا من موازنة نفوذ كهنة آمون بنفوذ كهنة الالهة الأخرى ، ولكن رمسيس الثالث نبذ تلك السياسة وقدم خيرة قرابينه لاله الكرنك « آمون » ، وربما كان وراء ذلك ورع حقيقى من جانب الفرعون ، أو رغبة منه فى أرضاء الكهنة ودفع اذاهم ، وأيا ما كان السبب فان رمسيس الثالث أسرف كثيرا فى هباته للالهة وبخاصة « آمون »(٢٢) ، وكان ذلك من أسباب الأزمة الاقتصادية التى مرت بها البلاد كما سبقت الاشارة(٢٣) ، كما كانت زيادة ثروات كهنة الاله آمون من عوامل زيادة نفوذهم ، ومن المظاهر التى توضح ازدياد نفوذ كهنة الاله آمون أنه فى عهد الملك « رمسيس الرابع » نرى « رمسيس نخت » على راس كهانة آمون ثم سرعان ما نراه على راس عائلة من الموظفين الرسميين الذين سيطروا على جميع الوظائف المهمة فى الدولة .

كان رمسيس « نخت » ابنا ل « مرى ـ تارست » رئيس كهان مدينة الأشمونين ورئيس الاستقبال الخاص بمبانى الملك فى مدينة « هابو » ورئيس جباة الضرائب ، وكان اصحاب هاتين الوظيفتين يشرفون على موارد الدولة ، وربما كان لقوة مركز أثر

فى تعيين ولده « رمسيس نخت » كبيرا لهكنة آمون رع فى الكرنك والذى ظل يشغل هذه الوظيفة طوال أيام رمسيس الرابع والخامس والسادس وربما بعد ذلك ، وقد تولى اثنان من أبناء « رمسيس نخت » وظيفتين من أهم وأكبر الوظائف فى البلاد ، فأصبح ابنه « نس آمون » كبير لكهنة آمون من بعده بينما صار الابن الآخر « وسر ماعت رع نخت » كبيرا لمأمورى الضرائب والمشرف على أراضى الملك ، وبذلك صار الملك أسيرا فى يد الكهنة(٢٤) .

وعندما تولى « أمنحتب » منصب كبير كهنة آمون انتحل سلطات لم يستطع أحد من رعايا الفرعون أن يتطاول اليها من قبل ، فقد كان الفرعون يصور بحجم كبير يزيد فى نسبته كثيرا على جميع المصريين الآخرين الذين لم يكونوا غير أفراد من البشر ، ولكننا نجد « آمنحتب » مصورا بنفس ارتفاع قامة الفرعون ، ويقف أمامه وجها لوجه ، ويتسلم هدايا ملكية قدمها اليه صف طويل من الجنود الملكيين ، وهكذا انقلب الحال فاصبحت هذه الهدايا تعطى للكهنة لضمان سلامة العرش المصرى واطالة الحكم الفرعونى ، ويتضح من ذلك المركز المتساوى بين الفرعون وكبير كهنة آمون فى كافة الحقوق السياسية والدينية بل والاقتصادية ، حيث سمح الفرعون لمعبد آمون بجباية أمواله مباشرة وحل الكاهن الأكبر محل الفرعون فى جبايتها(٢٥) .

ظل « أمنحتب » فى منصبه الى أن قامت ثورة ضده فى عهد « رمسيس الحادى عشر » حيث تولى « حريحور » منصب كبير كهنة آمون(٢٦) .

وهناك ما يشير الى ثورة أخرى قام بها « بانحسى » نائب الملك فى « كوش » ويرى بعض المؤرخين انه من المستحيل الربط

بين الثورة ضد « أمنحوتب » وثورة « بانحسى » حيث ذكرت بردية Mayer A ان بعض اللصوص قتلوا على يد « بانحسى » وأهلك آخرون فى حرب المقاطعة الشمالية كما جاء فيها أيضا أن « بانحسى » عصف بمدينة « حار داى » وهى عاصمة الاقليم السابع عشر من اقاليم مصر العليا(٢٧) كما كتب اسم « بانحسى » فى هذه البردية بطريقة تجزم بانه كان عدوا للموالين لمدينة « طيبة »(٢٨) ، ويرى آخرون أن ثورة « بانحسى » لايمكن تفسيرها الا على أساس انه وجيوشه قد تدخلوا ضد كبير الكهنة ، واحتلوا « طيبة » وما جاورها ، ثم تقدموا الى مصر الوسطى وربما أبعد من ذلك الى الشمال مقتفين أثر كبير الكهنة وجيوشه وأن رمسيس الحادى عشر قبل تدخل « بانحسى » بوصفه الوحيد القادر على كبح جماح كبير الكهنة « أمنحتب » مما يشير الى تدهور الأمور فى مصر وضياع سلطة الفرعون(٢٩) معنى ذلك أن الفريق الأول اعتبر تدخل « بانحسى » تمردا ضد العرش ومحاولة للوصول اليه أما الفريق الآخر فيرى أن تدخل « بانحسى » كان من أجل الفرعون ومساعداته ضد « أمنحتب » فاذا كان « رمسيس الحادى عشر » ظل يحكم أثناء احتلال « بانحسى » لمدينة « طيبة » فان هذا يوضح أن تدخله كان ضد كبير الكهنة فقط ، ولكن يبدو أن تدخل « بانحسى » كان من أجل نفسه فى المقام الأول ، اذ يحتمل ان « أمنحتب » أراد نتيجة ازدياد سلطته وقوته فى مصر ان يفرض سيطرته على النوبة ، ومن المحتمل ان هذا الصراع قد خلص « رمسيس الحادى عشر » من شخصيتين كانتا تمثلان خطرا على الفرعون حيث اننا لم نعد نسمع عن أى منهما ، حيث ولى « حريحور » منصب كبير كهنة « آمنون » والذى وصل اليه عن طريق مركزه العسكرى وزواجه من

« نجمت » ابنه « حريره » كبيرة محظيـات آمون وربما زوجـة « أمنحتب »(٣٠) •

تلقب « حريحور » بألقاب كثيرة مثل قائد الجيش ، أو القائد الأعلى لجيش مصر العليـا والسفلى ونائب الملك فى كوش ، وربما كان هذا اللقب الأخير مما أملته ضرورات العصر ، حيث انه من غير المحتمل أن يكون « حريحور » مارس الحكم فى النوبة(٣١) • ومن ألقابه كذلك حامل المروحة على يمين الملك ، وكاتب الملك ، والمشرف على خزائن الفرعون وبحكم سيطرته على ادارة مصر الداخليـة حمـل لقب رئيس المدينـــة ، وكذلك حمـل « حريحور » لقب وزيـر(٣٢) •

ومما يدل على ازدياد نفوذ الكهنة فى عهد هذا الكاهن ظهوره فى معبد « خونســو » فى مناظر كانت قاصرة على الفرعون ، حيث ظهر « حريحور » وهو يمارس طقوس حرق البخور أمام قارب المعبود أثنـاء تحـركه ، ولكن حـديث الاله كان موجهـا للملـك « رمسيس الحـادى عشر » ثم وجد على أربعـة من بين الأعمدة الثمانية التى تشغل وسط البهو ، مناظر للكاهن « حريحور » وهو يمارس طقوسـا أمام الثالوث الطيبى ، ثم نجد اسم « حريحور » وحده بعد أن أغفل شخصية الملك تماما ، وعندما أضاف « حريحور » بهوا خارجيا ظهر فيه واضعـا على جبهته الصـل الملكى بل والتاج المزدوج فوق رأسـه وان ظل يرتدى زى الكاهن الأكبر وانتحل الألقاب الكاملة للفرعون ، وهذا ما دفع بعض المؤرخين الاعتقـاد ان « حريحور » قد ارتقى العرش بعد موت « رمسيس الحـادى عشر »(٣٣) •

ولكن هنـاك ما يثبت ان « حريحور » لم يمت فقط قبـل « رمسيس الحادى عشر » بل انه لم يخلع الفرعون عن عرشـه

أبدا ، وانما استمر يحكم طيبة تحت سلطان الفرعون الذى كان رغم نفوذه الضعيف هو ملك مصر كلها ، فهناك منظر ونص منقوشان بمعبد الكرنك يصوران وحيا من ذلك النوع الذى أخذ يزداد منذ ذلك العصر(٣٤) ، فقد لزم تعيين كاتب للمخازن فى الكرنك ، وقدم اسم من يدعى « نس ـ آمون » وتمت موافقة الاله عن طريق الايماءة الكبرى ، وأهمية هذا الحدث ترجع الى شخصية الكاهن الأكبر الذى وضع السؤال وأيضا تاريخ النص ، أما التاريخ فهو العام السابع من عصر النهضة (اعادة الولادة) فاذا كان العام الأول من « اعادة الولاة » يقابل العام التاسع عشر من حكم رمسيس الحادى عشر (٣٥) ، فان العام السابع يقابل العام الخامس والعشرين من حكم هذا الفرعون ، واما الكاهن الأكبر فهو حامل المروحة على يمين الملك ابن الملك فى كوش ، الكاهن الأكبر لآمون رع ملك الالهة قائد الجيش « بعنخى » و « بعنخى » هذا هو الابن الأكبر لكبير الكهنة « حريحور » ومادام من غير المعقول أن يكون « حريحور » قد تنحى عن رياسة الكهانة خلال حياته ، فان معنى ذلك انه مات قبل السنة السابعة من « اعادة الولاية » وبما العام السادس منها وهو ما يقابل العام الرابع والعشرين من حكم « رمسيس الحادى عشر » وبما ان هذا الفرعون حكم تسعا وعشرين عاما ، اذا فقد توفى « حريحور » قبله بحوالى خمس سنوات .

وهناك ثلاث برديات هيراطيقية ذكرت « حريحور » دون أن تضع اسمه داخل خرطوش أو تعطيه لقب ملك ، الى جانب أن « ونأمون » فى رحلته الى « جبيل » أشار الى « حريحور » باعتباره سيده ، ولم يشر اليه على انه ملك مصر ; والأكثر من ذلك أن « بعنخى » ابن « حريحور » قد مات قبل «رمسيس الحادى عشر » بحوالى عام أو بعض عام حيث انه ترك منصبه

لابنه الأصغر فى العام العاشر من اعادة الولاة أى العام الثامن والعشرين من حكم « رمسيس الحادى عشر »(٣٦) .

مما سبق يتضح أن ملكية « حريحور » لم تتعد نقوش معبد « خونسو » اما خارجه (وبخاصة فى نظر الادارة) ظل « حريحور » كبير كهنة آمون ، وهكذا يمكن القول بأن الكهانة قد وصلت الى درجة كبيرة من السلطة والنفوذ ولكنها لم تكن هى السبب فى أن يصبح « حريحور » هو السيد الآمر الناهى فى أخريات ايام « رمسيس الحادى عشر » وأن يورث هذه السلطة لأسرته من بعده ، وانما يرجع ذلك فى غالب الأمر الى القوة العسكرية ، ورغم ذلك لم يكتب للكاهن الأكبر « حريحور » أن يجلس على عرش مصر وان انتحل الألقاب الملكية ، ولكنه ربما كان يمارس من السلطان أكثر مما كان للفرعون الحقيقى « رمسيس الحادى عشر » .

مما سبق يتضح لنا مدى تدهور أحوال مصر الاقتصادية والاجتماعية والسياسية أى احوالها الداخلية قرب نهاية الدولة الحديثة ، فكان لابد أن ينعكس ذلك على أحوالها وسياستها الخارجية .

٢ ـ الأحوال الخارجية

(أ) مصر وغربى آسيا :

كان انحسار نفوذ مصر الخارجى من العوامل التى أدت الى تدهور أحوالها الداخلية قرب نهاية الدولة الحديثة ، ففقدت امبراطوريتها فى آسيا الغربية ، والتى كانت قد كونتها فى مرحلة شباب الدولة الحديثة ، خلال النصف الأول من عصر الأسرة

الثامنة عشرة وظلت محتفظة بها حتى النصف الأول من عهد الملك « أمنحتب الثالث » ، ولكن سرعان ما بدات الأمور تتغير فى أخريات أيام هذا الملك بعد أن ترك سياســة آبائه فى الخروج من حين لآخر الى أطراف دولته ليرهب المتربصــين بها من الدول المجــاورة فشجع هذا دولة الحيثيين على العبث بالحدود الســورية كما جعل بعض الأمراء المحليين فى أطراف الامبراطورية يتطلعون للاســتقلال وتكوين دويلات صغيرة مستقلة ، ثم عجلت سياســة « أمنحتب الرابع » (اخناتون) بانهيــار النفوذ المصرى فى ســوريا الشمالية والوسطى بل ووصــل الانهيار الى فلســطين ، ويتضح ذلك من رسائل الاستغاثة التى بعث بها الأمراء الموالون لمصر (المعروفــة برسائل العمارنة) للضرب على أيدى الخارجين عليها ، فكان نصيب هذه الرسائل الاهمال وصم الآذان(٣٧) .

حاول ملوك الأسرة التاسعة عشر استعادة نفوذ مصر فى آسيا فوجه (ستى الأول » عدة حمــلات اليها ، ورغم انه لم يحرز تقدما محسوســا فى سورية الا انه نجح فى فرض هيبــة مصر فى فلسطين ، وحــاول « رمسيس الثــانى » أن يتم ما بداه والده فى ســورية الشمالية فاصطدم بالحيثيين وحدثت معركة « قادش » وما تلاها من حروب(٣٨) ، وفى عهد « مرنبتــاح » أصبحت الامبراطوريــة الحيثية على وشــك الانهيار ، وبدأت آســيا الصغرى وشــمال سوريا تتعرض لهجمات « شعوب البحر » وفى نفس الوقت تعرضت مصر للخطر الليبى وشــعوب البحر من جهــة الغرب ، ولكن « مرنبتاح » استطاع أن ينقذ حدود مصر الغربية ، ثم قضى على الثورة التى قامت فى آســيا وكان لعناصر شعوب البحر أثر كبير فى تلك الثورة ، ويتضح ذلك مما جاء على لوحة النصر :

« الأمراء منبطحون يصرخون طالبين الرحمــة ، وليس بين الأقواس التسعة من يرفع رأسه ، لقد دمرت أرض التحنو ، خاتى

هادئة ، كنعان قد استلبت في قسوة ، عسقلان تم الاستيلاء عليها وجازر قد أخذت ، ينعم كأن لم تكن ، اسرائيل اقفرت وليس بها بذرة خارو غدت أرملة لمصر ، وكل من تمرد رده الفرعون »(٣٩) .

وكما سبقت الاشارة ، تعرضت حدود مصر الغربية لغزو قبائل « الليبو » التى اندفعت نحو الحدود المصرية ، ويرجع المؤرخون هذا الزحف لأسباب كثيرة أهمها اقتصادية ، حيث ان شعوب البحر عندما أخضعت « كريت » أصبحت الخليفة الحقيقى للتجارة البحرية الكريتية ، وعندما فكر هؤلاء فى الاتجاه جنوبا كان الشاطىء الافريقى عند برقة أقرب اليهم من اى نقطة أخرى ، ومن هنا نشأت علاقات ودية بين شعوب البحر وليبو برقة فضلا عن أن النشاط التجارى المصرى كان قد قل وانحسر فى تلك الفترة ، وعلى ذلك فمن المحتمل ان النضال من أجل تجارة البحر المتوسط كان الدافع الذى جعل شعوب البحر تنضم لليبيين فى حروبهم ضد مصر(٤٠) .

حيث انضم لليبيين خمسة من تلك الشعوب هم طلائع الهجرة الكبرى التى سيقدر لها أن تنزل على مصر وفلسطين من الشمال والغرب فى عهد « رمسيس الثالث » (انظر فيما بعد ص ٣٠) وتمكن « مرنبتاح » من هزيمة الغزاة وأنقذت الحدود الغربية .

خلف « مرنبتاح » على عرش مصر ملوك ضعاف انشغلوا بالتنافس على العرش دون الاهتمام بالبلاد نفسها ، ومن ثم فقد سادت الاضطرابات وعمت الفوضى(٤١) ، وأدى ذلك الى تقدم شعوب البحر نحو الجنوب ، ووجد الليبيون الفرصة لتنظيم أنفسهم ووقع عبء هؤلاء وأولئك على عاتق « رمسيس الثالث » ثانى ملوك الأسرة العشرين .

مع بداية الأسرة العشرين كانت مصر ماتزال تحتفظ ببعض ممتلكاتها فى الشام حيث عثر على تمثال للفرعون « رمسيس الثالث » فى بيت « شان » وآخر فى « مجدو » كما انه بنى معبدا للاله آمون فى فلسطين (٤٢) وقد تمكن « رمسيس الثالث » أيضا من القضاء على ثورة فى « أمورو » ولكن التهديد الأشد عنفا فى تلك الفترة والذى هدد الكيان المصرى كان من شعوب البحر فى الشمال والشمال الشرقى ، ومن الليبيين من جهة الغرب ، وتصف لنا النصوص المصرية تحرك هؤلاء المهاجرين كما جاء على لسان « رمسيس الثالث » نفسه حيث يقول :

« قامت البلاد الأجنبية بمؤامرة فى جزرهم ، وقد زعزعت المعركة البلاد وبعثرتها كلها فى وقت واحد ، ولم تكن هناك أرض تستطيع أن تقف أمام أسلحتهم ابتداء من خاتي وقودي وقرقميش وأرزاوا والاسيا •• أقيم معسكر فى مكان فى أمورو ابتلعوا شعبها وارضها فاصبحوا كان لم يكن لهم وجود من قبل ، ثم جاءوا واللهب معد امامهم متقدمين نحو مصر وكان حلفهم مكونا من بلست وثكر وشكلش ودانو ووششمتحدين جميعا ووضعوا آيديهم على البلاد كلها الى محيط الأرض وقلوبهم تردد فى ثقة ، لقد نفذنا خطتنا ، ولكن قلب هذا الاله سيد الالهة كان مستعدا ومجهزا لاقتناصهم بالطيور ، لقد دعمت حدودى فى جاهى ، وأعددت أمامهم الأمراء المحليين وقواد الحاميات والمريانو ، وأمرت بأن يجهز مصب النهر كسور قوى السفن الحربية والسفن المسطحة والزوارق التى كانت معدة اعدادا تاما من مقدمتها حتى مؤخرتها بالشجعان من الرجال الذين يحملون اسلحتهم ومن المشاة من خيرة المصريين الذين كانوا كالأسود المزمجرة فوق الجبال ، اما العربات فكان بها المحاربون الاكفاء وكل الضباط الممتازين ذوى الأيدى القادرة ،

وكانت خيولهم ترتعد فرائصها مستعدة لسحق البلاد الأجنبية تحت حوافرهــا » .

ثم يقارن رمسيس نفسه بعد ذلك بإله الحرب « مونتو » ويعلن ثقتــه في قدرته على انقــاذ جيشــه « **أما عن أولئك الذين وصــلوا الى حدودى فليست فيهم بذرتهم ... قلوبهم وارواحهم انتهت الى الأبد ... أما أولئك الذين تقدموا من جهــة البحر .. كان اللهب الكامل أمامهم عند مصاب النهر وكان سياج من الحراب يحيط بهم على الشاطىء** »(٤٣) .

وقد صور الفنانون المصروين انتصــار « رمسيس الثالث » على شعوب البحر برا وبحرا على الجدار الشــمالى لمعبد مدينــة « هابو »(٤٤) ، معنى ذلك أن « رمسيس الثالث » قد نجح فى القضاء على الاخطـار التى هددت مصر من ناحيــة الشمال والشمال الشرقى أما من جهة الغرب فقد تمكن من الانتصــار على الليبو بعد أن حاولوا دخول مصر واكتفى بكسر شــوكتهم وترك بعض قبائلهم تعيش على حدود مصر الغربيــة تحت سيطرتها وأبقى على من كانت مصر تستخدمهم من جنسهم فى جيشها(٤٥) ، ثم تجددت مشــكلات الليبين والمــاشواش وانضمت اليهم قبــائل من شــعوب البحر ، حيث استغلوا انشغال « رمسيس الثالث » بالحرب فى الشمال واخترقوا الدلتا فى العــام الحادى عشر من حكمه ووصــلوا الى ما وراء الفرع الكانوبى ، وشتتوا أمامهم جماعات « التحنو » سكان الواحات الأصليين ، فاشتدت القوات المصرية عليهم وأحبطت مشاريعهم(٤٦) وبذلك استطاع « رمسيس الثالث » أن يحــافظ على حدود مصر الغربيــة من الأخطار الا أن خلفاءه ، لم يتمكنوا من الاســتمرار فى المحافظــة عليها بسبب ضعفهم ، وتفشى الفســاد والرشوة داخل الجهــاز الحكومى ، كما أصبح الموظفون ورجــال

الجيش الأجانب يشكلون قوة جديدة فى الدولة ، الى جانب الأزمة الاقتصادية(٤٧) ، معنى ذلك ان الأحوال الداخلية والخارجية لم تساعد هؤلاء الملوك فى المحافظة على ما تبقى من الامبراطورية المصرية ، وليس هناك دليل واضح على أن مصر احتفظت بسلطانها كاملا على فلسطين وسورية بعد « رمسيس الثالث » صحيح انه عثر على جعارين للملك « رمسيس الرابع » فى « تل الصافى » و « تل جازر » وللملك « رمسيس السادس » فى تل اسنة « بسورية » كما عثر على قاعدة تمثال من البرونز للملك « رمسيس السادس » فى مجدو(٤٨) • الا أن وجود هذه الآثار الصغيرة لا يدل على استمرار الحكم المصرى فى غربى آسيا •

وفى تقرير « ونأمون » عن رحلته الى « جبيل » خير دليل على زوال السيادة المصرية عن الشام(٤٩) ، حيث يتضح منه ان الحاكم الفينيقى رغم اعترافه بما تدين به بلده لمصر من العلوم والحضارة ، وما كان لها من سلطة ونفوذ على بلاده فانه يقول : **« حقا أن « آمون » أسدى الخير لكل البلاد ــ كما لمصر التى أتيت منها ــ حين أسداه اليها قبل غيرها لأن دقة الحرف فيها قد وصلت الى مقرى والعلم قد جاء منها الى حيث أقيم »** •

كما أنه جادل بأن مصر لم يكن لها سلطات على أبائه وأجداده من قبل عندما ذكر أن ما قدمه أباؤه وأجداده من خشب لقارب « آمون » كان مقابل ثمن دفعه الفراعنة •

« فى الحق أن قومى قد أنجزوا هذا الأمر بعد ان أمر فرعون بارسال ست سفن محملة بالبضائع المصرية أفرغوها فى مخازنها•• وأنت بما جئت لى شخصيا ؟ وأمر أن يؤتى بسجلات أبائه وان تقرأ محتوياتها أمامى ••وقد وجد بها أنه دفع ألف دبن من الفضة

سلعا من كل نوع فقال لى : اذا كان حاكم مصر سيد أملاكى وكنت أنا خادمه أيضا لم يكن لزاما عليه أن يرسل فضة أو ذهبا حين يقول : نفذ أمر آمون على انها ليست هدية ملك التى أعطوها والدى وانا كذلك لست خادمك ولا خادم من أرسلك » .

ينضح من تقرير « ونأمون » أن حاكم جبيل لم يعطه خشبا لا بعد وصول رسل من مصر (بناء على طلب ونأمون) حاملين بعض أوانى فضية وذهبية وبعض الأقمشة الكتانية ولفافات من البردى وجلودا وحبالا ، ويبدو أن حاكم « جبيل » لم يكن يريد ثمنا للأخشاب بقدر ما أراد أن يعامل معاملة الند وليس التابع ، فلو أرسلها دون أن يأتى من مصر شىء فربما أعتقد حكام مصر انها مفروضة عليه ولكنها تبدو الآن فى شكل آخر ، فهى بمثابة تجارة بين بلدين وليست بين حاكم وتابع .

كما يوضح هذا التقرير وجود خط ملاحى بين « جبيل » و « تانيس » ووجود تجار سوريين فى الموانىء المصرية ، كما يلاحظ أيضا أن « ونأمون » لم يرتكن فى محادثته مع حاكم « جبيل » الا على الأمور الدينية المحضة ، ولم يتعرض لأمر سياسى ، وهذا يتفق مع علاقة مصر بآسيا وقتئذ ، وما آلت اليه أحوال القطر المصرى ، حتى أن أمير « جبيل » عندما كان يتكلم عن الحضارة المصرية ، كان يذكر حاكم مصر ولم يستعمل لفظ فرعون الا اذا أراد الماضى دليل عدم اعترافه بمن يحكم مصر فى ذلك الوقت ، وهكذا صار « ونأمون » يطلب من الحاكم الفينيقى ما يلزمه من الخشب قائلا له : **« ان تمثال آمون الذى معه يطيل عمره ، ويهب له الصحة اذا هو أنجز مهمته »** ، بمعنى آخر فان تقرير « ونأمون » عن رحلته الى « جبيل » يوضح أحوال مصر وفلسطين وسورية الداخلية ، والعلاقات التجارية والمعتقدات

الدينية وطبيعة العلاقات السياسية بين مصر والساحل الغربي لبلاد الشام(٥٠) ٠

(ب) مصر وشعوب البحر :

أسلفنا أن انحسار نفوذ مصر الخارجي يرجع للعديد من العوامل منها الداخلي(٥١) ومنها الخارجي(٥٢) وزاد الأمر سوءا مجيء هجرات آرية أشاعت التوتر فى الشرق ، خرجت من مواطنها الأولى فى بداية القرن الرابع عشر ق٠م وتسللت الى الحوض الشرقى للبحر المتوسط واختلطت بسكان جزره وسواحله اختلاطا جزئيا ، وعمل رجالها مرتزقة عند من يجزل لهم العطاء من أمم الشرق ، ثم رنت بعض طوائفهم الى الشواطيء الجنوبية للبحر المتوسط فى أواخر القرن الرابع عشر ق٠م ، وقد عرفتهم النصوص المصرية ومن ثم العلماء المعاصرون باسم شعوب البحر ، وكان لهؤلاء أكبر الأثر فى انحسار نفوذ مصر الخارجي ، ففى بداية القرن الثاني عشر ق٠م نرى جحافلهم وقد دارت حول البحر الأسود ووصلت الى البلقان ودفعت أمامها الشعوب التراقية والفرنجية والأرمينية والميسينية الى آسيا الصغرى ، فانقضت بدورها على دولة الحيثيين فهزمتها وقضت عليها وقد هاجرت شعوب أخرى من تلك التي جلت عن ديارها فى أوربا وركبت السفن وأخذت تجوب البحر المتوسط باحثة عن أوطان جديدة فاستقر بعضها على الشاطيء الشمالى لافريقيا ، والبعض الآخر فى جزر البحر المتوسط أو على شواطئه الشرقية وأصبحوا خطرا كبيرا على مصر عندما أخذوا يهاجمونها من حدودها الغربية فى عهد « مرنبتاح »(٥٣) ، ثم زاد خطرهم عندما هاجمت مصر من البر والبحر فى وقت واحد فى عهد الملك « رمسيس الثالث » الذى تمكن من الانتصار عليهم فى الشرق والغرب(٥٤) ٠

أما عن شعوب البحر ، فيرى الباحث التحدث عنها ببداية ظهورها فى المصادر المصرية ، واهمية دورها فى أحوال الشرق الأدنى القديم عامة وانحسار نفوذ مصر الخارجى بصفة خاصة ، والجدول التالى يوضح ذكر هذه الشعوب طبقا للمصادر المصرية :

الشعب	رسائل العمارنة	نصوص قادش	مرنبتاح	رمسيس الثالث	ملاحظات
دانونا	×	—	—	×	
لوكا	×	×	×	—	
شردن	×	×	×	×	
بدشا (بتاشا)	—	×	—	—	
دردانا	—	×	—	—	
ماشا	—	×	—	—	
قرقاشا	—	×	—	—	
عرونا	—	×	—	—	
بلست	—	—	—	×	جاءت صور للبلست فى مناظر معركة قادش دون ذكر لاسمهم
تورشا	—	—	—	×	
شكلش	—	—	×	—	
تكر	—	—	—	×	
وشش	—	—	—	×	

جاء ذكر الدانونا فى رسائل العمارنة وان لم يرد فى نصوص معركة قادش ولا ضمن الشعوب المتحالفة مع الليبيين ضد « مرنبتاح » ، ثم جاء ذكرهم فى قائمة شعوب البحر التى ذكرها رمسيس الثالث حيث يقول عنهم : (**الذين فى جزرهم**)(٥٥) ، ومن ثم فان موطن « الدانونا » القديم هو « شرق كليكيا » وهى الجزر التى تحدث عنها رمسيس الثالث ، وعاش « الدانونا » هناك حتى القرن التاسع ق٠م ، وكانت قوتهم سببا فى ازعاج جيرانهم « أمانوس » و « ملامو » فى «سمال »(٥٦) ، كما جاء ذكر اللوكا لأول مرة فى رسائل العمارنة ، وقد انضموا الى « قرقش » و « ماشا » فى تحالف « الويلوشا » ضد « رمسيس الثانى » فى معركة قادش(٥٧) ، وقد أتوا أساسا من طروادة قبل حربها ، وكانوا من الشعوب التى اشتركت فى الحرب ضد « مرنبتاح »(٥٨)، وقد عرف الشردن كمرتزقة من السجلات المصرية فى عهد « أمنحتب الثالث » كما ظهروا فى رسائل العمارنة كقراصنة ، وتمكن « رمسيس الثانى » من أسر عدد كبير منهم (ربما فى معركة بحرية قبل معركة قادش) ، واستخدمهم فى معركة « قادش » كما انهم كانوا ضمن شعوب البحر فى حربهم ضد « مرنبتاح » ، وفى عهد « رمسيس الثالث » أصبحوا يباشرون زراعة أرض خاصة بهم ، كانت بمثابة مكافآت منحت لهم نظير خدماتهم الحربية(٥٩) ، ويرجح ان الشردن هم الذين اعطوا اسمهم فيما بعد لجزيرة « سردينيا »(٦٠) ويرد اسم « الايقواشا » لأول مرة فى عهد « مرنبتاح » ولن نلتقى بهم بعد ذلك ، ويمكن أن نعدهم مساويين للآخيين فى اليونانية ، وكانوا يعيشون حول « ميلتوس » فى « كاريا » (انظر شكل رقم ١) أما « التورشا » فيمكن ربطهم بالترسينوى أسلاف الاترسكيين وكانوا يعيشون بعيدا فى

« ليديا » ، أما « الشكلش » فيذكروننا بالسيكلوى أو الصقليين(٦١) ، ويرى « البرايت » أن الشكلش غير معروفين ، وان « الثكر » هم الصقليون الذين أعطوا اسمهم لجزيرة صقلية فيما بعد(٦٢) .

فى عهد « رمسيس الثالث » اتجهت شعوب البحر برا وبحرا الى مصر ، وتوضح آثار هذا الفرعون ان هذا الهجوم كان فى العام الثامن من حكمه ، وقد ضم خمسة شعوب هم : « البلست » و « الثكر » و « الشردين » و « الدانونا » و « الوششى »(٦٣) وقد سبق الحديث عن « الدانونا » و « الشردن » ، أما الشعب الأول « البلست » فهم فلسطينيو التوراة وسوف نفصل الحديث عنهم فيما بعد و « الثكر » هم مجموعة تعرفنا عليهم من الارشادات المصرية فى مدينة هابو حيث يرتدون خوذات تتفق مع النوع الشائع لدى الفلسطينيين وقد استقر فرع من الثكر فى « جبيل » و « دور » من الساحل السورى ، كما اخبرنا بذلك تقرير « ونأمون »(٦٤) ، وقد اشترك الثكر مع الفلسطينيين فى غطاء الرأس وحمل الفأس وارتباط هذا الشعب بالبطل الاغريقى « تيكروس » (تيوكر) ممكن جدا ، وعلى ذلك يبدو ان الثكر كانوا فى « انكومى » (سلاميس) فى قبرص قبل تدميرها قرب نهاية القرن الثالث عشر ق٠م ، وبداية القرن الثانى عشر ق٠م ، حيث ينسب لهذا البطل (تيوكر) تأسيس « اولبا » فى « كليكيا » و « سلاميس » ويؤيد ذلك أيضا انه وجدت أوان من القبر الثالث فى انكومى من نهاية القرن الثالث عشر ق٠م تظهر رجلا يرتدى ما يتفق مع نوع غطاء الرأس الفلسطينى ، كما وجد ختم من الحجر فى احدى خرائب « انكومى » من القرن الثانى عشر ق٠م ، نقش عليه صورة أحد المحاربين يحمل ترسا كبيرا ويرتدى ما يتفق مع نوع غطاء الرأس الفلسطينى ، ولكن لم يكن الثكر هم

الشعب الوحيد من شعوب البحر التى حصلت على موطىء قدم فى قبرص ، فقد اكتشف (ديكايوس فى عام ١٩٥٢ م) تمثالا من البرونز فى « انكومى » لاله يرتدى خوذة من اللباد بها قرون كبيرة نسبيا مشابهة لنوع خوذات الشردن(٦٥) .

خلاصة القول ان هذه الشعوب جميعا قد أتت من أماكن مختلفة تدور كلها فى الفلك « الايجى » ويؤيد ذلك الى جانب ما ذكر سابقا ان النوعين المميزين من الخوذات فى مدينة « هابو » قد ظهرت فى نفس الوقت على ما يطلق عليه « اناء المحارب » عند « الموكينيين » فعلى الاناء موكبان لخمسة محاربين ، مجموعة منهم ترتدى خوذات ذات ريش والأخرى ترتدى خوذات ذات قرون وان كانت القرون هنا طويلة مع وجود ريش يخرج من القمة . فهى بذلك تختلف الى حد ما عن الخوذات ذات القرون القصيرة التى كان يرتديها التحالف البحرى فى مدينة « هابو » وتختلف أيضا عن الخوذات التى كان يرتديها الشردن(٦٦) ، فاذا اعتبرنا هذا الاختلاف نوعا من التطور الذى طرأ عليها يمكن القول انها تدل على اتصال شعوب البحر بالموكينيين .

وهكذا فان الصورة العامة لحوالى مائة وخمسين عاما (١٣٧٠ — ١٢٠٠ ق.م) خلال مجىء الشعوب المختلفة من بحر ايجة وغربى آسيا الصغرى الى الشرق الأدنى تكون على النحو التالى ان هذه الشعوب جاءت فى مجموعات متوالية استوطنت مناطق النفوذ المصرى فى فلسطين بعد أن قضت على الامبراطورية الحيثية فى آسيا الصغرى وهاجمت شمال سوريا « أوجاريت » ثم سارت جنوبا وتجمعت فى « أمورو » ثم تقدمت جنوبا تجاه مصر برا وبحرا وبعد أن هزم جموعهم رمسيس الثالث ظل عدد كبير منهم فى

أرض كنعان (خاصة الفلسطينيين والثكر) بينما رجع الآخرون الى الغرب نهائيـا حيث تركوا اسماءهم فى صقليـة وسردينيا ، كمـا احتفظ التـاريخ باسـم الفلسطينيين للأرض التى نزلوهـا وهى فلسـطين •

ثانيـا ـ فلسـطين

١ ـ جغرافية فلسطين السياسية :

تحدد الخصائص الطبيعية والجغرافيـة لسورية وفلسطين ، مصيرهما التاريخي ، فتركز طرق المواصـلات الأساسية بين ثلاث قارات فى هذه المنطقـة يعنى انه قدر لها أن تكون مسرحا لسلسلة من الهجرات والغزوات دون أية فرصـة دائمة لانشـاء نظم سياسية قوية ، فكانت أرض تجارب للمطامع والمنافسات التجارية والسياسية والحربية للدول الكبيرة المحيطـة بها فى مصر وأرض الرافـدين وآسيا الصغرى ، ولانها تميزت بالخصـوبة كانت منطقـة جذب للشعوب المهاجرة التى تدفقت عليهـا مرة بعد أخرى ، وقد ساعد تلك الهجرات ، ان هذه المنطقـة يمـكن دخولها من كل جـانب والانتقال منها فى أى اتجـاه ، فكانت مفتوحـة أمام مصر وأرض الرافدين وآسـيا الصغرى وسـواحل البحر المتوسط فضـلا عن الصحراء التي جاء منها الساميون ، ومن الساميين كان الكنعانيون/ الفنيقيون والأدوميـون والمؤابيـون والعمونيـون والعبرانيـون ، ومن العنـاصر غير السـامية والتى تعتبر موضـع اهتمامنـا الفلسطينيون ، وفيما يلي نتحدث عن هذه الشعوب •

(أ) الكنعـانيون/الفينيقيون :

تذكر التوراة أن كلمـة كنعان تعود الى « كنعان بن حام بن نوح »(٦٧) ولكن من الباحثين من يرى أن كلمـة كنعـان مشتقة

من أصــل سامي (خنع ــ قنع ــ كنع) اشــارة الى الضعة ومنها مجازا للأرض المنخفضــة (الواطئة) لسكناهم على الســاحل ، فسمي هؤلاء الساميون بالكنعانيين أى سكان الأراضي المنخفضــة ، والرأى المقبول الآن من أكثر المشتغلين بهذه الدراســات أن أصــل الكلمة غير سامي ويرجحون اشتقاقه من كلمــة « هندو ــ اوربية » تعنى الصبغة القرمزية اذ كانت هذه المنطقــة تشتهر بهذه الصبغة عندما اتصــل الحوريون(٦٨) ، بهذه البــلاد فى القرن الثامن عشر أو السابع عشر ق٠م ومنها اشتقت الكلمــة البابلية « كناخي » أو « كينانخي » كما فى رســائل العمارنة ووردت فى اللغة الفينيقيــة (كينع) وبالعبرية (كنعان) ، وكلهــا مسميات تدل على الصبغة الأرجوانيــة ثم جاء الاغريق واتصــلوا بهــذه الشعوب الساميــة واتجروا معهــا ، واحتكوا بهذه المجتمعــات المدنيــة المتنــاثرة على الســاحل فأطلقوا عليهــا اسم « فينكس » التى تعنى « القرمز » أو اللون الأرجوانى ومن هذهالكلمــة اشتقت كلمة « فينيقيــا » وأصبحت ترادف كلمة كنعــان وان الكلمتين اصبحتا تعنيان شيئا واحدا ، وهكذا اتفقت التسمية السامية والتسمية اليونانيــة فى ان تربط بين هذه الشــعوب وبين اللون الأحمر ، حيث ان هذه المدن الساحليــة تخصصت فى صناعــة نوع من الصبغــة الأرجوانيــة كانت تستخرج من حيوانات بحرية رخوة تكثر قرب شــواطئها ، ومن هنا جاءت نسبتها الى اللون الأحمر(٦٩) وهكذا كانت تسميتهم السامية القديمــة « كنعانيين » وباليونانيــة « فينيقيين » وكلاهما علم على شعب سامى واحد ٠

لم يرد اسم كنعــان فى النصــوص المصريــة ، الا فى النصف الثانى من القرن الخامس عشر ق٠م أى فى عهد « أمنحتب الثانى » الذى ذكر بين قوات « المريانو »(٧٠) ، ستمائة وأربعين أسيرا من الكنعانيين الى جانب نسائهم وأطفالهم(٧١) ، حيث انه كان يشار

الى فلسطين وجنوب سورية فى بداية الألف الثانى ق٠م باسم « وتنو » وسكانها « عامو » (الآسيويين) والذى بدا أكثر دقة بعد عام ١٥٠٠ ق٠م ، ثم ظهر الى جانب « رتنو » العديد من الاسماء مثل « جاهى » وتضمنت آثار تحتمس الثالث اسم « خارو » كاسم عام لسورية وفلسطين(٧٢) ، وتحدثث برديات الرعامسة عن العبيد الكنعانيين من « خارو »(٧٣) ، بينما ضمت لوحة النصر للملك « مرنبتاح » كنعان وخارو مع اسرائيل وخاتى ومدن عسقلان وجازر وينعم(٧٤) ٠

حالت طبيعة المنطقة التى استوطنها الكنعانيون ، فضلا عن انهم كانوا محاطين بجيران أقوياء ، دون تأسيس دولة قوية موحدة ، فاتخذ تنظيمهم السياسى شكل دول قائمة فى مدن حصينة مبنية فوق أرض مرتفعة ، كانت هذه المدن تمتد من « أوجاريت » (رأس الشمرا) شمالا الى « غزة » جنوبا ومن مدنهم الداخلية « أريحا » و « جازر » و « أورشليم » و « شكيم »(٧٥) ، وأقدم ذكر لعدد من المدن الكنعانية جاء فى نصوص مسمارية من « أبلا » (تل مرديخ حاليا بشمال سوريا) اذ يعود تاريخها الى القرن الرابع والعشرين ق٠م(٧٦) ، كما وردت بعض أسماء هذه المدن فى نصوص مصرية من عصر الأسرة الثانية عشرة وهى المعروفة باسم « نصوص اللعنة »(٧٧) ، كما ورد ذكرها فى التقارير الحربية للملك « تحتمس الثالث » وفى رسائل العمارنة ، ولها وصف فى أسفار العهد القديم كسفرى يشوع والقضاة(٧٨) وهكذا فان الحديث عن الكنعانيين يعنى الحديث عن فرع من الشعوب السامية التى استوطنت جنوب بلاد الشام وأخذت اسمها مما اشتهرت به تلك المنطقة ، وعند الغزو الاسرائيلى كان الكنعانيون مستقرين فى منطقة تمتد من النقب جنوبا حتى شمال لبنان بالاضافة الى دمشق وبيت شان(٧٩) ٠

ينتهى تاريخ فلسطين الكنعانيــة عمليا بدخول بنى اسرائيل اليها فى النصف الثاني من القرن الثالث عشر ق٠م ، وغزو شعوب البحر لها فى أوائل القرن الثــانى عشر ق٠م وان ظلت الأوديــة والسهول لمدة قرنين بعد ذلك أهلة بولايات المدن الكنعانيــة ولكن الكنعــانيين كانوا قد استنفدوا كل نشــاطهم الحضــارى الذى سندهم حتى ذلك الوقت(٨٠) ٠

(ب) الأدوميــون :

تنسب التوراة الأدوميين الى « أدم » وهو « عيسو » الأخ الأكبر « ليعقوب » (اسرائيل) وهم بدو اشتركوا فى الهجرة الأرامية ولكنهم سبقوا الاسرائيليين فى الرحيل من الصحراء الى جنوب بلاد الشام(٨١) أما موطنهم فقد كان فى جنوب بلاد شرق الأردن وجنوب وادي الحسا الذى ينساب الى الطرف الجنوبى من البحر الميت فى منطقة الجبــال شرقى وادى العربة(٨٢) ، ويطلق العهد القديم على هذا الاقليم اسم « سعير »(٨٣) ،كما يشير العهد القديم الى أن الأدوميين طردوا الحوريين من هــذه المنطقــة واستوطنوها(٨٤) ، وعلى ذلك كانت أدوم تقع فى نقطة لا تتصــل بالاسرائيليين بحدود مباشرة ، وبالتــالى فلم تكن هنــاك أسبابا ظاهرة للعداوة بينهمــا فضلا عن أن ارضهم طبقا لرواية العهد القديم قد حرمها رب اسرائيل على شعبه(٨٥) ومع ذلك فان الاسرائيليين كانوا يعدون الأدوميين من ألد أعدائهم حتى أن المنازعات بين الفريقين استمرت عدة قرون بسبب عوامل نفسية كمــا يرى العهد القديم ، فالأدوميون يحسون أن الاسرائيليين قد سرقوا حقهم فى البركة والبكروته(٨٦) ، ومن هنا أتى موقف الأدوميين من الاسرائيليين أثنــاء التيه فى الصحراء(٨٧)، وان كنا نرى ان هــذا لا يكفى لاستمرار العــداوة بين الشعبين ، ولكن هنــاك عوامــل أخرى ، حيث أن أدوم كانت ذات أهميــة

اقتصادية كبيرة بالنسبة لاسرائيل ، فهى فى الطريق الى خليج العقبة ومن ثم الى البحر الأحمر ، فضـــلا عن انها تحتوى على كثير من الرواســب المعدنيــة على حدود وادى عربة ، حيث أن الصحراء العربية والتى تمتد من جنوب البحر الميت حتى خليج العقبة ـ كانت غنية بمعدنى النحــاس والحديد(٨٨) .

كان الأدوميون يحكمون فى البداية بأمراء يشبهون شــيوخ القبائل ، ثم اســتطاعوا بعد ذلك تكوين مملكة ربما كان ملوكهــا منتخبين وقد جلس على عرشــها ثمانيــة ملوك قبــل أن يكون الاسرائيليون مملكه لهم وقبل أن يستولى داود عليها(٨٩) ، لم يكن الحكم فى أدوم وراثيــا ، وكانت عاصمة كل ملك تختلف عن عاصمة الآخر ، فكانت « ســالع » عاصمة « أدوم » ثم تغير اســمها الى البتراء ، وهى واحدة من أشــهر مدن العالم القديم وتقع الى الشرق من وادى عربة فى منتصف المسافــة تقريبا بين راس خليج العقبــة والبحر الميت(٩٠) ، وقد عرفت بلاد أدوم فى اليونانيــة باســم « أدوميــا » أما بربة أدوم فهى الواقعة جنوب البحر الميت(٩١) .

(ج) المؤابيـــون :

ينسب المؤابيون طبقا لرواية العهــد القــديم الى مؤاب بن لوط(٩٢) ، وهم من الشــعوب التى تتصــل بالعبرانيين بصــلة قرابة عن طريق « لوط » كما ان « راعوث » جدة « داود » امرأة مؤابية(٩٣) ، ويقع اقليم مؤاب شــمال وادى الحســا ، المعروف فى العهد القديم بوادى « زاد » وقد امتدت مملكة مؤاب من شرق البحر الميت حتى الصــحراء واتسعت شــمالا حتى وادى الموجب (نهر أرنون) ويتكون من وادى « دلة » الذى يأتى من الشــمال الشرقى ، ووادى عنقيلة الآتى من الشرق ، وسيل الصعدة الآتى من

الجنوب(٩٤) ، كانت مؤاب مثل أدوم حصينــة قوية ذات مواقــع استراتيجية على الحدود وفى الداخل ، ولهذا اضطر الاسرائيليون أثناء التيه أن يكفوا عن الاستمرار فى السير فى البرية التى قبالة مؤاب الى شروق الشمس حتى وصلوا الى الجانب الآخر من أرنـون(٩٥) ٠

كانت فرصــة مؤاب الوحيدة فى التوســع هى الاتجاه نحو الشمال فيما وراء (أرنون) ومن هذه المنطقة اتصلوا بالاسرائيليين اتصــالا مباشرا(٩٦) ، ويتضـح من النقش الموجود على الحجر المؤابى(٩٧) ، ان لغة مؤاب كانت من اللهجـات التى كتب بهـا العهد القديم وهى المعروفة عادة بالعبرانية ٠

وباستثناء نقش « ميشع » لم يعثر حتى الآن الا على اثنين من نقوش المؤابيين الآول كسرة من الحجر البـازلتي الأسـود منقوش عليها ستة أحرف ، واحد منها فقط واضح تماما وقد عثر عليها فى « ذيبان » عام ١٩٥١ م(٩٨) والآخر هو أيضـا كسرة من الحجر البازلتى الأسود عثر عليهـا بالقرب من الكرك ، وتحمل نقشا من ثلاثة أسطر فقد كل منهـا بدايته ونهايته بحيث لم يبق الذين علقوا على هـذا النقش على انه للملك « ميشع » وان هذا السطر كان يقرأ أصـلا كما يقرأ السطر الأول من نقش « ميشع » « أنا ميشع بن كموش ياتى ملك مؤاب »(١٠٠) ، وبالاضـافة الى « بالاك بن صـــفور » و « عجـلون » اللذين ذكـرا فى العهـد القـديم(١٠١) ، فان من تعرف أسـماؤهم من ملوك المؤابيين هم « كموش ياتى » وقـد ذكر فى نقش ميشـع ونقش الـكرك ، و « مبشع » الذى ذكر فى نقش ميشع وكان معاصرا لبعض الوقت لكل من أخـاب (٨٧١ ــ ٨٥٢ ق٠م) وابنيــه « احازيـا » (٨٥٢ ــ ٨٥١ ق٠م) و « يهـورام » (٨٥١ ــ ٨٤٢ ق٠م) ؛

« سامانو » وذكر فى أخبــار سنة ٧٣٢ ق٠م من حوليــات الملك الآشورى « تيجلات بيليسر » الثالث ، « كاموش ناداب » ذكر فى اخبار سنة ٧٠١ ق٠م فى أحد نقوش الملك الآشــورى « سناحريب »، « موسرى » الذى ذكر فى أحد نقوش الملك الآشــورى « اسرحدون » وفى أحد نقوش « أشوربانيبال » ، « كاماشالتو » ذكر فى أحد نقوش « اشوربانيبال »(١٠٢) ٠

(د) العبرانيــون :

يبــدأ تاريخ العبرانيين الحقيقى بخروجهم من مصر ، والذى اختلف المؤرخون حوله اختلافا كبيرا ، فيرى « رولى » ان الخروج كان من اعتلاء « مرنبتاح » العرش بوقت قصير(١٠٣) ، أما « ميك » فيرى أن الخــــروج كان فى عهد « ســـتى الثـــانى » حــوالى ١٢٠٠ ق٠م(١٠٤) بينمــا ذهب « روتون » الى انه كان هنـــاك خروجان الأول فى عصر الأسرة التاسعة عشرة والثانى أيام الأسرة العشرين(١٠٥) ويرى « البرايت » ان هنــاك خروجين أيضــا ولكن الأول حــــوالى ١٤٠٠ ق٠م والثـــــانى فى بدايــة عهــد رمسيس الثانى(١٠٦) وان كان الباحث يميل الى ان خروج بنى اسرائيــل كان فى بداية حكم « رمسيس الثانى » ، فعلاوة على اتفــاق بعض المؤرخين على وجــود خروج فى تلك الفترة (روتون ــ البرايت) تثبت الأدلة الأثرية أن استقرار بنى اسرائيل فى فلسطين كان فى النصف الثــانى من القرن الثــالث ق٠م حيث دمرت « تل بيت مرسيم » حوالى ١٢٤٠ ق٠م و « لخيش » حوالى ١٢٣٠ ق٠م او ١٢٢٠ ق٠م(١٠٧) ويرى « البرايت » أن تدمير « أريحــا » كان سابقــا لهذين التدمــيرين(١٠٨) فاذا علمنــا ان الاسرائيليين ظلوا فى التيه فترة من الزمن ، تقدرها التوراة بأربعين عاما فان ذلك يعود بنا الي بداية حكم « رمسيس الثــانى » الذى ارتقى

العرش حوالي ١٢٩٠ ق٠م ، كما أن ذكر اسم اسرائيل على لوحة النصر للملك « مرنبتاح » يدل على استقرارهم بفلسطين بعد خروجهم من التيه ، وساعدهم على ذلك أحوال فلسطين الداخلية حيث وجد نوع من الفراغ السياسى نتيجة ضعف الدول المحلية الصغيرة التي كانت قائمة فى فلسطين ، وتميز هذه الفترة (النصف الثانى من عهد رمسيس الثانى) بالهدوء وعدم تجديد الحملات الحربية الى فلسطين ٠

على أى حال فبعد أن خرج بنى اسرائيل من مصر قضوا فترة من الزمن فى التيه ثم واصلوا سيرهم حتى استقروا فى الجهة الجنوبية الشرقية من فلسطين (بادية شرق الأردن) بعد أن وجد موسى مقاومة شديدة فى الدخول الى فلسطين عن طريق « وادى عربة » و « النقب » ومات موسى قبل أن يصل الى الأرض التي كانت محط آمال شعبه ، فأخذ « يشوع » على عاتقه قيادة الشعب لدخول أرض فلسطين عبر الأردن ٠

كان النظام السائد فى أرض فلسطين هو نظام (دولة ــ المدينة) وقد سهل هذا سقوطها فى يد الاسرائيليين واحدة بعد الأخرى ، فكانت « أريحا » أولى المدن التى سقطت فى يد « يشوع » ومن أريحا انطلق فى ثلاث حملات خاطفة الأولى الى وسط فلسطين والثانية الى جنوبها والأخيرة الى شمالها ، احتل نتيجة لها كل ارجاء فلسطين فى فترة وجيزة(١٠٩) ، ويبدو أن شغل الاسرائيليين للمواقع المختلفة فى فلسطين كان بطيئا فى أول الأمر (مثل ما حدث فى أريحا) ثم جرى بعد ذلك بسرعة نسبية ، وفى حوالي نهاية القرن الثالث عشر ق٠م كان الاسرائيليون على ما يبدو فى مرحلة الاستقرار فى كل المناطق الجبلية على جانبى الأردن(١١٠) لكنهم لم يتمكنوا من الاستيلاك على المدن المحصنة فى السهول

ووديان الأنهار لفشلهم فى التغلب على المركبات الحربيـة الكنعانية (ويؤيد ذلك أن مدينتى « مجدو » و « تيت شان « قاومتا بنى اسرائيل لعدة أجيال بعد ذلك) فى الوقت الذى ساعدهم انتشار اقامة صهاريج المياه على السكنى فى المناطق الجبلية والاستقرار فى أى مكان تسقط فيه الأمطار ، بينما اضطر الكنعانيون للاقامة فى المواقع القريبة من الينابيع أو جداول المياه الدائمة(١١١) .

لم تقتصر حركة الفتح العبرى لفلسطين على الغزو المسلح ، فربما تم جانب منها بالتغلغل السلمى ، فلم يكد النازحون الجدد يضمنون لأنفسهم موطنا فى الأرض الزراعيـة ، حتى وطدوا إقدامهم بالتزاوج مع العناصر القديمـة فى البلاد ، وكذلك بالانضمام لأقاربهم الذين كانوا قد استقروا من قبل فى فلسطين ولم يشاركوا فى حركة الخروج من مصر ، جملة القول ان هذه العمليـة أفضت الى أن أصبح الأهلون القدماء فى قبضـة العبرانيين اما بالمعاهدات أو الفتح المسلح أو بضمهم اليهم شيئا فشيئا(١١٢) .

تشير نصوص العهد القديم الى انه على أثر الاستيلاء على هذه الأرض قسمت بين الاحد عشر سبطا التى كان يتألف منهـا العبرانيون ، بينما ترك سبط « لاوى » موزعا بين الأسباط الأخرى ليدير أفرادها حاجاتهم الدينيـة ، وكان من جراء ذلك أن شكن سبطا « يهوذا » و « بنيامين » الاقليم الجبلى الواقع حول « أورشليم » بينما استوطنت الأسباط السهول الخصبة مع الشمال(١١٣) ، وكانت مدة الاستقرار لهؤلاء القوم تتفق مع ما يسمى « عصر القضاة »(١١٤) . كان نظام الاسرائيليين وحكمهم يقومان على أساس الحكم الأبوى فى الأسرة ، وكان شيوخ العشائر يجتمعون فى مجلس من الكبراء للحكم والفصل فى شئون

القبيلة ، وهو الذى يتعــاون مع زعماء القبائل الأخرى اذا الجأتهم الى ذلك الظروف القاهرة التى لا مفر من التعاون فيها(١١٥) .

خلاصة القول أن العبرانيين هم احدى الجماعات التى استقرت فى فلسطين ولم يكونوا الشــعب الوحيد ، وكان لابد من الصراع بين هــذه الجماعات التى استقرت فى فلســطين ومنهم الكنعــانيون والحيثيون والأموريون والفريزيون واليبوسيون الذين ســكنوا مع بنى اسرائيل وارتبطوا بهم برباط المصــاهرة واشتركوا معهم فى العبــادة ، وكان الفلسطينيون أقوى المنافســين الذين كان عــلى العبرانيين أن يقاتلوهم لأمتلاك الأرض(١١٦) .

(هـ) الفلســطينيون :

كان الفلسطينيون ضــمن شــعوب البحــر التى نزلت على الساحل الفلسطيني فى الموجة الأخيرة وحاولوا دخول مصر فى بداية القرن الثاني عشر ق.م ولكن رمسيس الثالث تمكن من الانتصــار عليهم ، ثم ســمح لهم باســتيطان الســهل الســاحلى من جنوب فلسطين(١١٧) ، وتروى نصــوص العهد القديم أن الفلسطينيين انحدروا عن كفتور بن مصرايم (مصر) أو « لوديم » الليديين ، وسلالات متنوعة مصرية وشمال افريقية(١١٨) .

معنى ذلك أن الفلسطينيين أتو من مصر ، ولكن ربما يرجع هذا الاعتقاد الى أنهم وشعوب البحر الآخرين استقروا فى الســهل الساحلى من جنوب فلسطين أولا ، كما انهم خدموا كجنود مرتزقة في الجيش المصري(١١٩) ، ولكن طبقــا لســفرى « عــاموس » و « التثنية » فانهم جاءوا من « كفتور » احدى جزر البحر(١٢٠) (انظر فيما بعد أصل الفلسطينيين) .

حدود اقليم الفلسطينيين :

ذكرت نصوص العهد القديم « حدود أقليم الفلسطينيين » هذه هى الأرض الباقية كل دائرة الفلسطينيين وكل الجشوريين ،

هذا الاعتقـاد الى أنهم وشعوب البحر الآخرين استقروا فى السهل الساحلى من جنوب فلسطين أولا ، كمـا أنهم خدموا كجنود مرتزقة من الشيحور الذى هو امـام مصر الى تخم « عقرون » شـمالا تحسب للكنعانيين أقطاب الفلسطينيين الخمسة الغزى والأشدودى ، والأشقلونى والجتى والعقرونى والعويين(١٢١) ، وحـدود هـذه المنطقـة جغرافيـا هى وادى العريش جنوبـا (اما الشيحور على الحدود الشرقية للدلتا فهو نهاية المنطقة التى استقر فيها العريون جنوب غزة)(١٢٢) وخربة المقنـع شـمال عقرون ، فى الشـمال الشرقى و « يهوذا » شرقا والبحر المتوسط غربا ، وهذه الحدود تتفق جغرافيـا مع المنطقة التى استوطنها الفلسطينيون مدة طويلة بعد وصولهم الى فلسـطين وقبل توسعهم خـلال القرن الحادى عشر ق٠م ، قبل الاستيطان الفلسطينى كانت هذه المنطقـة تعتبر كنعانيـة ، فطبقا لرواية العهد القديم كانت موطن العناقيين(١٢٣) ٠

خلال القرن الحـادى عشر ق٠م وسع الفلسطينيون حدودهم وصلوا نهر « قيشون » شـمالا ، واستولوا على مناطق كثير ة من اقليم « يهوذا » شرقا ، وقد ذكرت « تمنة » (تل البيتاش ؟) فى عهد « شمشون » كمدينـة فلسطينية ٠ وان كان « دوثان » يرى ان سيطرة الفلسطينيين على أودية ومدن «يزعيل » و « بيت شان » ليست حقيقيـة ، وأن سيطرتهم فى أى مرحلة من مراحل تاريخهم لم تتعد الاقليم الذى حدد فى سفر « يشوع » أصحـاح ١٣ مع مد الحد الشمـالى للاقليم السـاحلى حتى نهر « ياركون » (قيشون) وأجزاء صغيرة من المرتفعـات اليهودية شرقا ، أما توسعهم جنوبا فيشار اليه « بجنوب الكريتيين »(١٢٤) ولكن وجد ما يدل على وجود الفلسطينيين فى المناطـق التى رفض « دوثان » سـيطرتهم عليها فقد عثر على مقابض أسلحة قبرصية الصنع فى توابيت من الصلصال على هيئـة ادمية ، وبقايا أخرى فى أماكن الحصـون فى

« بيت شان » شمال وادى الأردن حتى تل الفرعا فى « النقب » غرب فلسطين حيث انتشرت عادة دفن الموتى فى توابيت أدمية الشكل من الفخار ، وهى عادة اقتبسها « الكنعانيون » عن المصريين قبيل مجيء الفلسطينيين(١٢٥) ، ووجود هذه المقابض داخل توابيت الدفن يدل على الاستقرار ، فلو كان وجودها نتيجة حرب خاطفة لوجدت مبعثرة أو حتى ما وجدت بالمرة ولكن سيطرتهم على تلك المناطق مكنهم من وضع هذه الأشياء داخل توابيت الدفن بشكل مكن العلماء من العثور عليها ٠

ويؤيد سيطرة الفلسطينيين على المناطق التى رفضها « دوثان » ، الأدلة الأثرية التى وجدها « فرنكين » مؤخرا فى « تل دير غلا » (سوكوث) فى وادى الأردن ، ففى « شاروحين » وجد مبنى أسسه « ستى الثانى » (١٢١٦ ـ ١٢١٠ ق٠م) عثر بداخله على فخار ينتمى للفخار الفلسطينى ، وأيد ذلك وجود أربع شقفات من اناء ضخم عليها نقش هيروغليفى يحمل اسم « ستى الثانى » وعندما جمعت الشقاف التى وجدت فى أماكن مختلفة من هذا المبنى اظهرت أن تاريخ هذا الاناء الكبير يرجع الى أيام تاسيس « ستى الثانى » لهذا الحصن ، كما أنه بنى حصون مماثلة فى الاقليم الممتد بين الدلتا وجنوب فلسطين ، ويتبع ذلك أن الفلسطينيين استقروا هناك كجنود حاميات فى الفترة بين تأسيس تلك الحصون وتدميرها فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر ق٠م ٠ وما وجد فى « دير علا » كان أكثر أهمية ، فعلى أرضية معبد يرجع لعصر البرونز المتأخر (حوالى ١٢٠٠ ق٠م وجدت آنية محطمة نقش عليها خرطوش للملكة « تاوسرت » التى حكمت فى أواخر الأسرة التاسعة عشرة ، كما وجد فى « بيت شان » ثلاث لوحات ملكية مصرية وجزء من لوحة رابعة ، وقد أر

الفخار الفلسطينى الذى وجد فى نفس الطبقة بعد تاريخ هذه اللوحات مباشرة ، وقد احتوت هذه اللوحات على خمسين اشارة جمعت فى خمس عشرة كلمة قسمت بفواصل رأسيه ، ويمكننا أن نفعل ذلك مع المقاطع الصوتية ، فيتضح أنها تشبه القبرصية فى جزء منها وفى جزء آخر تشبه الكارية ، اذا فمن المحتمل جدا أن هذه اللوحات ترجع للنصوص الفلسطينية القديمة(١٢٦) .

وجاء الدليل القاطع على استقرار الفلسطينيين فى المناطق التى زعم « دوثان » أنهم لم يسيطروا عليها مطلقا من مقارنة ما وجد على توابيت من الصلصال على هيئة ادمية فى « بيت شان » مع اشارات « رمسيس الثالث » للفلسطينيين فى مدينة « هابو » فعلى توابيت الموتى فى « بيت شان » وجدت رؤوس أدمية مزينة بالزخارف على الخوذات ذات الريش والتى ظهرت انها من نفس النوع الذى وجد منسوبا للفلسطينيين فى مدينة « هاتو »(١٢٧) .

وهكذا تثبت الأدلة الأثرية سيطرة الفلسطينيين فى مرحلة من مراحل تاريخهم على مناطق داخلية فى فلسطين علاوة على الاقليم الساحلى الذى تحدثت عنه نصوص العهد القديم .

المدن الفلسطينية :

استوطن الفلسطينيون خمس مدن كبيرة عرفت باسم « البنتابولس » Pentapolis وهى « غزة » و « عسقلان » و « اشدود » وتقع جميعا بالقرب من الساحل (انظر الشكل رقم ٣) وقد عرفت كمدن مهمة قبل الاستيطان الفلسطينى ، فكانت بمثابة نقط مصرية حصينة وحيوية لحماية الطريق الساحلى بين مصر وآسيا خلال العصور البرونزية ، أما المدينتان الأخيرتان فتقعان فى الداخل وهما « جت » و « عقرون » أما « جت » فان

موقعها القديم غير معروف وان كان أمر وجودها قبل الغزو الفلسطيني لاشك فيه ، وتعتبر « عقرون » المدينة الوحيدة التي أقامها الفلسطينيون حيث لم يذكرها أي مصدر قبل مجيئهم(١٢٨) ، كان يحكم كل مدينة من هذه المدن « أمير » يشغل في نفس الوقت منصب قائد الجيش ، وقد ارتبطت بروابط اشد مما عهدناه بين المدن الكنعانية وكانت أرضهم من اخصب البقاع(١٢٩) ٠

الوطن الأصلي للفلسطينيين :

قام جدل طويل بين العلماء حول تحديد الموطن الأصلي للفلسطينيين فتناولوا هذه المشكلة من ثلاث زوايا فيولوجيا (فقه اللغة) وعلى الآثار والأدب (المقصود بالأدب هنا الأساطير اليونانية) ولوجود اختلافات جوهرية بين الاتجاهات الثلاثة فانه من الصعب الوصول الى نتائج حاسمة ، وقد اقترح معظم الباحثين انهم انحدروا من « كريت » الى آسيا الصغرى ، ولكن هناك من لم يسلم بذلك تماما ، ومع أن معظم الباحثين يميل الى تعريف « كفتور » و « كفتيو » « تكريت » الا ان هناك من يرى أن « كفتور » هي « كليكيا » كما جاءت في الترجمة السبعينية ، على أساس أن « كفتور » و « كفتيو » هي أسماء مدن في جنوب شرق آسيا الصغرى وبالتحديد « كبادوكيا »(١٣٠) ولكن يبدو ان هذا التعريف يرجع الى موقع « كبادوكيا » المهم في عالم البحر المتوسط وقت اجتماع المترجمين فيها(١٣١) ، وتعرف « كفتور » « بكريت » أيده ما جاء في سجلات دول ثلاث ، فذكرت النصوص الآكادية « كفتور » بانها الأرض البعيدة ، ومرة أخرى بانها الأرض التي عبر البحر(١٣٢) ، أما في الوثائق الأوجاريتية فان « كفتور » كانت تعني غالبا « كريت »(١٣٣) ٠

واخيرا فان كلمة « كفتيو » المصرية قريبة جدا من « كفتور » فوجود « ر » ليس عقبة بسبب وجود مشابهات كثيرة لذلك ، كما أن تعريف « كفتور » « بكريت » أيدته الأدلة الأثرية(١٣٤) ٠

وهناك من أرجع أصل الفلسطينيين الى منطقة البحر الأيجى وقد وجد هذا الرأى تأييدا من وجود ريشة الخوذة كما ظهر على صندوق « فاسيتوس » والذى عثر عليه فى جنوب « كريت »(١٣٥) (انظر الشكل رقم ٧) بالاضافه الى أن الفخار الفلسطينى الذى وجد فى أماكن فلسطينية مختلفة كان مشابهها للفخار « الموكينى » وقد وجد فى فلسطين جزء من « طست » يبدو من صناعته انه نقل اليها فى القرن الثانى عشر ق٠م ، ورغم الحكم بأن هذا الجزء مشابه لقطع الفخار الفلسطينى التى وجدت فى « سندا » و « انكومى » وهما يقعان فى شمال شرق قبرص الا أنها من أصل « ايجى » كما وجد « فرومارك » فى مرحلة أرخت فيما بين ١٢٢٥ و ١١٧٥ ق٠م فخارا فى « سندا » و « انكومى » أيضا صناعة محلية من نوع الفخار الموكينى يكاد يكون مطابقا تماما لأقدم فخار فلسطينى وجد بفلسطين وهذا الفخار « القبرصى » يشبه الفخار « الموكينى » الذى وجد فى « أرجوس » ولذلك لابد أن يكون قد جاء من اليونان ، وعندما غزا هؤلاء المستوطنون فلسطين ، استمروا فى صنع نفس هذا الفخار على صورة فخار فلسطين(١٣٦) ٠

وهناك من يرى أن الفلسطينيين هم أحد الشعوب « الأليرية » حيث أخذوا اسمهم من اسم المكان « بالاستى » وهو بالاسينى فى اللغة الأليرية(١٣٧) ، وهذا يتفق مع الرأى القائل بأن الفلسطينيين من المنطقة الايجية أو « كريت » حيث اتجهوا الى البحر ووصلوا لى الجزر الايجية و « كريت »(١٣٨) ٠

وهنـــاك وجهـــة نظـر أخرى ترى أن الفلســطينيين من « البلاسجيين »(١٣٩) ، وعلي ذلك يرى « البرايت » صاحب هذا الاتجاه أنهم أتوا من جنوب غرب آسيا الصغرى · كما رأى ان جنوب « طروادة » كانت مستوطنة بالجماعات البلاسجينية ، ثم أرجـع « هيردوت » « الأيونيين » الى أنهم من أصــل « بلاسجينى » ، وأن الشاطىء كان « للبلاسجينيين » قبل أن يستقر « الأيونيون » فى « أيونيــا » كما أن هنــاك اختلاطا فى المصادر بين « التيرانيين » (التورشا فى قائمة شعوب البحر والذين كانوا يعيشون فى ليديا) وبين « البلاسجيين » ، هذا الى جانب اتفاق لغة الفلسطينيين مع لهجة « اللوينيين » (الليكيين والقبرصيين والبسيديين والبامغليين والكيكيين) ويتضـح ذلك من ثلاث اســـماء فلسطينيــة لأمراء أو تجــار فى تقريــر « ونأمون » وهم « وار كتير » و « وارت » و « مكمــار » وقد افترض فى عام ١٩٥١ م أن أسماءهم من غرب الأناضول ، وقد أيد هذا الاقتراح فى عام ١٩٦٢ م باجراء تعديل بسيط ومحــاولة تفسير الاســماء على انها « واركات ــ دارا » و « وارد ــ تا » و « ماك ــ كامولا »(١٤٠) ·

ويؤيد اتصال الفلسطينيين بالأناضــول أيضا بعض الكلمات الفلسطينيــة التي وردت فى العهد القـديم مثل كلمـــة « زعيم » (زرين) فهى ترجع الى أصــل « ليدى » أو «اليرى » كما أن اسم « أخيش » فى الترجمة السبعينية والألياذة تشبه تقريبــا اســم « أكوش» Ikusu ملك « عقرون » فى حوليات « اسرحدون » وتضاهى أحيانا اسم « أخيش » فى الرواية الاغريقية والذى ينسب للدردانيين احدى القبــائل الأليرية التى هاجرت الى اليونان وآسيا الصغرى(١٤١) · كما أن الكلمــات العبرية الثلاث « قوبعــة » (خوذة) و « ارجاز » (صندوق) و « بيلجش » (جارية) ترجع

الى أصـــل أناضـــولى ، كليكى واليرى(١٤٢) • وبالمثـــل أيضـــا اسماء « تيخول » و « جوليات » و « صقلع »(١٤٣) ويؤيد اتصال الفلسطينيين بالأناضول أيضـــا معرفتهم بصناعة الحديد ،والكميات الكبيرة التي وجدت فى الأماكن الفلسطينية فى فلسطين مثل « عين شـــمس » و « تـــل يافـــا » و « الفرعـــا » و « حاصـــور » و « اشدود »(١٤٤) •

وهكذا تعددت وجهات النظر حول الموطن الأصلى للفلسطينيين، ورغم هـــذا يمكن وضـــع وجهات النظر هذه فى اتجاهين :

الأول ـ يجعل أصـــل الفلسطينيين من « كريت » أو المنطقة الايجية بصفة عامة •

أما الثانى ـ أن الفلسطينيين من أصل أناضـــولى من منطقـــة غرب كليكيا وبالتحديد حول نهر « كاليكادنوس » •

وان كان الباحث يرى انهم جاءوا من المنطقة الايجية بصفة عامة ، أما « كريت » وآسيا الصغرى فما هى الا مناطق استقرار مؤقت اثنـــاء هجراتهم الى فلسطين التى أعطوها اسمهم ، وان كان ذلك لا يرجع الى انهم أصبحوا غالبية السكان فيها أو انهم بسطوا نفوذهم عليهـــا جميعا ولكن ربما لانهم آخر من نزل بها وتعدد حروبهم مع العبرانيين وكثرة ترديد العهد القديم لاسمهم(١٤٥) •

٢ ـ بدء الصراع بين العبرانيين والفلسطينيين :

كانت كنعان موطن الصراع بين الاسرائيليين والفلسطينيين ، وترك مصيرها للفريق الغالب فالفلسطينيون جاءوا ليستقروا بها ، وكانت قبـــائل العبرانيين قد بدأت تستهدف الاستقرار كذلك فيها وقد استطاع الفلسطينيون أن يؤكدوا وجودهم ضـــد اسرائيـــل

التى لم تكن قد عرفت الوحدة بعد ، وسفر القضـاه يوضح أن بني اسرائيل بعد يشـوع حاربوا الكنعانيين فى غرب الأردن ، ونجوا فى بعض حروبهم ولكن نتيجـة انحرافـاتهم الدينيـة والخلقيـة والاجتماعية ، غضب الرب عليهم ، فدفعهم الى أيد أعدائهم ثم اقام عليهم الرب « قضـاه » فكان الرب يخلصهم من أعـدائهم كل أيام القاضى فاذا مات رجعوا الى الفسـاد مرة أخرى ، فأراد الرب ان يمتحنهم ، وكان من بين الأمم التى تركها الرب ليمتحن بها بنى اسرائيل ،الفلسطينيون •

هذه فى الحقيقة أسباب دينية من وجهـة نظر العهد القديم وهى ليست كل الأسباب فهناك عوامل سياسية واقتصادية كانت وراء متاعب الاسرائيليين فى فلسطين ، منهـا التنافس بين القبائل الاسرائيلية نفسها الى جانب محـاولة هذه القبائل التوسـع على حساب جيرانها ، بالاضافة الى أسلوب الحياة الاسرائيلية التى كانت تعتمد أساسا على الرعى فى حين نزلوا فى بعض المناطق الزراعيـة فكان عليهم أن يغيروا أسـلوب حيـاتهم ، الى جانب انهم كانـوا محاطين بممالك قوية •

فى ذلك الوقت كان الفلسطينيون قد استقروا فى المنطقـة الساحلية واستوطنوا مدنهم الخمس ثم بدأوا فى التوسـع شـمالا وجنوبا ، حتى أن المدن الساحليـة الفلسطينيـة نافسـت الموانى الفينيقية فى « صـور » و « صيدا » و « جبيل » فى التجـارة البحرية خلال القرنين الثانى عشر والحادى عشر ق•م(١٤٦) أما التوسع الداخلى فكان من نتائجه الصـدام الرئيسى بين العبريين والفلسطينيين ، ففيالوقت الذى بدأ فيه الفلسطينيون توسـعهم الداخلى كان الوجود الاسرائيلى أمرا ثابتا ، وهنا شعر الفلسطينيون بوجود خصـم خطـير يهدد أمنهم • فحـاولوا تحطيم هـذه القوة

الجديدة وهى فى طور التكوين ، فكانت معركة « أفيق » وفيها انتصر الفلسطينيون على العبريين ، وكان من نتائجها غزو الفلسطينيين للمناطق الجبلية التى كان يشغلها سبطا « أفرايم » و « بنيامين » فبدا للاسرائيليين أن النصر على هذا العدو لن يتحقق الا عن طريق عون خارق للعادة فأحضروا التابوت المقدس فى المعركة الثانية ليضمنوا وجود ربهم بينهم ، وربما يعنى هذا ان تحالف القبائل الاسرائيلية كان موجودا هنا ضد الفلسطينيين ، والحقيقة انها كانت المرة الأولى التى يتقدم فيها التحالف القبلي الاسرائيلى للدفاع عن اسرائيل ، ولعل السبب فى ذلك انها كانت المرة الأولى التى يتعرض فيها الوجود الاسرائيلى ذاته للتهديد بقوة الفلسطينيين ورغم ذلك انتصر الفلسطينيون وأخذوا تابوت الرب ومات ابنا « عال » و « حفنى » و « فنحاس » وبررت نصوص العهد القديم هذه الهزيمة بأن « يهوه » قد تخلى عن اسرائيل وأنه لم تعد لديه قوة أمام أعدائهم(١٤٧) ، ولكن الحقيقة أن انتصار الفلسطينيين يرجع لعوامل أخرى منها التفوق فى المعدات الحربية المصنوعة من الحديد ، ووحدة الفلسطينيين ضد التفكك الاسرائيلى بالاضافة الى قوة الفلسطينيين الاقتصادية حيث كانت أرضهم من أخصب البقاع فى فلسطين الغربية(١٤٨) ، وكان الصراع بين الفريقين من أهم عوامل قيام مملكة العبريين وهذا ما سوف نراه فى الفصل الثانى .

(١) جون ويلسون : الحضارة المصرية ، ترجمة أحمد فخرى ، القاهرة ١٩٥٥ ، ص ٤٢٩

الآن جاردنر : مصر الفراعنة ، ترجمة نجيب ميخائيل ابراهيم ، القاهرة ١٩٧٣ ، ص ٣٢٢ .

عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، جـ ١ ، مصر والعراق ، ط ٣ ، القاهرة ١٩٨٢ ، ص ٢٤٩ .

Terny, J. «Egypt from the Deaht of Ramesses III to the End of the Twenty — first Dynasty», C.A.H. 3., 2B, 1980, P. 626.

Faulkner, R.O., «Egypt from the Inception of the Nineteenth Dynasty to the Deaht of Ramesses III» C.A,H3, 2A, 1980, P. 254.

وعن ترجمة بردية هاريس انظر : B.A.R., IV §§ 151 ff.

(٢) Kitchen, K.A. The Third Intermediate Period in Egypt (1100 — 650 B.C.) 2nd ed., Warminster, 1986, P. 246.

ويلسون : الحضارة المصرية ، ص ٤٣٣ .

(٣) جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٣٢٥ .

(٤) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٢٤٩ — ٢٥١ .

(٥) ويلسون : الحضارة المصرية ، ص ٤٣٥ .

(٦) Terny, A.A.H.3, 2B, 1980, PP. 614 — 615.

جاردنر : مصر الفراعنة ، ٣٢٤ .

(٧) Terny, J., «Fluctuation in Grain Prices during the Twentieth Dynasty», 'rchiv orientalni, 6, 1933, PP. 173 ff.

(٨) Kitchen, Op. Cit., P. 245., Cerny, C.A.H.3. 2B, 1980, P. 620.

Gardiner, A.H., «Hamesside Texts Relating to Taxation and Transport Corn» J.E.A., 27, 1941, P. 41.

(٩) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٤٣٥ .

(١٠) بوبوت : مصر الفرعونية ، ترجمة سعد زهران ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ١٤٦ .

(١١) ارمان ـ رانكه : مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة ، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ، القاهرة ١٩٥٣ ، ص ١٢٤ .

Terny, C.A.H3., 2B, PP. 620 — 625.

(١٢) Edgerton, W.F., « The Strickes in Ramesses III's Twenty-ninth Year,» J.N.E.S., 10, 1951 P. 137.

(١٣) عن اضرابات العمال انظر : Ibid. PP. 137 — 145;

Wente., E., «A Letter of Complaint to the Vizier To.», J.N.E.S, 20, 1961, PP. 252 — 257.

Faulkner, C.A.H3., 2A, 1980, P. 246.

(١٤) عبد العزيز صالح مصر والعراق ، ص ٢٢٨ .

(١٥) عن هذه التحقيقات انظر :

Weigall, A., Histoire de L'Egypte Ancienne, Paris, 1968, PP. 181 — 183.

Peet, E., The Great Tomb — Robberies of the Twentieht Egyptian Dynasty, 2 Vols., Oxford, 1930.

Capart, J., Gardiner, A.H., and Dwalle, V., «New Light on the Ramesside Tomb Robberies», J.E.A., 22, 1936, PP. 169 — 193.

ويلسون : الحضارة المصرية ، ص ٤٤٧ .

جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٣٣٠ .

(١٦) بردية هاريس انظر :

B.A.R., IV, § 361.

Faulkner, C.A.H3., 2A, 1980, P. 246.

(١٧) جاءت أحداث تلك المؤامرة فى عدة برديات هى : بردية تورين القضائية وبرديتى « رولين » و « لى » وتعد بردية تورين أهمها جميعا ، انظر :

B.A.R., IV, §§ 416 — 453.

de Buck, A., «The Judical Papyrus of Turin», J.E.A., 23, PP. 152 — — 164.

Wilson, J., A.N.E.T., 1969, PP. 214 — 216.

محمد سعد الله : الدور السياسى للملكات فى مصر القديمة ، الاسكندرية ١٩٨٨ ، ص ١٥٤ — ١٦٣ .

(١٨) Terny, J., C.A.H3., 2B 1980, PP. 612 — 613.

(١٩) Terny, J., Op. Cit., P. 620.

(٢٠) بوزوت : مصر الفرعونية ، ص ١٤٣ .

(٢١) Terny, J., Op. Cit., P. 620.

Edgerton, W.F., «The Government and Governed in the Egyptian Empire», J.N.E.S., 6, 1947, PP. 154 — 158.

(٢٢) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٢٤٩ .

(٢٣) انظر أعلاه ، ص ١٠ .

(٢٤) Lefebvre, G., Histoire des Grands Pretres d'Amon de Karnak, Paris, 1929 M PP. 266 — 267.

وانظر : ص ١٠ — ١١ من نفس الفصل .

(٢٥) جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٣٢٨ — ٣٢٩ .

Terny, Op. Cit., P. 629.

(٢٦) Ibid., PP. 629 — 630.

Peet, E., «The Supposed Revolution of High — Priest Amehotpe under Ramesses IX,» J.E.A., 12, 1926, PP. 254 — 255.

(٢٧) بالقرب من الشيخ فضل حاليا ، على الضفة الشرقية للنيل ، مقابل مدينة بنى مزار .

انظر : Gardnier, A.E.O., II, 98*.

(٢٨) جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٣٣٢ .

(٢٩) Terny, J., S.A.H3., 2B, 1980, PP. 633 — 634.

(٣٠) Terny, L., Op. Cit., PP. 635 — 636.

(٣١) جاردنر : المرجع السابق ، ص ٣٣٢ — ٣٣٣ .

(٣٢) Terny, J. Op. Cit., 636 — 637.

(٣٣) Steindorff, G., and Selle, K.C., When Egypt Ruled the East, Chicago 1954, P. 270.

(٣٤) عن الوحى ودوره فى تاريخ مصر القديم انظر :

Terny, J., «Egyptian Oracles»; in Parker, R.A., A Saite Oracle Papyrus from Thebes, 1961.

سليم حسن : مصر القديمة ، جـ ٩ ، ص ٤٤٩ — ٤٤٦ .

(٣٥) Peet, E., J.E.A., 12, PP. 254 — 255.

(٣٦) عن حريحور ورمسيس الحادى عشر انظر :

Botti, G. «Who Succeded Ramesses IX Neferkere ?» J.E.A., 14, 1928. PP. 84 — 51.

Terny, J., «A Note on the Repeating of Births», J.E.A., 15, 1929. PP. 194 — 198.

Wees, H., «Herihor und die Aufrichtung des thebanischen Gottesstaates», in Nachr. Gottingen, 1936.

Peet, T.E., «The Chronologicall Problems of the Twentieth Dynasty» J.E.A., 14, 1928, PP. 52 — 73.

Nims., C.F., «An Oracle Dated in The Repating of Births», J.N.E.S., 7, 1948, PP. 157 — 162.

Terny, J., C.A.H3., 2B, 1980, PP. 635 — 643.

Kitchen, KA., Third Intermediate, PP. 248 — 254.

(٣٧) Hall, H.R., «Egypt and External Warld in the Timeof Akenaton», J.E.A., 7, 1921, P. 48 f.

Sayce, A.H., «What Happened after the Death of Tut-Ankhamun», J.E.A., 21, 1935, P. 168 f.

Mercer, S.A.B., The Tell-El-Amarna Tablets, Toronto, 1939.
Steindorff and Seele, Op. Cit., P. 241.

Albright, W.F., «The Amarna Latters», A.N.E.T., 1969, PP. 483 — 490;

————— , «The Amarna Letters from Palestine», C.A.H3., **2A** 1980, PP. 98 — 114.

Faulkner, R.O., «The Wars of Sethos 1» J.E.A., 33, 1947, PP. 37 — 38. (٣٨)

Kitchen, K.A., «Some New Light on the Asiatic Wars of Rameses II» J.E.A., 50, 1964, PP. 68 — 69.

Goedicke, H., «Considerations On The Battle of Kadesh», J.E.A., 25, 1966, PP. 72 — 80

Wilson, J., A.N.E.T., 1969, PP. 376 — 378. (٣٩)

(٤٠) بوبوت : مصر الفرعونية ، ص ١٣٩ .

(٤١) عن هذه الفترة انظر :

احمد محمد سـعيد : نهاية الأسرة التاسـعة عشرة في مصر (١٢٠٤ ـ
١١٨٤ ق.م) ، رسالة ماجستير ، كلية الآثار ١٩٨٩ ، لم تنشر بعد .

Wilson, A.N.E.T., PP. 260 — 261. (٤٢)

Edgerton, W.F., and Wilson, J., Historical Records of Ramesses III, Chicago, 1936, PP. 35 — 38. (٤٣)

Wilson, J., A.N.E.T., 1969, PP. 262 — 263.

جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٣١٤ .

Nelson, H., «The Naval Battle Pictured at Medinet Habu», J.N.E.S., 2, 1943, PP. 40 — 55. (٤٤)

(٤٥) بردية « هاريس »

Gaballa, G.A., Narratire in Egyptian Art, Mainz, 1976, PP. 122 — 126.

B.A.R., IV, §§ 403 — 406.

Wilson, J., «The Libyans and the End of the Egyptian Empire». A.J.S.L., 51, 1935. P. 77.

(٤٦) Edgerton and Wilson ,Op. Cit., P .35.

وانظر الفصل الثالث ص ٩٩ ـ ١٠٣ .

(٤٧) انظر أحوال مصر الداخلية ، ص ١٠ ـ ٢٣ من هذا الفصل .

(٤٨) P.M., VII, PP. 372, 375, 381.

(٤٩) اعتمد الباحث على ترجمة :

بريتشارد : نصوص الشرق الأدنى القديمة المتعلقة بالعهد القديم ، جـ ١ ، ترجمة د. عبد الحميد زايد ، هيئة الآثار ، القاهرة ١٩٨٧ ، ص ١٠١ ١٠٩ .

آلان جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٢٣٦ ـ ٢٤٢ .

(٥٠) عن رحلة ونامون انظر :

Gardiner, Late Egyptian Stories, Brussels, 1932.

Leclant, J., «Les relations entre L'Egypte et Phenicia, Lu Voyage d'Ounamon al'Expedition d'Lexandre», in Ward, W., The Role of the Phoenician's in the Insteraction of Medittranean Civilization, Beirut, 1968, PP. 4 — 31.

Wilson, J., A.N.E.T., 1969, PP. 25 — 29.

Goedicke, H., The Report of Wenamun, Baltimore, 1975.

(٥١) انظر ، ص ١٠ ـ ٢٤ .

(٥٢) انظر ، ص ٢٤ ـ ٣٠ .

(٥٣) انظر ، ص ٢٦ .

(٥٤) انظر ، ص ٢٨ ـ ٢٩ . وعن أصل شعوب البحر واستقرارهم فى سورية وجزر البحر المتوسط .

Barnett, R.D., C.A.H3., PP. 369 — 370.; Albright, C.A.H3., PP. 514 — 515.

(٥٥) Edgerton and Wilson, Op., Cit., P. 25.

(٥٦) WainWright, G.A., J.E.A., 47, P. 75.
Barnett, Op. Cit., P. 377.

(٥٧) Gardiner, AE.O., 1, PP. 127* — 128.
Barnett, Op Cit., PP. 361 — 363.

(٥٨) Wainwright, Op. Cit., PP. 71 — 72.
Barnett, Op., Cit., P. 362.

(٥٩) انظر ، ص ٢٧ من نفس الفصل .

(٦٠) Gardiner, A.EO., 1, PP. 149, 199.
Kitchen, K.A., «The Philistines» In Wiseman, D.J., Peoples of The Old Testament Times, Oxford, 1973, P. 58.

جاردنر مصر الفراعنة ، ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨ .

(٦١) Wainwright, J.E.A., 25, PP. 151 — 153; and J.E.A., 47, P .72.

(٦٢) Albright, C.A.H3., 2A, 1980, P. 508.

(٦٣) انظر أعلاه ، ص ٣٦ ـ ٣٧ .

(٦٤) انظر المراجع أعلاه ، ص ٣٠ .

(٦٥) Barnett, C.A.H3., 2A, 1980, P. 376.
Albright, C.A.H3., 2A, 1980, P. 512.

(٦٦) Ibid., P. 508.
Blegen, C.W., «The Expansion of the Mycenaean Civilization, C.A.H3., 2A, 1980, PP. 165 — 187.

(٦٧) سفر التكوين ٩ : ١٨ ، ٢٢ ـ ٢٧ ، وانظر أيضا
The New Bible Dictionary, P. 183.

(٦٨) الحوريون من الأجناس الهندو ـ أوربه اتخذوا طريقهم الى الشرق من طريق التسلل البطىء ثم عن طريق الهجرة العنيفة في ظل ظروف مناسبة .
Speiser, E.A., Introduction to Hurrian, New Haven, 1940.

(٦٩) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم جـ ٣ ، سورية ، الاسكندرية ١٩٦٦ ، ص ٤٧ ـ ٤٨ .
Hitti, Ph. K., History of Syria, London, 1951, PP. 79 — 81.
Millard, A.R., «The Canaanites» in Wiseman, Peoples of the Old Testament Times, Oxford, 1973, P. 34.

(٧٠) هى كلمة هندو ـ اريه تشير الى أعلى طبقة من المحـاربين فى مدن سورية ، وهم الذين كان يعهد اليهم بالعربات وخيولهم الشخصية . جاردنر : مصر الفراعنة ص ٢٢٨ .

(٧١) Wilson, A.N.E.T. 1969, P. 246.

(٧٢) Millard, Op. Cit., PP. 30 — 32.

(٧٣) Caminos, R.A., Late Egyptian Miscellanies, London 1954, PP. 117 — 200.

Erman, A., The Literature of hte Ancient Egyptians, London, 1927 P. 210.

Wilson, A.N.E.T., P. 376.

(٧٤) انظر اعلاه ، ص ٢٥ .

(٧٥) The New Bible Dictionary, PP. 183 — 184.

(٧٦) Bermant, Ch., and Weitzman, M., Ebla, An Arelaeological Enigma, London, 1979, PP. 158 — 190.

(٧٧) هى وثائق عبـارة عن أوان وتمـاثيل صغيرة مكتوب عليهـا بخط هيراطيقى ردىء أسماء اصحاب ثورات قائمـة فعلا أو الثورات التى يحتمـل قيامها فى مصر والبلاد المجـاورة ، وكان يظن بناء على هذا انها تقع تحت سلطان ملك مصر ، فاذا هددت بعض القبـائل أو المدن بالثورة أو العصيان فما على الملك الا أن يكسر الاشياء المكتوب عليها أسماؤها وتقرأ التعاويز اللازمة فى احتفال سحرى وفى التو ينتهى العصيان بمأسـاة تقع على رأس العصـاه بطريقـة ما . انظر : البرايت : آثار فلسطين ، ترجمة زكى اسكندر ومحمد عبد القادر ، القاهرة ١٩٧١ ، ص ٨٥ .

(٧٨) موسكاتى : الحضارات السامية القديمة ، ترجمة السيد يعقوب بكر ، القاهرة ١٩٦٨ ، ص ١٢٣ .

(٧٩) يشوع ١٣ : ٤ ، حزقيال ٦ : ١٤ .

Millard, Op. Cit., P. 33.

(٨٠) البرايت : المرجع السابق ص ١٧٤ ـ ١٧٥ ، عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٣٩٥ .

(٨١) The New Bible Dictionary, P. 334.

Lods, A., Israel from its Beginning to the Middle of the Eight Century, London, 1962, P. 58.

التكوين ٢٥ : ٣٠ ، ٣٦ : ١ ، ٨ : ١٩ .

(٨٢) Noth, M., The History of Israel, London, 1065, P. 154.

(٨٣) التكوين ٣٢ : ٣ ، يشوع ٢٤ : ٤ ، حزقيال ٣٥ : ٣ ، ٧ : ١٥ .

(٨٤) التثنيـة ٢ : ١٢ .

(٨٥) Noth, Op. Cit., P. 155.

(٨٦) التكوين ٢٥ : ١٩ – ٣٤ ، ٢٧ : ١ – ٤٥ .

(٨٧) العـدد ٢٠ : ١٨ – ٢١ .

(٨٨) انظر الفصل الثانى ص ٨٤ ، وكذلك Noth, Op. Cit., P. 196

(٨٩) Lods, Op. Cit., PP. 154 , 185.

(٩٠) قاموس الكتاب المقدس ١/٤٤٥ – ٤٤٦ .

(٩١) اسرائيل ولفنسـون : تاريخ اللغـات الساميـة ، القـاهرة ، ص ١٠٥ .

(٩٢) التكوين ١٩ : ٣٧ . The New Bible Dictionary, P. 834.

(٩٣) راعوث ١ : ٤ .

(٩٤) قاموس الكتاب المقدس ١/٧٥ ، انظر الخريطة رقم ٢ .

(٩٥) العدد ٢١ : ١١ – ١٣ .

(٩٦) Noth, Op. Cit., PP. 155 — 157.

(٩٧) كان المبشر الألمـانى (كلاين) أول من اكتشف هـذا الحجـر فى عام ١٩٦٨ م عند العاصمة المؤابيـة « ديبون » (ذيبان الحالية على بعد حوالى ٥ كم شـمال نهر ارنون وشمال غرب عرعير) ولكنه فشـل فى الحصول عليه ، واثناء وجود الباحث الفرنسى « كليرمونت جانو » فى القدس علم بالأمر فانتقل الى « ديبون » واخذ الحجر « المؤابى » ونقله الى متحف اللوفر ببـاريس ، والحجر عبـارة عن قطعة من صخور البازلت الأسـود ، عرضها ٥٥ سم وطولها ١٠٠ سم وسمكها ٧٥ مم وعليهـا ٣٤ سطرا من الكتابة المؤابية ، وقد اقامه « ميشع » ملك مؤاب حـوالى ٨٥٠ م . تخليدا لانتصـاره على يربعـام ملك اسرائيل وشكرا للاله « كيموش » .

قاموس الكتاب المقدس ٢/٩٢٩ .

The New Bible Dictionary, P. 835.

Clermon-Ganneau, G.A., La Stèle de Mesa, Paris, 1887.

(٩٨) Murphy, P., «A Fragment of a Moabite Incription», B.A.S.O.R., 125, 1952, PP. 20 — 23.

(٩٩) Winnett, F., and Reed, W., «A Moabite Incription from Kerak», B.A.S.O.R., 172, 1963, PP. 1 — 9.

(١٠٠) Freedman, D.N., « A Boabite Inscription from Kerka», B.A.S.O.R., 175, 1964, PP. 50 — 51.

(١٠١) العدد ٢٢ : ٢ ، قضاة ٣ : ١٢ .

(١٠٢) محمود أبو طالب : آثار الأردن وفلسطين فى العصور القديمة ، ط ١ ، الأردن ١٩٧٨ ، ص ٨٣ — ٨٤ .

Oppenheim, J.R., «The Moabites and Edomites», in Wiseman, Peoples of the Old Testament Times, PP. 229 — 249.

(١٠٣) Rowley, H., From Joseph to Joshua, London 1950, P. 129.

(١٠٤) Meak, T.J., Hebrew Origins, New York, 1950, P. 43.

(١٠٥) Rowton, M.B., « The Problem of the Exodus » P.E.Q., 90, 1958, PP. 50 — 60.

(١٠٦) Albright, B.A.S.O.R., 58, 1935, P. 10f
Aharoni, Land of the Bible, 1970, P. 15 f.

(١٠٧) Kenyon, K.M., Archaeology in the Holy Land, London, 1964, P. 209.

Franken, H.J., «Palestine in the Time of the Nineenth Dynastry Archaeological Evidence», C.A.H3., 2A, 1980, P. 334.

(١٠٨) البرايت : آثار فلسطين ، ص ١٠٩ .

(١٠٩) «Into the Promised Land,» in New Bible Atlas
P. 8.
Eissfeldt, O., «The Hebre wKinkdom», C.A.H3., 2B, 1980, PP. 541 — 548.

(١١٠) عن الأدلة الأثرية لاستقرار الاسرائيليين فى فلسطين انظر :
Franken, C.A.H3., 2A, 1980, PP. 334 — 337.

(١١١) البرايت : آثار فلسطين ، ص ١١٥ .

(١١٢) موسكاتى : الحضارات السامية القديمة ، ص ١٤٠ .

(١١٣) Eissfeldt, Op. Cit., 548 — 553.

(١١٤) كان القضاة أبطالا وطنيين وحكاما ولدتهم الأحوال فى الأوقات الحرجة ، وقادوا قومهم لمحاربة الأعداء المجاورين والحكام الأجانب ، وهؤلاء القضاة لم يخلف الواحد منهم الآخر ، بل نجد أكثر من واحد فى أن واحد ، وكان الواحد منهم يطلق عليه أحيانا لقب ملك .

(١١٥) Eissfeldt, Op. Cit., PP. 553 — 560.

(١١٦) القضاة ٣ : ١ — ٧ .

(١١٧) انظر أعلاه ، ص ٣٦ — ٣٧
وكذا Dothan, T., The Philistines and Their Material Culture New Haven and London, 1982, P. 1.

(١١٨) التكوين ١٠ : ١٤ ، أخبار الأيام الأولى ١ : ١١ — ١٢ .

(١١٩) Dothan, Op. Cit., P. 13.

(١٢٠) قاموس ٩ : ٧ ، تثنية ٢ : ٢٣ .

(١٢١) يشوع ١٣ : ٢ — ٣ .

(١٢٢) التثنية ٢ : ٢٣ .

(١٢٣) كان العناقيون يسكنون فى جنوب فلسطين فيما بين القدس والخليل وقد أرهبوا العبرانيين بمجرد رؤيتهم ومن ثم فقد جبنوا على محاربتهم الى أن طردهم كالب واستولى على الخليل منهم ، وقد بقى العناقيون فى « أشدود » حتى بعد الغزو العبرانى .

يشوع ١١ : ٢١ — ٢٢ ، ١٤ : ١٢ — ١٣ .
Dothan, Op. Cit., P. 16

Dothan, Op. Cit., PP. 16 — 17. . ١٤ : ٣ صموئيل الأول (١٢٤)

. البرايت : آثار فلسطين ، ص ١١٨ (١٢٥)

Albright , C.A.H3., 2A, 1980, P. 509.

Pritchard, Op. Cit., P. 99.

Albright, Op. Cit., P. 509. (١٢٦)

Wainright, J.E.A., 47, P. 74. (١٢٧)

Albright, Op. Cit , PP. 510 — 511.

Dothan, Op. Cit., PP. 17 — 18, Bible Dictionary, (١٢٨)
PP. 828, 94, 92.

The New Bible Dictionary, PP. 94 — 95, 354 — 355; 454 — 455.
Gardiner, A.S.O., I. PP. 190 — 191.

Aharoni, Land of the Bible, PP. 248 — 250. (١٢٩)

Dothan, Op. Cit., P. 20. (١٣٠)
Wainwright, «Keftiu» J.E.A., 17, 1931, PP. 26 — 43.

————, «Caphtor, Keftiu and Cappadocia», P.E.F.O., 1931
PP. 203 — 216.

Dohtan, Op. Cit., P. 20 (١٣١)

Malamat, Campaigns to the Mediterranean by (١٣٢)
Iahdunlim and other Early Mesopotamian Rulers, Chicago, 1965
PP. 365 — 373.

Barnett, C.A.H3., 2A, 1980, P. 315.

Astaur, M.C., Hellenosemitica, Leiden, 1965, PP. (١٣٣)
107 — 110, 173.

(١٣٤) عن الآلة الآرية انظر :

Vercoutter J., L'Egypte et le Mond eegeen Prehellenique, le Caire
1956, PP. 110 ff.

Dothan, Op. Cit., P. 22. (١٣٥)

(١٣٦) Albright, C.A.H3., 2A, P. 509.

البرايت : آثار فلسطين ، ص ١١٧ .

Pritchard, J., New Evidence on the Role of the Sea Peoples in Canaan at the Beginning of the Iron Age, Beirut, 1967, P. 99.

Catling, H.W., C.A.H3., 2A, 1980, PP. 188 — 209.

(١٣٧) Bonfante, «Who Were the Philistines» A.J.A., 50, 1946, PP. 252 ff.

(١٣٨) Mazar, The Philistines and their Wars Israel, New Brunswick, 1971, P. 166.

Kitchen, The Philistines, PP. 55 — 56.

(١٣٩) البلاسجيون : سكان بلاد اليونان الأصليين غير الهلينيين ، وقد ظلت بقاياهم نقية فى العصور الكلاسيكية وكانت لغتهم ـ فيما يرى هيردوت ـ بربرية أى غير هلينية .

(١٤٠) Albright ,C.A.H3., PP. 512 — 513.

(١٤١) Barnett, C.A.H3., PP. 372 — 373.

Albright, Op. Cit., P. 516.

Dohtan, Op. Cit., PP. 22 — 23.

الأليادة ٢ : ٨١٩ .

(١٤٢) Nazar, Op. Cit., P. 166.

(١٤٣) Albright, Op. Cit., P. 513.

(١٤٤) صموئيل الأول ١٣ : ١٩ ـ ٢٢ .

Pritchard, Op. Cit., P. 100.

(١٤٥) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٢٣٨ .

(١٤٦) Kitchan, The Philistines, P. 63.

(١٤٧) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ، ص ٣٥٣ .

Eissfeldt, S.A.H3., P .571.

(١٤٨) صموئيل الأول ١٣ : ١٩ ـ ٢٢ .

Aharoni, Land of the Bible, P. 252.

الفصـــل الثـــانى

الانقسام المصرى والملكيـــة الاسرائيلية

من القرن الحادى عشر حتى منتصف القرن العاشر ق٠م

مقدمـــة :

اولا ـ مصـــــر

١ ـ الأحوال الداخلية فى عصر الأسرة الحادية والعشرين :

(أ) الحـالة السياسـية ٠

(ب) الأحوال الاقتصادية والاجتماعية ٠

ثانيـا ـ فلســطين

١ ـ الملكيـة الاسرائيلية :

(أ) عوامل قيـام الملكية الاسرائيلية ٠

(ب) مفهوم الملكيـة فى اسرائيل ومقارنته بملكيـة بلاد الرافـدين ٠

(ج) الملكية فى بلاد الرافدين : نشأتها ـ تطورها ٠

٢ ــ الاسرائيليون والفلسطينيون والأدوميون فى عصر الملكية :

(أ) شــاول والفلسطينيون .

(ب) داود والفلسطينيون ــ الموقف المصرى .

(جـ) داود والأدوميون ــ الموقف المصرى .

٣ ــ مصــر واسرائيــل :

(أ) زواج سليمان من أميرة مصرية .

(ب) الغزو المصرى لفلسطين .

مقدمـــة :

رأينا في الفصل الأول كيف تدهورت أحوال مصر الداخلية من النواحي الاقتصادية والاجتماعيـة والسياســية والأمنية في أواخر الأسرة العشرين ، وما ترتب على ذلك من ضـــياع عيبة الفرعـون وازدياد نفوذ الكهنة خاصـــة كهنة الاله « آمون » ، وتفشي الفساد والرشوة داخل الجهاز الحكومي وارتداء رجـال الجيش للثيــاب الكهنوتيـــة للوصــول لأهــدافهم السياســية ثم انتحال الألقــاب الفرعونية (حريحور) فأصبحوا يكونون دولة داخل دولة ، فكان الانقسام أمرا طبيعيا ونتيجـة حتمية لمــا مرت به مصر خلال تلك الفترة وســوف نجد هذا واضحا خـلال عصر الأسرة الحادية والعشرين حيث انقســمت مصر واقعيــا الى مملكتين ، الأولى في الشمال والثانية في الجنوب ، وسنحاول في الصفحات الأولى من هذا الفصل أن نوضــح سياســة كلا البيتين الحاكمين تجــاه الآخر ، وانعكاس ذلك على الأحوال الاقتصــادية والاجتماعية والسياســية والنتائج المترتبة عليها •

كما أوضحنا أثر تلك الأحوال الداخلية المتردية على نفوذ مصر الخــارجي ، وما ترتب عليه من فقدان مصر لأملاكها ونفوذها في آســيا ، مما أدى الى وجود نوع من الفراغ السياسي كان عاملا مساعدا لاستقرار عناصر بشرية جديدة ، وقيــام ممالك مستقلة قوية في ســورية وفلسطين الى جانب الممالك القديمة وعلى أنقاضها

ومحاولة كل منها السيطرة على الأخرى ، مما ادى الى قيام الصراع بينها جميعا والذى كان من أبرزه الصراع المسلح بين الاسرائيليين والفلسطينيين وبين الاسرائيليين والأدوميين ، وقد رأى الاسرائيليون فى قيام النظام الملكى وسيلة للدفاع عن أنفسهم ضد الأعداء .

وسوف نحاول ابراز العوامل التى حدت بالاسرائيليين الى ايجاد نظام ملكى وما هو مفهوم الملكية عندهم ومقارنته بالنظم الملكية عند أهل بلاد الرافدين والكنعانيين ، وأخيرا نختتم هذا الفصل بالحديث عن علاقة فلسطين بمصر فى عهدى « داود » و « سليمان » وعلاقة مصر « بأدوم » وبالفلسطينيين .

اولا ـ مصـــر

١ ـ الأحوال الداخلية فى عصر الأسرة الحادية والعشرين

(أ) الحالة السياسية :

ارتبطت سياسة الأسرة الحادية والعشرين بأحداث الفترة الأخيرة من عصر الأسرة العشرين حيث مهدت لهذا العصر فترة أحد عشر عاما بدأت بما اعتبره كبار كهنة « آمون » (عصر نهضة) واقتسم السلطة الفعلية خلال تلك الفترة (١٠٨٠ ـ ١٠٦٩ ق٠م) كل من « نسبانب جد » ، (سمندس) فى « تانيس » وثلاثة من كبار كهنة « آمون » فى « طيبة » هم « حريحور » و « باى عنخ » و « باى نجم الأول »(١) .

ما أن توفى « رمسيس الحادى عشر » (حوالى ١٠٦٩ ق٠م) حتى أصبحت مصر تحكم من عاصمتين منفصلتين ، ففى طيبة فى الجنوب أقام كبار كهنة آمون حكومة ثيوقراطية اعتمد تدعيم

سلطتهم فيها على مكانة طيبة العريقة وسلطان الاله آمون الذى فاق كل سلطان ، فضلا عن السيطرة على ثورة « بلاد النوبة » وقد امتدت سيطرتهم حتى مدينة « الحيبة » على مبعدة خمسة كيلو مترات جنوب مدينة « الفشن » بمحافظة بنى سويف ، وعلى الواحات الجنوبية ومناطق التعدين فى « قفط » و « وادى عبادة » و « وادى الكاب »(٢) .

أما تانيس فى الشمال فقد حكم فيها بيت « نسبانب جد » واعتبر أفراد هذا البيت أنفسهم الورثة الشرعيين لملوك الأسرة العشرين بحكم قرابتهم بهم ومصاهرتهم لهم بعد أن دعم راسهم شرعية سلطته بزواجه من « تانت آمون » سليلة الرعامسة(٣) ولعل هذا الاسم (تانت آمون) يروى قصة هذه السيدة التى يبرزها « ونأمون » على الدوام شريكة للملك « نسبانب جد » اذ من الواضح أنها كانت حلقة الاتصال التى تربط طيبة بتانيس(٤) كما ساعدهم ما حققوه من ثراء ورخاء نتيجة لاشرافهم على تجارة مصر الخارجية مع غربى آسيا وحوض البحر المتوسط، ويتضح ذلك من تقرير « ونأمون » عندما قال له حاكم « جبيل » : « أفلا ترى فى مينائى عشرين سفينة فى علاقات تجارية مع « نسبانب جد » ؟ أما عن صيدا هذا (المكان) الآخر الذى مررت به اليس فيها خمسون سفينة أخرى هناك لها علاقات تجارية مع روكت ــ ايل »(٥) .

ووجد البيتان الحاكمان فى « طيبة » و « تانيس » انه لا قبل لاحدهما بتجاهل الآخر أو الانفراد بالأمر دونه ، فأتما سياسة الوفاق وزاوجا بين سلطتيهما الدينية والدنيوية عن طريق المصاهرة، فزوج بعض ملوك « تانيس » بناتهم لأبناء كهنة « طيبة » وكفلوا

لهن بذلك المشاركة فى رياسة كهنوت « آمون » وحمل لقب « حرم الاله » ذى المخصصات والامتيازات الواسعة والذى اكتسب صبغة سياسية الى جانب صبغته الدينية(٦) ، وبذلك كفلوا السلام بين البيتين وفى نفس الوقت ضمن ملوك « تانيس » تزكية لامتداد نفوذهم فى « طيبة » وكون ملوك « تانيس » يلجأون الى ذلك انما كان مقرا لاقامة « من خبر رع » و « ايسمخب »(٢٥) .

سياسيا ويؤكد ذلك أيضا أن نشاطهم المعمارى خارج « تانيس » كان محدوداً ، فقد عثر على نقش صخرى فى محاجر الدبابية قبالة الجبلين يروى كيف أن « نسبانب جد » جلس فى قصره فى « منف » يفكر فى عمل يبرز تقواه حتى يناله التمجيد وحين علم أن بهو الأعمدة الذى بناه « تحتمس الثالث » فى الأقصر قد أغرقه الفيضان حتى السقف أرسل ثلاثة آلاف من رجاله لقطع الحجر الرملى اللازم للترميم(٧) ، من الواضح أن هذا العمل لم ينبع من نفس الملك بل ساقته الظروف اليه فوجدها فرصة لارضاء كهنة « آمون » ورغم أن هذا العمل يعد هزيلا بالقياس لأعمال الملوك العظام فى الدولة الحديثة فان خلفاءه لا يعدو ذكر آثارهم فى مصر العليا أو الوسطى سوى معبد صغير « لايزيس » عند سفح الهرم الأكبر ، ومعبد للملك « سيأمون » فى « منف »(٨) .

واذا كان ملوك « تانيس » كفلوا لبناتهم المشاركة فى رياسة كهنوت آمون كما سبقت الاشارة فان هذه السياسة كان لها وجه آخر ، حيث نقلت بنات هؤلاء الملوك الى أزواجهن أو أولادهن حقوقا شرعية استغلها بعضهم فى اتخاذ الألقاب الملكية من بين هؤلاء النساء « حيت تاوى » ابنة « تانت آمون » زوجة « نسبانب جد » وقد أصبحت « حنت تاوى » الرئيسة الأولى لحظيات « آمون رع » فى « طيبة » وهو لقب زوجات كبار كهنة « آمون »(٩) ، أما « ماغ كارع » فكانت تلقب « ابنة الملك المحبوبة

من صلبه » وكانت تمثل فى « طيبـــة » العابدة الالهية والزوجـة الالهية لآمون ، ثم لقبت مرتين على تابوتها بلقب « زوجـــة الملك العظمى »(١٠) ، وقد تعددت الآراء حول تحديد اسم والدها(١١) ، ومهما كان الاختلاف فالمتفق عليه أنها ابنة ملك ، اذا فأبوها أحد ملوك « تانيس » ومن هنـــا كان لقبها « ابنة الملك المحبوبة من صلبه » ، أما لقب « العابدة الالهية » و « الزوجة الالهية » لآمون فيعني أنها انتقلت من « تانيس » مقر الملوك الى « طيبة » مقر كبار الكهنـــة وأنها أصبحت زوجـــة لأحد كبار كهنة آمون ، أما لقبها زوجـــة الملك العظمى فربما انتحل زوجها (كبير كهنة آمون) الألقـــاب الملكية ، وقد فعل ذلك « باى نجم الأول » فادعى الألقاب الملكيـــة وأطلق على نفســـــه فى نقوش الواجهــــة الأماميـــة لصرح معبد « خونســـو » بالكرنك لقب الكاهن الأكبر لآمون « باى نجـــم بن بيعنخى » وكان ولده « من خبر رع » عندما يشير الى نفسه يقول انه ابن الملك « باى نجم » « مرى آمون »(١٢) .

ومن كبار الكهنة الذين ادعو الملك أيضـــا « من خبر رع » وان لم يظهر اســـمه فى الخراطيش الا نادرا على أن يسبقه لقب « الكاهن الأكبر » فقد وجد اسمه داخل خرطوش مرتين ، الأولى على بردية جنازية لابنته « جاســـوشن » والأخرى وجد فيها اســـمه ولقبه الخاص بكبير كهنة آمون على طبعـــات قوالب من الطوب عثر عليهـــا فى « الحيبة » بمصر الوســـطى ، وأحيانا ما وجد اســـمه مقرونا باسم زوجة « ايسمخب » (أس أم خبه) داخل خرطوش وفى حالة واحدة ضم الخرطوش لقب « ملك مصر العليـــا والسفلى » مما يشير الى أنه ادعى الملك(١٣) ، والحقيقـــة أن ادعـــاء كبـــار كهنة آمون للملك كان نتيجـــة طبيعية لسياســـة ملوك « تانيس » تجاه « طيبـــة » والتى كانوا يهدفون من ورائها الى بسط نفوذهم وسيادتهم عليها ، فكانت النتيجـــة عكس ما أرادوا ، وهذا ما سوف

يحاول أن يتجنبه شاشانق الأول مؤسس الأسرة الثانيـة والعشرين عندما يتخذ نفس الوسيلة لبسط سيادته على طيبة(١٤) .

وفى سـبيل تحقيـق الوفـاق بين البيتين « الطيبى » و « التانيسى » اعتز فراعنة بيت الشمال بمذهب الاله « آمون » وتلقب أكثر فراعنتـه بلقب « ستين آمون » و « مرى آمون » أى المصطفى من آمون وحبيب آمون ، كما يتضح تأثير « طيبـة » على « تانيس » من مدلولات أسـمائهم والتى يتضح منها مدى اصرار أصحابها على الانتساب الى « آمون » رب « طيبة » فاسم « آمون أم نسـو » بمعنى آمون هو الملك ، هو اسـم طيبى ، وكذلك « باسباخع نوت » (بسوسينس) بمعنى النجم الذى يظهر فى المدينة « طيبة » وأيضـا اسم « آمنمؤبى » بمعنى آمون فى أوبت (الأقصر) وبالمثل « سيأمون » بمعنى « ابن آمون »(١٥) ، مما يعنى حرصهم على بقاء صلتهم برب « طيبة » رب الدولة الكبير ، فبعد أن كانت عبادة « ست » والمعبودة الآسـيوية « عنـات » سائدة فى « بر ـ رعمسيس » على أيام الأسرة التاسعة عشرة ، فانها تلاشت الآن وحل محلهـا ثالوت « طيبة » (آمون وموت وخونسـو) كالهـة رئيسية ان لم تكن هى الالهـة الوحيدة التى عبدت فى « تانيس » وهـذا يدل على ان ملـوك « تانيس » كانـوا يتقربـون للالـه الطيبى(١٦) .

من الواضح أن تمسـك ملوك « تانيس » بالاله « آمون » ومحاولة التقرب للبيت الطيبى كان وراءه دوافع سياسية ، خاصـة فى فترة تغلب فيها طابع الدين على حياة المجتمع وأفكاره ، حتى أصبح الكاهن الأكبر لآمون يحكم القومعن طريق استلهام وحى الاله(١٧) الذى كان يتدخل فى كل شيء حتى أدق الأمور الشخصـية عن طريق اجابة من وحى آمون وهكذا تسلط الدين على افهام الناس ، حتى

ظنوا ان أرادة « آمون » التى كان يصـدرها الكهان كافيـة لتعرف شئون الحياة وقد أكد الكهنـة ان الاله آمون هو الاله الأول الذى انبثق منه كيان كل الالهـة ، كما أكدوا طبيعته الغامضـة تأكيدا شديدا ، واستخدموا فى سبيل ذلك التورية والجناس بين اسمه وبين فعل « أمن » بمعنى « يختفى » وأما وجود الالهـة الأخرى فكان متجاهلا ولكنهم لم يضطهدوا كما حدث فى عهد « اخناتون » معنى ذلك أن ملوك « تانيس » جعلوا لتوجيهات كبار كهنة آمون من خلال وحى « آمون » نصيبا فى حل مشكلات بلادهم ، ارضـاء للكهنة كشركاء ، ورغبـة فى التخلص من عبء المسئوليات والقـاء عواقبها على عاتق وحى « آمون » وهكذا فان الملكية التانيسية قد استغلت مركز الاله « آمون » الضخم كسـلاح نافع فأصبحت سيادتها الواقعيـة بهـذه الصفـة مقبولة دون خضـوع أكثر من اللازم(١٨) .

(ب) الأحوال الاقتصادية والاجتماعية :

اما عن أحـوال مصر الاقتصـادية فى عصر الأسرة الحاديـة والعشرين ، فقد ظلت متدهورة حتي استعان ملوك « تانيس » فى بعض منشـآتهم المعماريـة بأحجـار المبـانى القديمـة فى « بر ـ رعمسيس » وغيرها(١٩) ، ورغم ذلك اسـتمر الفراعنـة فى حب الترف القديم فى شئون الدنيـا ومطـالب الدين • وبنـاء المقـابر الضخمة ، وظلوا أكثر المستفيدين من امكانيـات عصرهم كما فعل فراعنة الأسرة العشرين ، ويوضح ذلك ما كشف من مقابر ملوك « تانيس » وأمرائها واثريائهـا لاسـيما « بسـوسينس الأول » و « موت نجمة » و « أمنمؤبى » و « أونوجبا ونجد »(٢٠) ، ويوضح ذلك أن حجرة الدفن فى مقبرة « بسـوسينس الأول » قد حوت تابوتا من الجرانيت الوردى ، نقش على غطائه صـورة هذا الملك ،

ووجد أربعـة أوانى أحشـاء راس كل منهـا ملون باللون الأزرق والذهبى ومحلى بنصـل من الذهب ، كمـا وجد حاملا طويلا من الذهب ركب فيه « طشت » موضـوع على موقد مربع من البرونز ، وكان يوجد فى التابوت نفسه تابوت آخر من الجرانيت الأسـود وعند ازالة الغطـاء الثقيل الذى كان على هذا التابوت ظهرت مجموعة من الأسلحة والصولجانات ، ثم هنـاك تابوت ثالث من الفضة وعندما بدىء فى أخذ ما على هيكل « بسوسينس » من حلى ، نزع أولا قنـاعا فصلت فيه قسمات وجهه وقد صيغ هذا القناع من الذهب ، ثم صفيحة رقيقة من الذهب المنقوش كانت تغطى جميع الجسم ، وكذلك نزع من المومياء اثنا عشر سـوار ذراع من ذراعه اليسرى ، وعشرة أخرى كانت فى الذراع اليمنى ثم أغطيـة أصابع اليد الى جـانب ثلاثين خاتمـا ، كل هـذه المجوهرات كانت من الذهب المطعم بالأحجار كما عملت أغطية أصابع الرجلين على شكل حق من الذهب ، كما وجدت خفان من الذهب(٢١) .

ولا يقصد الباحث من ذلك وصفا للمقبرة بقدر ما يقصـد اظهار مدى الاسراف الذى مارسـه فراعنة الأسرة الحادية والعشرين رغم تدهور أحوال البلاد الاقتصـادية والتى توضحها أيضـا قلة النشاط المعمارى لكهنة « آمون » حتى لو أخذنا فى الاعتبـار عوامل الزمن من اتلاف وتخريب فقد أتم « تاى نجم الأول » بنـاء صرح معبد الاله « خونسـو » الذى بدأه جده « حريحور » وقد حلى « باى نجم »واجهتى الصرح من الداخل والخارج بالنقوش(٢٢) ، وليس من المؤكد أنه هو الذى شـيد مقصـورة « أوزيرتب عنخ » فى الكرنك ، وان كانت نقوشـه وأسماؤه قد وجدت على احدى براباتها ، ولعل السبب أنه ظهر كما لو كان قد وضـع اسمه فقط على آثار موجودة فعـلا ، أما آثار « ما سحرتا » و « باى نجم

الثانى » فكانت أقل من ذلك ، بينما أقام « من خبر رع » حائطا عظيما من اللبن شمال الكرنك من صالة « آمون » حتى الخزانة الشمالية لبيت « آمون » وقد وجدت كتل من الطوب المهورة باسمه فى الكرنك(٢٣) ، كما شيد « خبر رع » برجا للمراقبة الى الجنوب قليلا من « الحيبة » على مقربة من قرية نزلة الشرفا الحالية ، ويحدد حصن « الحيبة » الحد الشمالى لسلطان كهان « آمون » كما سبق أن ذكرنا كما كان الهدف من هذا الحصن حماية الحدود ضد الحكام المحليين من مرتزقة الليبيين الذين استقروا فى « اهناسية » على مبعدة ٣٢ كم شمال « الحيبة »(٢٤). فقد كان هؤلاء الليبيون هم العدو الحقيقى لكبار كهنة « آمون » الأمر الذى دفع هؤلاء الكهنة الكبار الى اظهار قوتهم ، فحملوا لقب « القائد العظيم لجيش مصر العليا والسفلى ولكل البلاد » وقد اكتشف فى « الحيبة » أجزاء من رسائل تشير الى أن الحصن انما كان مقرا لاقامة « من خبر رع » و « ايسمخب »(٢٥) .

كان لتدهور أحوال مصر اقتصاديا كما سبق ان ذكرنا اكبر الأثر على أحوالها الاجتماعية والأمنية ، فاستمرت الاعتداءات على مومياوات الملوك السابقين (انظر سرقات المقابر فى الفصل الأول ص ١٤ ـ ١٥) وهذا يدل على ضعف الفراعنة وفساد الحكومة ، وقد اثار هذا الأمر حزن وغضب كبار كهنة « آمون » فى « طيبة » ، ومن ثم عملوا على نقل مومياوات الملوك من مقابرها المسروقة واعادوا دفنها فى مكان سرى (وهو ما عرف فيما بعد بخبيئة الدير البحرى) ، وهناك ما يشير الى ان هذا الاتجاه قد بدأ منذ أيام « حريحور » و « باى نجم الأول » غير ان الأمر لم يوضع موضع التنفيذ الا فى العام العاشر من عهد الملك « سيأمون » حيث تم نقل المومياوات الملكية فضلا عن مومياوات بعض أفراد العائلة

المـالكة ، واودعت مع ما بقى من اثاثها الجنازى فى مقبرة زوجتـه « نس خونسـو » والتى كانت من قبل للملكة شبه منسبة تدعى « انحعبى » وتقع أسـفل تلال جبانة « طيبة » الغربيـة فى واد صغير جنوب الدير البحرى ، وقد ظلت هذه المقبرة مغلقة منذ ذلك الحين حتى كشف عنهـا بعض أهـالى « القرنة » فى عـام ١٨٨١ م وعثر فيهـا على مومياوات الملوك « سقنن رع » و « أحمس » و « امنحتب الأول » و « تحتمس الثـانى » و « الثـالث » و « ستى الأول » و « رمسيس الثانى والثالث » وكبـار الكهنـة « ماسحرتا » و « باى نجـم الأول » والملكات « موت نجمـة » و « ماع كارع »(٢٦) .

مجمل القول أن سياسـة المسالمـة بين البيتين الكبيرين فى « طيبة » و « تانيس » أدت الى الابقاء على نظـام الحكم الثنائى مائة وأربعة وعشرين عاما (١٠٦٩ ــ ١٠٤٥ ق٠م) أى عصر الأسرة الحـادية والعشرين الذى اتسـمت فيه سياسـة مصر بالفتور والانطواء تجاه جنوب غربى آسـيا ، وكان وراء ذلك عوامل داخلية وخارجية تمثلت فى فترة اسـترجاء أعقبت خمسة قرون من اليقظـة المتصلة خلال الدولة الحديثـة ، فلم تتعرض مصر لضربات عنيفـة من الخارج تجبرها على الحركة ، فالخطر الخـارجى يولد الوحدة والتغلب على المشاكل الداخليـة ، ولكن بالنظر للعـالم المحيط بمصر خـلال تلك الفترة نجد أن النوبـة كانت قـد اصطبغت بالحضارة المصرية وربطت مصـايرها بها ، أما بلاد الشام فكانت فى شغل شاغل بمشاكلها الاقليمية بعد أن استقرت شعوب البحر فى مواطنها الجديدة كما سبق أن ذكرنا فى الفصل الأول ص ٤٢ ، ٤٣ فانشغلت كل دويلة ببلاد الشـام بمحـاولة اثبات كيانهـا على حساب جيرانها ، فكانت منافسـة طوائف العبرانيين بعضهم لبعض على الحكم وزعامة الدين ، فضـلا عن حروبهم المتقطعة مع دويلات

الكنعانيين والفلسطينيين كما سبق أن ذكرنا فى الفصل الأول ص ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ثم نجح « داود » فى تأسيس مملكته على حساب بعض جيرانها كما سيأتى ذكره (عن أحوال فلسطين السياسية والجغرافية انظر الخريطة رقم ٢) • وقد ساعدت هذه الظروف مصر فى المحافظة على حدودها الخاصة وعلى استقلالها خلال عصر الأسرة الحادية والعشرين رغم ضعف وحدة الحكم وتقلص نفوذها الخارجى •

ثانيا ـ فلسطين

١ ـ الملكية الاسرائيلية

(أ) عوامل قيام الملكية الاسرائيلية :

ذكرنا فى الصفحات السابقة من هذا الفصل أن سياسة مصر تجاه جنوب غرب آسيا فى عصر الأسرة الحادية والعشرين اتسمت بالانطواء ، وقد أعطت هذه السياسة لدويلات بلاد الشام الفرصة لمحاولة كل منها اثبات كيانها على حساب جيرانها باستخدام الوسائل المختلفة ، فوجدت قبائل بنى اسرائيل فى الوحدة وسيلة للوقوف فى وجه الأعداء المجاورين ، لذا كانت رغبتهم ملحة فى اتباع النظام الملكى وكانت هناك عدة عوامل حدت بالاسرائيليين الى قيام الملكية •

أول هذه العوامل هو الخطر المحيط بالاسرائيليين فكان الكنعانيون من ناحية والفلسطينيون من ناحية أخرى يضعون الاسرائيليين بين شقى الرحى ، كذلك كان المديانيون والمؤابيون والعمونيون والأراميون يمثلون خطرا دائما على وجودهم وكانت

الفرقة حينئذ تمزق اسرائيل من الداخل حتى انها كانت فى نهاية الألف الثانيـة فى اضمحلال يكاد يكون تاما(٢٧) ، فكان لابد أن يتطلع الاسرائيليون الى الوحدة للحفـاظ على البلاد من غـارات الشعوب المجاورة(٢٨) .

ثاني هـذه العوامل أن الكهنوت الاسرائيلى كان قد تسلمته اياد ضعيفة منذ أيـام « فينحـاس » الذى لم يكتف هو وأخوه « حفنى » ولدا « عالى » بطمعهما الجشـع بل كانا يمارسـان ضروبا من العبادة الوثنية ، اذ كانت الطقوس الشهوانيـة تمارس فى « الأعياد الوثنية منذ القدس » ، الا أنها لم تدنس الكهنـة ، من نسل « هارون » ولكن هذين الشابين لم يتورعا عن افسـاد النسوة اللائى كن يترددن على المعبد المقدس للقيـام بالخـدمات التى كانت تتطلب عملا يليق بالنساء(٢٩) .

ثالث هذه العوامل ، ان الاسرائيليين ربما كانـوا على علم بمحاولات سابقة عن قيـام ملكية اسرائيلية كما حدث على أيـام « جدعون وابيمالك »(٣٠) ، هنـاك نص فى سـفر التثنية يجعل التحكم فى اسرائيل ملكيا(٣١) ، ومن ثم فالملكية الاسرائيلية هى هبة من « يهوه » رب اسرائيل لشعبه(٣٢) .

رابعـا : أن الاسرائيليين كانوا يعيشـون بين أقوام يحـكمهم مـلوك ، فالأدوميون والعمونيون والمؤابيـون ، كان لهم مـلوك ، والفلسطينيون كان لهم اقطـاب أشـبه بالملوك كما كان للفنيقيين ممالك مدن (المدينة ــ الدولة) مما دفع بنى اسرائيـل للمطالبـة بملك يحارب حروبهم ويكون لهم قاضيا ، وعلى ذلك فان الملكيـة الاسرائيلية لم تستقر الا على أسس مقتبسة من الخـارج ، ويتضح هذا من احتفاظهم بنظـامهم القبلي فيما يختص بالشـئون الادارية

وكان هذا من عوامل التنافس بين قبائل الشمال والجنوب والذى كان من عوامل القضاء على الدولة(٣٣) ٠

واضح اذن ان الاسرائيلين كانوا مدفوعين بحكم الظروف على ان يتجهوا هذا الاتجاه فصورت لنا أسفار العهد القديم قبائلهم مترددة بين الحرية القديمة وبين النظام الجديد فكانت تعز عليها حرية البدو القديمة ، ويدفعها الخوف من العدو بالرضا بالأمر الواقع ، ويظهر هذا واضحا من تحذيرات النبى « صمويل » من الاضرار التى تنجم عن خضوعهم لحكم رجل واحد(٣٤) ، معنى ذلك ان الخوف من العدو كان العامل الأساسى والمباشر لقيام الملكية الاسرائيلية ، وزوال هذا الخوف كان من عوامل انقسام تلك المملكة كما سوف نرى فى الفصل الثالث ٠

كان صمويل النبى هو الذى اتخذ الخطوة الأولى لقيام الملكية فى اسرائيل ، فقد كان نبيا كبقية الأنبياء الجوالين الذين كانوا يحملون لقب « الرائى » قبل أن يظهر لقب النبى(٣٥) ، ولكنه كان يمتاز عمن تقدموا بشخصيته ومظهره ، به بدأت النبوة فى بنى اسرائيل فى التبلور بشكل واضح كما تحددت صفات النبى فى مفهومهم وهى صفات زعامة سياسية ودينية ، امتدادا للقضاة ، وان كانت لا تسعى الى تسلم مقاليد الحكم ،بل تبقى لتديره من وراء ستار ، بينما الحاكم ملك يجلس على عرشه ويبايعه رعاياه بتوصية من هذا النبى(٣٦) ، ومن هنا لم يكن عند صمويل النية فى اقامة ملك مستقل ، بل كان كل ما يرجوه أن يكون الملك قائدا حربيا وسندا لكل الشعب ، يخلصهم من الفلسطينيين

وهكذا كان صمويل الوسيلة لقيام الملكية فى اسرائيل ، ورغم ذلك نراه يتردد كثيرا فى اجابة شيوخ اسرائيل الى ما يطلبون ، ثم بعد ذلك يخضع لصمويل طوال حياته(٣٧) ٠

فأنذرهم بغضب الرب ان هو رضى فملك عليهم ملكا ، ولكن احتجاجه كان عديم الجـدوى ، حيث آبى الشـعب أن يسمعوا له وقالوا : « لا بل يكون علينـا ملكا ، فنكون نحن أيضـامثل سائر الشعوب ويقضي لنا ملكنـا ويخرج امامنـا ويحـارب حروبنـا »(٣٨) ، وسرعان ما ينتهي الأمر باختيار شاول ملكا ٠

(ب) مفهوم الملكية في اسرائيل ومقارنته بملكية بلاد النهرين :

ان الدراسة التاريخية لنظم الحكم توضـح في الحقيقـة مدى التطورات السياسـية والمبـادىء والقيم التى أمن بهـا المجتمـع الانساني ، ولاشك أن النظم السياسية تعتبر بمثابة تجـارب طويلة المدى في حيـاة الانســان في كافة المجتمعات ، فقد اتخذ انســان منطقة الشرق الأدنى القديم طابعا مميزا في تنظيمه السـياسى ، حيث تمكن من تشكيل نظام حكم معين لكل اقليم في تلك المنطقة بناء على ظروف معينة ، ولقد كان نظام الملكية بصفة خاصة هو نظام الحكم السائد أثناء العصر التاريخى ، ودراسـة النظم السياسية تتطلب تعريف أسسها وتطورها ومدلولها حتى يمكن متابعة ما لحق بهـا من تطورات سياسية وحضـارية وفكرية ، ونحن هنا بصدد شعب جديث العهد بنظام الملكية ، حيث اضطرته بعض العوامل الى الأخذ بها (كما سبق أن ذكرنا) أى أنهـا ليست نابعـة من المجتمـع العبرى ، ولكنهم استـمدوها من الكنعـانيين بعد أن اسـتوعبوا ثقافتهم ومظاهر الحيـاة الموجودة على أرضهم والمعروف أن الكنعانيين قد استمدوا نظام الملكية من الأمم المجـاورة وخاصة بلاد النهرين لذلك يجب دراسـة الملكية العراقيـة نشأتها وتطورها ومقارنتـه بالملكية العبرية ، وأيضـا التطورات التى أحدثها العبرانيون فيها لتتطابق مع أفكارهم الدينية الخاصـة بحيث أصبحت كما لو كانت نمطا جديدا ٠

(ج) الملكية فى بلاد الرافدين ـ نشأتها وتطورها :

أمن المجتمع فى بلاد الرافدين أثناء عصر بداية الأسرات السومرية بنظام الملكية بناء على ظروف تاريخية وحضارية معينة ، وقد اعتمدت هذه الملكية على عدة عناصر أهمها المقومات البيئية والدينية والسياسية .

ان محاولة التوصل الى كيفية نشأة الملكية فى بلاد الرافدين توضح أن الانسان العراقى القديم عندما بدأ يتغلب على ظروف البيئة وأن يحل مشاكله الاجتماعية احتاج الى استمرار جهوده وتنظيمها ، مما يتطلب بذل جهود انسانية جماعية وتواجد ادارة وقيادة منظمة ، وتطلب هذا التنظيم تكوين جمعية عمومية لمواطنى المدينة يشترك فيها جميع الأمراء البالغين ، وكانت شئون الحياة اليومية فى الفترات العادية تصرف بارشاد مجلس للشيوخ ، أما فى الأزمات (حالات الحرب مثلا) فكان بوسع الجمعية العمومية أن تخول أحد أعضاء مجلس الشيوخ السلطة المطلقة وتجعله ملكا ولكن هذه الملكية محدودة الزمن تنتهى بانتهاء حالة الأزمة(٣٩) .

ويتضح أثر الفكر الدينى على نشأة نظام الملكية من ربط الانسان السومرى فى نصوص نشأة ذلك النظام بالقوى الالهية ، ويتضح ذلك من قائمة الملوك السومرية التى تنص على نزول الملكية من السماء(٤٠) ، يقول النص « .... **وعندما نزلت الملكية من السماء كانت أولا فى مدينة أريدو** »(٤٠) ، وانتقلت من مدينة الى أخرى حتى غمر الطوفان الأرض فارتفعت الى السماء وبعد انحسار الطوفان ، نزلت الملكية مرة أخرى من السماء ، يقول النص « .... **وبعد أن اغرق الطوفان الأرض نزلت الملكية (مرة ثانية) من السماء وكانت أولا فى كيش** ... »(٤٢) ،

ويعزز الاعتقاد فى نزول الملكية من السماء ، النص التالى « .... ان البشر لم يكن يحكمهم « ملك » وفى ذلك الوقت لم تكن هناك شارات للملك ولا تاج ... الصولجان والتاج وعصابة الرأس وعصا (الراعى) عند الاله آتوا من السماء ... وحينئذ نزلت الملكية من السماء ... »(٤٣) .

لقد كان ايمان الانسان السومرى بنزول الملكية من السماء يعنى ، أن الملكية هى التى نزلت من السماء وليس الملك ، ولذلك لم ينظر الى الملك كاله ، وعلى ذلك يمكن القول ، أن الملكية نشأت كملكية دينية ينوب فيها الملك الاله فى ادارة شئون البلاد التى هى ملك الآلهة ، فالاله فى نظر الانسان الرافدى القديم يعتبر سيد المدينة الحقيقى ، لذلك كان الملك لا يقوم بأى نشاط مهما كانت طبيعته الا بعد استشارة الاله(٤٤) .

من كل ما تقدم يمكن أن نتوصل الى مفهوم الملكية السومرية بأنها لم تكن من أصل انسانى ولكنها اضيفت الى المجتمع البشرى عن طريق الالهة ، فالملك انسان كلف بمسئوليات فوق مستوى البشر ، هذه المسئوليات تستطيع الآلهة سلبها منه وتحويلها لغيره ، كما أن الاختيار الالهى وليست الوارثة ، كان هو مصدر سلطة الملك ، وكانت الأسباب التى يستند اليها الآلهة فى اختيار الملك غريبة فى بعض الأحيان ، فبعض هذه الأسباب ينم عن الاهتمام برفاهية الشعب ، ولو أن الانسان السومرى كان يؤمن بانه خلق كخادم للآلهة وانه ليس من حقه أن يطالب بعضهم ، ولكن الآلهة برحمتها رغبوا أن يتمتع رعاياها بالحكم العادل ، أو بمعنى آخر اذا كان السومريون يعتمدون اعتمادا كليا على الآلهة فقد ادى هذا فى مفهومهم الى الاعتقاد بأن الآلهة قد أقروا العدل كأساس للمجتمع ، وعلى ذلك كانت الالهة تستدعى انسانا

ليحكم المدينـة ، فالحكام الأوائل لم يكونوا مختصـين بالملكيـة على البلاد ولكن بالحكم على مدنهم(٤٥) ٠

ارتبط نظـام الملكيـة ارتباطا وثيقـا بالتنظيم السـياسى السومرى الذى كان يقوم على اسـاس نظـام دويلات المدن(٤٦) ، ما يسمى احيانا الديمقراطية البدائيـة وكان من أهم مميزات هذا النظـام تكوين جمعيـة عمومية لمواطنى المدينـة كانت وظيفتهـا تتضمن اختيار الملك الذى يرأس حكومة المدينـة ((٠٠٠ **اجتمعت كيش ، ورفعـوا الى الملكيـة ابخـوركيش ٠٠٠ رجـلا من كيش** ٠٠٠))(٤٧) ، كان هذا الاختيار يقتصر على مرحلة مؤقتـة (مثل مواجهـة الأخطـار الحربيـة) بمعنى أن الملكيـة فى تلك المرحلة لم تكن دائمـة ولا وراثيـة حيث كانت السـلطة تعود الى الجمعية العمومية عند انتهاء مرحلة الأخطار ، ولكن عدم الاسـتقرار الذى كان يميز حضـارة العراق بوجـه عـام ، ترتب عليـه كثرة المنازعات والحروب بين دويلات المدن ، مما أدى الى عدم استمرار نظام الديمقراطيـة الأولية ، لأن مثل هـذا النظـام كان يصعب الأخذ به فى مثل هذه المنازعات التى كانت تحتاج الى البت السريع فى القرارات بطريق السلطة الفردية ، وقد أدى هذا الى تجميـع السلطات فى يد الملك بمعنى آخر تحول النظـام السـياسى من هيئته الديمقراطية الأولية الى نوع من الملكيـة الأتوقراطية حيث أصبح من مظـاهر اتجاه نظـام الحكم فى سومر جمع السلطات فى يد الملك ، وحينمـا تمكن بعض الملوك من ذوى الشخصيات القوية من اسـتمرار حكمهم ، فقدت الملكيـة احد مظاهرهـا وأصبحت دائمة بعد أن كانت موقوتة(٤٨) ، وتشير بعض النصوص السومرية الى هذا الاتجـاه الأوتوقراطى فى نظـام الحكم قرب أواخر عصر بداية الأسرات السومرية ، ولكى يبرر ملوك تلك المرحلة انفرادهم

بالسلطة ، ادعوا أمر اختيارهم كان عن طريق الآلهة ، ومن ذلك ادعاء « لوجال زاجيزى » انه ((... **الابن المولود ل نيسابا وتغذى باللبن المقدس ل ننخرساج**))(٤٩) ، ويعبر عن نفس الاتجاه ما ورد على لوحة النسور للملك « ايانا توم » فقد اشارت بعض العبارات الى المولد الالهى للملك وكأنه ابن للاله « ننجرسو » والالهة « ننخرساج » كما يذكر أن الالهة هى التى أرضعته ((... **وقد وضع بذرة ايانا توم ننجرسو وحملت به ننخرساج التى فرحت من أجله وأخذته اينانا بين ذراعيها وأجلسته على ركبتى ننخرساج التى ارضعته** ..))(٥٠) .

ويجب الاشارة هنا الى أن تطور النظام الملكى فى تلك المرحلة لم يكن تطورا مفاجئا ، بل حدث بطريقة تدريجية نسبية ، وهذا يتضح من النصوص السومرية نفسها ، فالنص ، المنتمى الى « لوجال زاجيزى » والقائل انه من أصل الهى ، يوضح أن هناك اتجاها نحو حمل الحاكم للصفة المقدسة بجانب الصفة الانسانية ، ومن ناحية أخرى لم يكن جميع الحكام يرجعون أنفسهم الى أصل الهى ، فرغم ما جاء فى النص عن المولد الالهى للملك « اياناتوم » فانه لم يدع انتسابه للالهة بل أنه ذكر اسم أبيه وجده(٥١) .

شعوب البحر الأخرى من مناطق مختلفة من سورية وفلسطين ترك فراغا سياسيا لم يلبث أن ملأه سيل من الشعوب السامية . ففى الجنوب كانت القبائل العبرية أهم الغزاة وظهر معهم المديانيون والأدوميون والعمونيون(٥٢) . وقد أتبع هؤلاء الساميون النظام الذى كان سائدا فى المنطقة أى نظام دولة المدينة ، أما العبرانيون فقد كانوا يمرون بمرحلة عصر القضاه(٥٣) . وكان القاضى يعتمد فى أعماله على رحمة الرب ، ويؤكد سفر القضاة على انهم كانوا

مسئولين عن مهمة التحرر من قوى الغزو الأجنبي بوحي من « يهوه » نفسه وانهم قاموا بالأعمال البطولية لأن روح « يهوه » حلت عليهم ، ومنحتهم قوة بصرية خارقة ، ولم يكن منح هذه القوى من الروح الالهية يتم فى عملية مستمرة ، بل كان يأتى من وقت لآخر(٥٤) •

كانت سلطة القاضى محدودة فى أبناء قبيلته ، وأحيانا تتعداها لتشمل قبيلة أخرى مجاورة(٥٥) ، وفى العادة كانت هذه السلطة تنتهى بانتهاء سببها ، ولكن يخبرنا سفر القضاة بأن بعض شيوخ القبائل احتفظوا بالسلطة فى أيديهم وقت السلم ، كما كانت هذه السلطة تنتقل أحيانا الى الأبناء الذين لديهم القدرة على الاحتفاظ بامجاد آبائهم(٥٦) وكان ذلك بمثابة مؤشر للبدايات الأولى لاتباع النظام الملكي ، حيث قامت محاولات مبكرة لاتباع ذلك النظام بين بعض قضاة اسرائيل مثل « جدعون وابيمالك »(٥٧) ، أما شاول فكان يمثل محاولة نشطة لخلق مملكة شاملة تضم كل القبائل ، أما « داود » وملكية « سليمان » فكانت تمثل اتحادا بين شتى أسباط اسرائيل . وكان المركز القوى لأسرة « داود » يعتمد على الأشكال المأخوذة عن نظام وتقاليد المدينة الكنعانية فى « أورشليم » كما أن تقسيم « سليمان » الادارى للمملكة أدى الى اندماج الاسرائيليين مع المواطنيين الأصليين(٥٨) •

ويجدر بنا هنا أن نتلمس التعديل الذى أحدثته اسرائيل فى مفهوم الملكية التى أخذتها عن كنعان والتى يرجع أصلها الى أرض النهرين ، بحيث أصبحت تبدو كما لو كانت نمطا جديدا • كانت الملكية فى (العراق القديم) شريعة مقدسة ، وكانوا يعتقدون أن فكرتها موجودة فى ذهن الآلهة منذ بداية خلق العالم ،

كما كان الملك يحتل موقعا مقدسا فى مملكته ، كما سبق أن ذكرنا ، فبالرغم من أنه كان انسانا مثل باقى البشر ، فانه كائن يتمتع بصفات الهية ، وان كان لا يعتبر الها فى حد ذاته فانه كان مقدسا الى الحد الذى يمكن التحدث عن الوهيته ، حيث أعتقد البابليون بأن الآلهة هى التى تختار الملك وتقدم له وظائفه ، ومنذ البداية هو ملك البلاد ، وقد اعتبر الكثير من الملوك أنفسهم ابناء للالهة ، وقد يقع اختيار الالهة على شخص مغمور تتلمس فيه الكفاءة والقدرة ، فتأخذ بيده الى مقاليد الملك(٥٩) ٠

اما فى اسرائيل فان الصراع بين الملكية من ناحية وحكم فترة البداوة من ناحية أخرى كان موجودا بصورة دائمة ، فحاول بنو اسرائيل ملاءمة النظام الملكى المأخوذ من الممالك المجاورة لها ، مع مفهومهم عن « يهوه » ربهم الخاص ويتضح ذلك من معارضة الأنبياء للحكم الملكى المستبد وتأكيدهم دائما على أن « يهوه » هو ملكهم الوحيد وادراكهم الكامل بأن الملكية بدعة كنعانية(٦٠) ، وحتى اذا ما انتقلت المهام الطقوسية الى الملك ودخل نواب الملك فى خدمته بأن الملك لا يتمتع بعد تنصيبه بأى مميزات أكثر من ذى قبل ، بل انه شخص خاضع « ليهوه » ومهمته هى المحافظة على عدالته وتنفيذ حكمه على الأرض ، وليس من حقه ان يحكم طبقا لأفكاره أو هواه الشخصى المتعارض مع شرائع « يهوه »(٦١) ، وبصفة الملك ممثلا لبنى شعبه وانه مختار « يهوه » وبنوته منسوبة اليه ، فان ملك بنى اسرائيل كان الرابطة بين الرب وبينهم(٦٢) ، وكان هو الكاهن الأكبر ، وأبناؤه هم الكهنة الشرعيون والمسئولون عن ممارسة الطقوس(٦٣) ٠

واذا قارنا مفهوم الملكية فى الشرق القديم بصورة عامة بمفهوم الملكية عند بنى اسرائيل ، نجد أن الملكية عند بنى اسرائيل

تتميز بأن الملك كان بمثابة الرابطة بين « يهوه » وبينهم حيث كان الملك يمثل بني اسرائيل أمام « يهوه » فى الطقوس الدينية وفى نفس الوقت يمثل « يهوه » أمامهم ومع ذلك فان بنى اسرائيل لم ينبذوا فكرة أن الملك كان حقيقة ممثلا ل « يهوه » فى الحياة الاجتماعية والسياسية للأمة ، أو حتى الفكرة القديمة عن الملك ككائن خارق مزود بقوى خارقة أو قوى الهية(٦٤) ، ويقف فى علاقة وثيقة تشبه بوجه خاص علاقة النبوة ل « يهوه » وقد استمروا فى استخدام هذه التغييرات والأفكار التى نبعت من مفهوم الشرق عن الملكية والتى عكست أفكارا أسطورية كثيرة ، وقليلا ما نجد فى هذه الصور الأسطورية أى اشارة لاستخدام ألفاظ تدل على وجود علاقة طبيعية أو عضوية بين « يهوه » وابنه « الملك » فالملك انسان مختار من بين أفراد الشعب خاضع تماما ل « يهوه » ويعتمد عليه فى كل شيء(٦٥) ، بالاضافة الى المعارضة لاعتبار الملك فى اسرائيل ندا ل «يهوه » او يتساوى معه فى الطقوس فقد كان ذروة هذا الهجوم موجها للملوك لمجرد انهم جعلوا القصور الملكية بجوار المعبد أو لانهم وضعوا القبور الملكية داخل هذه القصور ، وبالرغم من كثرة هجوم الأنبياء وانتقاداتهم السياسية وسلوك ملوك بنى اسرائيل ، وتركهم طرق الرب وطغيانهم على الشعب ، الا أن أسفار الأنبياء لا تحتوى على اتهام الملوك بادعاء الألوهية او اغتصاب حق من حقوق « يهوه » أو أنهم لعبوا دور الرب وطالبوا بعبادتهم فى الطقوس(٦٦) ، وكثيرا ما تشير المزامير الى أن الملك كان يمثل « يهوه » أمام الشعب ، ولكن لا يحمل هذا التمثيل (كما ذكر سلفا) أى نوع من التجسيد له ، بل يتحدد فقط فى انه يتلقى التعاليم الالهية وينقل بركاته ، وكان ذلك يأتى من خلال الأعمال الطقوسية ، وخاصة احتفالات التتويج حيث يمنحه الرب قوى خاصة تجعله أداة للبركة فى وقت السلم ،

وأداة للخلاص فى وقت المحن والكوارث • وعلى ذلك يجب تجديد القوى الممنوحة للملك ، لهذا نجد العديد من الاشارات تؤكد انه فى اسرائيل كانوا يقومون باعادة تتويج الملك فى احتفال سنوى ، وربما كان ذلك مرتبطا بالاحتفال الذى يقام كل عام فى فصل الخريف والسنة الجديدة والذى كان فى نفس الوقت الاحتفال بتتويج « يهوه » الذى كانوا يحتفلون به كرمز لاعادة الخلق وخصوبة كل شىء ، وبعد ذلك يعاد خلق الأرض والطبيعة وكل شىء من جديد ، أما الملك فكان يحصل فى هذا الاحتفال على تجديد وتأكيد للعهد بينه وبين « يهوه » على اختياره ملكا ، ومن ثم تزويده بالقوى الالهية الخاصة التى تعينه على الاستمرار فى الحكم على مدى عام كامل ، أما فى وقت الحرب والنكبات ، فكان الملك والكهنة والأنبياء والشعب يتوجهون الى المعبد لاقامة الصلوات أمام « يهوه » ليدرأ الخطر عنهم وكان الملك هو الذى يتلقى بركات الرب ليوصلها بدوره الى جميع الحاضرين(٦٧) •

ويمكننا ان نلخص ما يميز مفهوم الاسرائيليين عن صفات الملك ومهامه فى أن الملك ليس شخصا يتجسد فيه الرب ، على الرغم من العلاقة الوثيقة بينهما ، وهم الزعيم والرئيس الرسمى للطقوس والاحتفالات العامة ، وفى كل صلواته يصلى من أجلهم ، ويتلقى البركات من « يهوه » نيابة عنهم ، ويقدم اليه القرابين باسمهم ، فمهمة الملك الرئيسية فى أوقات السلم هى أن يصبح أداة ل « يهوه » فى اتباع وصاياه ، والعمل على رخاء بلاده ، وسعادة مواطنيه ، والقضاء بينهم بالعدل ، أما فى وقت الحرب والمحن فهو قائدهم ، وتلقى عليه مهمة تحريرهم وخلاصهم من الأعداء ، فقد اختاره الرب وزوده بقوة عظيمة خارقة جعلته يتميز عن باقى البشر ليكون أداة له ، لتحقيق خططه على الأرض تخليص ابناء شعبه من الأعداء وتنفيذ شريعته على الأرض •

٢ ـ الاسرائيليون والفلسطينيون والأدوميون فى عصر الملكية

(أ) شاول والفلسطينيون :

كان الوجود الفلسطينى هو التحدى الكبير الذى واجه الوجود الاسرائيلى واستمرار تطوره ، فمنذ انتصـار الفلسطينيين فى موقعة « أفيق » وهم يسيطرون على معظم المناطق الجبلية التى يشغلهـا سبطا « أفرايم » « وبنيامين » غربى الأردن الى جانب سيطرتهم على الاقليم السـاحلى منذ قدومهم الى أرض كنعـان وقد اسـتطاع الفلسطينيون خلال هذه الفترة أن يجردوا الاسرائيليين من السلاح فأصبحت صناعة المعادن ممنوعة فى اسرائيل ، كما أقام الفلسطينيون القلاع فى أماكن مختلفـة من البـلاد للسيطرة عليها تماما ، وكان أهمها تلك التى عند « بيت شان » للسيطرة على الطريق الموصـل بين نهر الأردن « ووادى يزرعيل » وتلك التى عند « محمـاس » و « جبعة » بين جبل أفرايم وأورشليم هذا فضلا عن تعيين موظفين من الفلسطينيين لجمع الضرائب المفروضة على الشعب المهزوم ، كما كانوا يراقبونهم من مراكز المراقبة فى « جبع »(٦٨) ٠

كان الصراع بين الاسرائيليين والفلسطينيين من أجل السيادة على الأرض ، ومحاولة كل منهما أن يثبت كيانه على حساب الآخر ، وقد سـلفت الاشـارة الى أن هـذا الصراع كان من العوامـل المباشرة لقيام الملكية الاسرائيلية والتى تعين عليهـا الآن أن تحقق ما قامت من أجله فاستنفر « شـاول » مواطنيه لمؤازرته ، وجمع الفلسطينيون كل ما تسمح به التعبئـة العامة لقواتهم فى جبـال غرب الأردن وعسـكرت هذه القوات فى مخماس شرقى « بيت ايل » على مبعدة سبعة كيلو مترات الى الشـمال الشرقى من « جبعة » حيث عسكر الاسرائيليون الذين سرعان ما أدركوا خطورة الموقف

وتردد « شاول » فى الهجوم على الفلسطينيين ولكن ولده « يوناثان » قام ومعه حامل سلاحه بهجوم مفاجىء على محلة الفلسطينيين بدون علم أبيه وقتلا عشرين رجلا منهم ، مما أثار الرعب بين الفلسطينيين (٦٩) ، وكان هذا بداية التمرد العلنى من جانب اسرائيل فبات واضحا ان المعركة ضد الفلسطينيين اصبحت وشيكة الوقوع لأن « شاول » وقومه لم يعد لديهم أدنى شك فى أن الفلسطينيين لابد وأن يشنوا هجوما لاستعادة مراكزهم المفقودة ولذلك بادر « شاول » بالهجوم بعد أن أمر رجاله بالا يأكلوا خبزا حتى المساء وتنتهى رواية العهد القديم بنصر للاسرائيليين على الفلسطينيين(٧٠) ، ولكن الفلسطينيين وان كانوا قد خسروا معركة فانهم لم يخسروا الحرب لاسيما أنهم كانوا متفوقين عسكريا وفكروا فى شن هجوم مضاد وتشير اسفار العهد القديم الى أن الفريقين كانا قد استعدا للجولة التالية(٧١) . وهنا خرج « جليات » قائد الفلسطينيين مناديا فى ساحة المعركة ، هل من مبارز ؟ فلم يجرؤ واحد من بنى اسرائيل على منازلته ، فخرج اليه داود وهو ما يزال بعد غلاما لمنازلته فتغلب وقتلته وأثار مصرع « جليات » الرعب فى نفوس الفلسطينيين فهربوا ولحق بهم بنو اسرائيل ، حتى أبواب « عقرون » وفتكوا بهم ونهبوا معسكراتهم وحمل داود راس « جليات » وأتى بها الى أورشليم(٧٢) ومنذ ذلك الحدث الخطير أخذ « داود » يملأ أعين الناس وآذانهم وقلوبهم ، فأصبح ذا مكانة عالية بين قومه ، مما أثار عليه حقد « شاول » وأخذ يسعى الى التخلص منه ، مما دفع « داود » الى أن يعدو طريدا فى البلاد المتاخمة لمدينة « حبرون » (الخليل) حيث جمع فرقة لم تستطع أن تحميه من مطاردة « شاول » فاضطر أن يلجأ الى أعدائه الفلسطينيين الى « أخيش » ملك « جت »(٧٣) ،

وانتهز الفلسطينيون فرصة الخلافات بين الاسرائيليين ، وجمعوا قواتهم مرة أخرى فى « أفيق » ولكنهم لم يهاجموا مرتفعات وسط فلسطين من هناك مباشرة ، بل تقدموا نحو الشمال عن طريق السهل الساحلى ، الى سهل « يزرعيل »(٧٤) ، فمدينة « يزرعيل »، ويبدو أن عناصر شعوب البحر الأخرى فى السهول الساحلية الشمالية ، وفى سهل « يزرعيل » قد انضمت اليهم ، وبهذه الطريقة هاجم الفلسطينيون « شاول » فى نقطة مكشوفة داخل حدوده ، حيث انها منطقة من مناطق الاستقرار الاسرائيلى ، غير المنيعة من الناحية الجغرافية ، وفى نفس الوقت كانت محاطة بمناطق مدن كنعانية ومن هنا كانت قبائل الجليل مرتبطة بقبائل وسط وجنوب فلسطين بجسر ضيق من المنطقة الاسرائيلية ولذلك نجح الفلسطينيون فى أن يمنعوا « شاول » من أن يجمع قواته كلها(٧٥).

ودارت المعركة فى جبل « جلبوع » وانتهت بهزيمة ساحقة للاسرائيليين وقتل ابنا « عالى » وانتحر هو نفسه حتى لا يقع فى أيدى الفلسطينيين ، وعاد وسط فلسطين مرة أخرى للسيادة الفلسطينية(٧٦) .

وهكذا فشلت ملكية « شاول » ويرجع ذلك فى الحقيقة الى عجزه فى السيطرة على الفئات المتعارضة داخل مملكته ، كما أن نزاعه مع « داود » أفقده طبقة الكهنة القوية(٧٧) ، كما يرجع فشله وسقوطه الى ضعف قوته العسكرية ، ومحاباته لقبيلته « بنيامين » فكان حكمه فى مظاهر كثيرة ملكيا قبليا ، ولكنه كان أكثر تقدما مما كان عليه أيام « جدعون » و « يفتاح ».(٧٨) .

أما الملك « داود » فقد استطاع أن يحقق ما لم يحققه سابقوه فأسس الأسرة الملكية التي حكمت أسباط بنى اسرائيل

مجتمعة لأول مرة تحت امرته ، وبعد أن استقر الأمر له كان عليه ان يتجنب العوامل التى كانت سببا فى سقوط « شاول » ومنهـا اتخاذ الأخير موطنه « جبعة » كعاصمة لمملكتـه ، فكان على « داود » ان يفكر فى عاصمة جديدة لمملكته التى أصبحت تضم قبائل الشمال والجنوب ، حيث أن الابقـاء على حبرون (الخليـل) كعاصـمة للمملكة ، سـوف يجر على « داود » خطر الظهور أمام الاسرائيليين كملك قبلى يحـاول أن يفرض على قبائل الشـمال حكما يهوذيا ، فقد كان «داود » ملكا ليهوذا فى « حبرون » وقبائل اسرائيـل لم ترض أن يحكمها ملك يهوذا وانما « داود » الذى اختاروه ملكا على اسرائيل(٧٩) ، كما أنه فى نفس الوقت اذا فكر فى اختيـار مدينة فى « بنيامين » أو « أفرايم » سوف يجر عليه غضب اليهوذيين الذين كانوا أول من اختاروه ملكا ، ومن هنـا لن يتسامحوا معه اذا انتقل الى واحدة من قبائل الشمال(٨٠) ٠

وهكذا فكر « داود » رغبـة منه فى الاستقرار وفى ارضـاء قبائل الشمال والجنوب ، أن يتخذ أورشليم عاصمة لمملكته ، فهى فى نظر قبـائل الشـمال والجنوب مدينة محايـدة(٨١) فأهـل أورشليم لم يكونوا يهوذيين أو اسرائيليين وانما كانوا « يبوسيين » « وكنعانيين » ، الى جانب ذلك فان المدينـة لم تكن حصنا صغيرا وانما كانت واحدة من أقدم دول المدن فى البلاد وهى حصينة غير مكشوفة يمكن أن يدافع عنها الأعمى والأعرج(٨٢) ٠

وهكذا بدأ « داود » يستعد للاستيلاء على أورشليم ورغم اختـلاف الآراء حول كيفيـة الاستيلاء عليهـا ، فقد كتب للملك « داود » النجـاح فى الاستيلاء عليهـا ، رغم ذلك ترك سـكانها الأصليين كما كانوا ، ان كان قد انتقل هو وحاشيته وآل بيته اليها، فضلا عن المرتزقة من جنوده(٨٣) ٠ جعل « داود » أورشليم قاعدة

الملك وعاصمة الدولة ، ولما كان « داود » على طريقة أمراء بنى اسرائيل ورؤسائهم فضلا عن الحكام الأجانب المجاورين لاسرائيل ، يستمد سلطانه فى الحكم من الله ، فقد جعل أورشليم مقر السلطة الدينية والسياسية والعسكرية ، ثم نقل تابوت العهد اليها(٨٤) .

وهكذا نجح « داود » فى أن يجعل من أورشليم مركزا للحياة السياسية والدينية ، ذلك لأن ، تابوت العهد هو الأثر الرمزى الرئيسى لتحالف القبائل الاسرائيلية الاثنى عشر ، ثم ربط « داود » ذلك كله بالتقاليد الودية التى ربطت القبائل بعضها بالبعض الآخر ، مستغلا ذلك كله لمصلحة عرشه ، واصبح الكهنة من اكثر المؤيدين للملكية ، بعد أن كانوا أعدائها ، بل ان « داود » جعل منهم رجال دولة رسميين وعينهم فى مجلس الدولة الأعلى ودعاهم الى حكم البلاد معه ، أو بالأحرى الى تدعيم حكمه بالوسائل التى يستطيعون تسخيرها لهذا الهدف(٨٥) .

(ب) داود والفلسطينيون ـ الموقف المصرى :

كان لانقسام مصر فى عصر الأسرة الحادية والعشرين أثر كبير فى علاقتها بفلسطين فى الوقت الذى كانت آشور هى الأخرى مشغولة بمتاعبها الداخلية مما هيأ الظروف لعدد من الممالك والدويلات أن تزدهر فى سورية وفلسطين(٨٦) ، ولم يكن أمام الواحدة منهم خصوم أقوياء سوى جيرانها المتاخمين لها ، ومع ذلك استمرت العلاقات التجارية والروابط الثقافية بين هذه الممالك والقوى الكبرى فى وادى النيل وأرض الرافدين(٨٧) . فتشير قصة « ونامون » الى أن « نسبا نب جد » قد حافظ على العلاقات التجارية مع فلسطين ومدن الساحل السورى فى الفترة الأخيرة من عهد « رمسيس الحادي عشر » آخر ملوك الأسرة العشرين ، وكان

هــذا الوضــع يتطلب تجنب الاحتــكار الســياسى والعمليــات الحربيــة(٨٨) .

اما فى فلسطين فقد حاولت كل دويلة من دويلاتها أن تثبت كيانهــا على حســاب الأخــرى وكان الصراع بين الاسرائيليــين والفلسطينيين أشدها جميعا ، حيث نظر الفلسطينيون الى التطورات الجديدة التى احدثها « داود » بقلق شــديد ، اذ كان فيها قلب لكل الموازين القديمة ، فقد كانوا يعتبرونه من مواليهم ، حيث كان « داود » قبل ذلك قانعــا بدائــرة ملكه الصغــير فى « حبرون » (الخليل) تاركا لهم حرية الاغارة على القبائل الشمالية فى إى وقت ، أما قيــام دولة قوية تحت قيادة « داود » فكان من شــأنه أيضا أن يفقد الفلسطينيين سيطرتهم على طرق التجــارة بين الشرق والغرب والشمال والجنوب عبر أراضى فلسطين ، والذى كان من العوامل المهمة منذ القدم لقيام الحروب بين القوى العظمى المجاورة لفلســطين وســـــورية ، مصر من ناحيــــة والحيثيين والبابليين والآشــوريين (فيما بعد) من ناحيــة اخرى ، من هنــا لم يتقبل الفلسطينيون عن رضــا قيام مملكة قوية تحت قيــادة « داود » فبدأوا يفكرون فى ضربها(٨٩) .

التقى الجمعــان ونجح « داود » فى هزيمــة الفلســطينيين باستخدام نفس تكتيكاتهم الحربية التى تعلمها منهم عندمــا كان واحدا من قوادهم بعد فراره من وجــه « شــاول » فلم يواجههم بالجانب الأكبر من قواته بل بفرقة من المرتزقة التى ربما كانت قد عززت وتطورت أثنــاء حكمه ليهوذا ، فكان لدى هــذه الفرقة فهم المحترف لفن الحرب (٩٠) ، وعندما قام الفلسطينيون بمحــاولة ثانية هزمهم « داود » مرة أخرى وهكذا حقق نجاحا بعيد المدى وطردهم من المناطق الاسرائيلية ، بل أننا نسمع عن قتــال له عند

« جت » وهى واحـدة من المدن الخمس الرئيسيـة فى الاتحـاد الفلسطينى ، ومن ناحيـة أخرى احتفظ « داود » بمدينـة صقلغ وأورثهـا لولده من بعده بل أصبحت مدينـة « جت » مدينـة اسرائيلية ولكن بالرغم من ذلك فان « داود » لم يخضع الفلسطينيين لحكمـه(٩١) ، وكان السبب وراء ذلك هو مصر ، فرغم أنهـا كانت تمر بفترة ضعف الا أنهـا أعطت الفلسطينيين من تأييدها ما منع « داود » من اخضاعهم لنفوذه ، بل ان السهل السـاحلى الفلسطينى لم يصبح أبدا جزءا من الأمـلاك الاسرائيليـة(٩٢) ، ويرجع ذلك الى أن مصر كانت ترسـم سياستها على الا تنفرد قوة فى فلسـطين بالسـلطان حتى يكون لها موطىء قـدم تستطيع به اسـترجاع نفوذها الضـائع حتى سنحت لها الفرصـة ، ويؤيد هذا الافتراض موقفها من « أدوم » .

(جـ) « داود » والأدوميون ـ موقف مصر :

كانت مملكة « أدوم » ذات أهميـة اقتصادية كبيرة بالنسبة للملك « داود » فهى فى الطـريق الى خليج العقبـة ومن ثم الى البحر الأحمر ، فضـلا عن أنهـا تحتوى على كثير من الرواسـب المعدنية على حدود وادى عربة ، حيثأن الصحراء الغربية ـ والتى تمتد من جنوب البحر الميت حتى خليج العقبـة ـ كانت غنيـة بمعدنى النحاس والحديد(٩٣) ، ومن هنا أمر « داود » قائـده « يؤاب » بغزو « أدوم » وأوقع فيها مذبحة مروعة للذكور من أبنائها(٩٤) ، ويبدو أن « حدادا » الثانى ملك « أدوم » قتل فى هذه المعركة ، ولكن الأمير « هدد » اسـتطاع الهروب الى مصر ، حيث تزوج من أميرة مصرية هى أخت الملكة « تحفنيس »(٩٥) ويرى كل من Grdseloff, Federn أن الاسـم تحـريف عبرى للقب المصرى T — h (mt) — P3 — nsw بمعنى زوجة الملك

اى الملكة ، بينما يرى Albright أن « تحنفيس » اسـم شخص يبدأ بـ T3 — h(nt) ويمكن مقارنته بالاسم Ta — hent — thuty

وهو أسـم أم زوجـة « باى نجم الشـانى »(٩٦) ولكن اذا كان « تحفنيس » اسـم شـخص فانه لا يوجد ما يطابقـه فى اللغـة المصرية(٩٧) وعلى ذلك يميل الباحث الى أن هذا ليس اسم شخص وانما لقب حل محـل اسم الملكة التى ربما لم يعرف العبرانيون اسمها فى ذلك الوقت فقالوا « زوجة الملك » ومن البديهى أن زوجـة الملك هى الملكة .

وعاش « هدد » فى مصر الى أن مات « داود » وقائده « يؤاب » فبدأ الأمل يعاوده فى استعادة حقـه الشرعى فى عرش « أدوم »(٩٨)، وتعكس رواية العهد القديم بخصـوص « هدد » التوقعات السياسية التى جعلت الأدوميين حلفـاء للمصريين فالأمير « هـدد » لم يعامل كلاجىء الفرعون(٩٩) ، فقد أزعج المصريين نجـاح « داود » فى كسر شوكة الفلسطينيين ، فكان لابد من حليف لهم فى فلسـطين من هنا كانت معاملتهم للأمير « هدد » والتى بها حصـلوا على صداقة دولته لتكون منطقة توازن بينهم وبين الاسرائيليين(١٠٠) .

٣ ــ مصـــر واسرائيـــل

(أ) زواج سليمان من أميرة مصرية :

كان نظام المصـاهرة بين الأسرات الحاكمـة وسيلة لاتمـام المعاهدات وتقوية العلاقات بين الدول المعنية من النظم السائدة فى الشرق الأدنى القديم بما فى ذلك اسرائيل خـلال عهدى « داود » « وسـليمان » .

بدأ « داود » حكمه بأن تزوج من ابنة « تاليماى » ملك « جاشور » وبهذا الرباط أيضا كسب ود مملكة « اشبعل » الشمالية ووضع حدا للقلاقل بين « جاشور » و « يهوذا » كما ضمن موقفها المحايد أثناء حربه مع الأراميين ، وقد اتبع « سليمان » سنة الزواج بأجنبيات أيضا(١٠١) وكان الزواج السياسى هو حجر الزاوية فى سياسته الخارجية ، وكانت أهم هذه الزيجات ، زواجه من ابنة فرعون ، ويدل على اهمية هذه الزيجة أنها ذكرت فيما لا يقل عن خمسة مواضع فى أسفار العهد القديم التى تناولت فترة حكمه(١٠٢) .

أولا ــ فى افتتاح حوليات سليمان « وصاهر سليمان فرعون ملك مصر وأخذ بنت فرعون وأتى بها الى مدينة « داود » الى أن أكمل بيته وبيت الرب وسور أورشليم حواليها »(١٠٣) .

ثانيا ــ عند وصف بناء قصره ، « وعمل بيتا لابنة فرعون التى أخذها سليمان كهذا الرواق »(١٠٤) .

ثالثا ــ عند عبور الغزو المصرى الي « جازر » صعد فرعون ملك مصر وأخذ « جازر »وأحرقها بالنار وقتل الكنعانيين الساكنين فى المدينة وأعطاها مهرا لابنته امرأة سليمان »(١٠٥) .

رابعا ــ عند وصف بناء المعبد فى أورشليم « ولكن بنت فرعون صعدت من مدينة « داود » الى بيتها الذى بناه سليمان لها »(١٠٦) .

خامسا ــ فى قائمة زواج سليمان من أجنبيات ، « وأحب سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون(١٠٧) فتكرار ذكر هذه

الزيجة فى خمسة مواضع على هذا النحو يوضح أهمية زواج سليمان من ابنة فرعون ومكانتها ، وقد نظر الكتاب لهذه الحادثة على أنها الحدث الوحيد ذو التأثير القوى فى السياسة بين البلدين فكل الزيجات الدبلوماسية الأخرى لملك اسرائيل كانت الزوجة فيها فى المرتبة الثانية بعد ابنة فرعون ، حيث أن زواج « سليمان » من ابنة فرعون كان حدثا استثنائيا فى سياسة مصر ، فالمعروف أن ملوكها كانوا يأخذون بنات الأجانب زوجات لهم ولم يحدث العكس وان كان هناك ما يشير الى طلب أرملة مصر ، الزواج من أحد أبناء الملوك الأجانب »(١٠٨) ، الا أن هذه الزيجة لم تتم ، ولم يتحطم المبدأ المصرى بعدم زواج الأميرات المصريات بأجانب ٠

أما ما جاء فى رسائل العمارنة م ن أن هناك أربعة نبلاء من سورية يطلق على كل منهم « ابن الملك » كانوا أزواجا لبنات فرعون فلم يثبت تماما بالحجة(١٠٩) ، والمثل الوحيد حول زواج مصرية من حاكم اجنبى كان فى « أوجاريت » فقد جاء على زهرية من القرن الرابع عشر ق٠م ٠ منظر لحفل زواج الملك « نقماد » ملك « أوجاريت » من أميرة مصرية ، ولكن فى كل الاحتمالات فان ما يتعلق بشأن هذه المرأة أنها كانت من حريم القصر الملكى وليست ابنة فرعون(١١٠) ٠

ومن جهة أخرى وكما نعرف من رسائل العمارنة فان ملك بابل « كاراشمان انليل » طلب يد ابنة « أمنحتب » (الثالث) وقد رفض هذا الطلب ، فمنذ القدم لا تعطى ابنة فرعون لأى انسان(١١١) ، ويذكر « هيردوت » أيضا أن زواج ابنة الفرعون لملك أجنبى مناقض للتقاليد المصرية فطبقا لتاريخ الاغريق فان

« أماسيس » ملك مصر رفض أن يعطى ابنته لملك فارس « قمبيز »(١١٢) .

معنى ذلك أن دخول سليمان فى مصاهرة مع البيت الحاكم فى مصر نال به أهمية سياسية كبيرة ، ولكن الفائدة الأكثر أهمية من المصاهرة نفسها هى هدية الزواج التى أعطاها فرعون لابنته وهى مدينة « جازر » حيث أنها من المدن التى فشل الاسرائيليون فى طرد الكنعانيين منها وتقع « جازر » على أحد الطرق الرئيسية من السهل الساحلى الى داخل فلسطين وهى التى استخدمها الفلسطينيون فى ازعاج « داود »(١١٣) .

(ب) الغزو المصرى لفلسطين :

والحقيقة أن مشكلة تحديد الفرعون والد زوجة سليمان قد حيرت الكثير من الباحثين ، فهناك من يرى انه « سنيامون »(١١٤) وهناك من يرى أن يكون الفرعون المقصود هو « بسوسنس » الثانى(١١٥) ، بينما يرى فريق ثالث أنه « شاشانق الأول »(١١٦)، ولكل فريق من هؤلاء الأدلة التى يؤكد بها وجهة نظره ، وان كان الباحث يميل الى الرأى الأول اعتمادا على الترتيب التاريخى والأدلة الأثرية ، فاذا اعتمدنا على الترتيب التاريخى فى معرفة والد زوجة « سليمان » ، يتضح أن فرعون مصر أخذ « جازر » وأحرقها قبل أن يعطيها دولة لابنته ، هذه الواقعة الأخيرة (الزواج) قد حدثت فى بداية حكم « سليمان » وسقوط « جازر » كان قبل ان تعطى كدولة أى ضمن السنوات العشر الأولى من حكم « سليمان » (٩٧٠ — ٩٦٠ ق.م) ومن المحتمل جدا ان تكون خلال الأربع السنوات الأولى (٩٧٠ — ٩٦٦ ق.م) وهذا يبرهن على ان الغزو المصرى لمدينة « جازر » و « فلسطين » والارتباط

بالمصاهرة مع « سليمان » كان فى العقد الأخير من حكم « سيأمون » من (٩٧٨ ـ ٩٥٩ ق٠م) وتجعله الفرعون الذى غزا فلسطين(١١٧)٠

ولدينا قرينتان تزكيان القول بأن « سيأمون » سير جيشه الى اقليم « النقب » ضد الفلسطينيين وبلغ « جازر » آخر المعاقل الكنعانية على الحدود بين فلسطين واسرائيل ، ففى الملوك الأول ٩ : ١٦ ورد أن فرعون مصر غزا المدينة ودمرها وطرد سكانها قبل أن يعطيها دوطة لابنته التى تزوجت « سليمان » هذا الى جانب الأدلة الأثرية المكتشفة فى « تانيس » فهناك رسم للملك « سيأمون » صورة وأحد الأعداء الآسيويين راكع أمامه وبيده بلطة من طراز « ايجى » خاص بشعوب البحر الذين استقروا فى فلسطين بعد أن هزمهم « رمسيس الثالث » ، هذا الدليل جعل « مونتيه » يفترض أن هذا الفرعون قام بحملة ضد الفلسطينيين ، وأثناء مطاردتهم غزا مدينة « جازر » على الحدود بين فلسطين واسرائيل ذلك الغزو الذى نسبته أسفار العهد القديم لوالد زوجة سليمان(١١٨) ٠

وتأتى امكانية حملة « سيأمون » على فلسطين وتدمير مدينة « جازر » من اعادة فحص تقرير المعلومات الأثرية التى أعطيت عن هذه المدينة والتى تدعى أنها لم تدمر فى القرن العاشر ق٠م(١١٩) ، فوجد « ياوين » أنها على النقيض من ذلك تماما ويرى أن الفرعون الذى ذكر فى العهد القديم هو الذى قام بذلك(١٢٠) ، ولم تظهر أية معارضة تلغى الرأى السابق ، فمدينة « جازر » فى الشمال الشرقى كانت ضمن مقاطعة حاكم فلسطينى وقد أظهرت نصوص العهد القديم ان « داود » بالرغم من تدميره لقوة الفلسطينيين العسكرية الا انه لأسباب كثيرة لم يغز بلدهم(١٢١) والشىء الوحيد الذى يقف ضد وجهة النظر هذه جاء من وصف امتداد مملكة

« داود » حيث أن هنـاك عبـارة وحيدة غير واضحـة المعنى تقول « وبعد ذلك ضرب داود الفلسطينيين وذلهم ، وأخذ داود زمـام القصـبة من الفلسطينيين »(١٢٢) ، ولسـوء الحظ فان تفسـير مصطلح « زمام القصبة » غير واضح حتى الآن ، وهو يسـاوى ما جاء فى سفر أخبـار الأيام الأول ١٨ : ١ ، والذى اسـتبدل « زمام القصبة » بمدينـة « جت » « وأخذ » جت وقراهـا من الفلسطينيين » ، فاذا كان هذا التفسير فى حد ذاته يحتوى على معنى تاريخى فانه يعتبر محـاولة لتفسير المعنى الغامض الذى جاء فى صمويل الثانى ٨ : ١ .

على أى حال فان « زمام القصبة » هو اسم مكان ، أو دلالة على شئ حقيقى أو رمزى يستخدم فى الحـديث عن احتمال محاصرة قوة حربيـة والحقيقة أن « داود » انتصر على الفلسطينيين وأخذ « زمام القصبة » واكتفى بفرض الجزية عليهـا أو اقامة حـكومة اسرائيلية موالية فيهـا ، ولكن ليس هنـاك شئ يقال عن احتلاله لاقليم البلست ، فالسكوت عن هذه التفاصيل ذو مغزى خصوصـا فى ضوء طبيعـة الاصحاح الذى جاء منه مناقشة الجملة(١٢٣) ، فالحديث عن الدول الأخرى التى هزمهـا « داود » مثل « مؤاب » و « أرام » و « أدوم » واضح تماما « وصار المؤابيون عبيدا لداود يقدمون الهدايا »(١٢٤) . « وجعل داود محـافظين فى أرام ، وصار الأراميون لداود عبيدا يقدمون الهدايا »(١٢٥) « وجعل فى أدوم محافظين وكان جميع الأدوميين عبيدا لداود »(١٢٦) .

وعلى ذلك فان غياب مثل هـذه التفاصيل عند الحديث عن الفلسطينيين يفصـح عن نفسـه ، فالعهد القـديم مجد « داود » لتخليص شعبه من الفلسطينيين(١٢٧) ، كما أن ادراج الفلسطينيين ضمن الأمم المهزومة جاء من أن « داود » ضمهم للأمم التى حصـل

منها على الغنائم(١٢٨) ، فهذه الأسفار اذا تشير الى انتصار « داود » على الأعداء خارج حدود اقليم « البلست » ، أو الأقاليم المتاخمة لحدودها ، وهذه هى الصورة التى رسمتها كل النصوص وذكرت فيها مسرح الأحداث ضد الفلسطينيين ، فبعد أن طرد الأعداء من « يهوذا » « بدأ يجهز للمعركة الأولى وانتقل للحدود الشمالية » للساحل الفلسطينى وضرب « داود الفلسطينيين من « جبعون » الى « جازر » ولكن « جازر » نفسها لم تسقط ، بل ظلت تحت حكم الفلسطينيين ولذلك ظل شعبها متسلطا على الكنعانيين(١٢٩) ، كما أن معارك « داود » ضد الفلسطينيين كتبت كأعمال بطولية أسطورية(١٣٠) ، واذا نظرنا الى ما جاء فى أخبار الأيام الأول ٢٠ : ٤ ـ ٨ ، نجد أنه يحتوى على كثير من التناقضات حيث يذكر النص ثلاث معارك ضد الفلسطينيين ، كلها خارج الإقليم الفلسطيني ، ولكن من المحتمل أن هذه المعارك كانت فى المناطق التى احتلها الفلسطينيون من الاسرائيليين على أثر معركة جبل « جلبوع » وهذه المعارك كانت على حافة مقاطعة « عقرون » الفلسطينية ، وربما اقتطع « داود » أحد الأقاليم على الحد الشمالي لهذه المقاطعة ، ولكنه لم يتوغل داخل اقليم « البلست » ولم يغز مدنهم الرئيسية(١٣١) ، ويؤيد ذلك حادثة مدينة « جت » جنوب فلسطين والتى ظلت مستقلة حتى العام الثالث من حكم « سليمان » حيث هرب عبيد شمعى الى « اخيش » ملك « جت » وكون « اخيش » يرد هؤلاء العبيد لسيدهم ليس بالضرورة دليلا على أن « جت » كانت تابعة لاسرائيل ، حيث أن تسليم الهاربين على كل المستويات (النبلاء أو طبقة العامة) لم يكن التزاما قانونيا فرض على المدن الاقطاعية فقط ، بل كان بندا (شبه معاهدة) بين الدول المتساوية السلطات(١٣٢) ٠ على أن

« جت » أصبحت مدينة اسرائيلية فى عهد « رحبعام » ، وذلك على أساس أنها كانت ضمن المدن التى حصنها ، بمعنى آخر أن « جت » فقدت استقلالها فيما بين العام الثالث من حكم سليمان وبداية « رحبعام » فى تحصين حدود (يهوذا) ، فمن البديهى اذا أن هذا التغيير يرجع لحملة فرعون مصر على الساحل الفلسطينى(١٣٣) والتى تبعها وضع سليمان يده على « جازر » ويبدو أنها لم تكن « جازر » وحدها ، بل كل مملكة « عقرون » و « جازر » جزء منها ، هي التى وقعت تحت الحكم الاسرائيلي(١٣٤) ·

هذا الاحتمال افترضته دراسة « مازار » لقائمة مدن مقاطعة « دان » الواردة فى سفر يشوع ١٩ : ٤٠ ــ ٤٩ ، والذى به تم اتحاد مملكة اسرائيل ، وقد استنتج « مازار » أن هذه الأقاليم من مقاطعة « دان » والتي تمتد الى الشمال والشرق من « جازر » كانت من قبل ضمن مملكة « داود » بينما ظلت الأقاليم الجنوبية (تمنه ، عقرون ، جيبثون ، بعله) ، وهي المنطقة التى تشغلها مملكة « عقرون » ، بعيدة عن النفوذ الاسرائيلى حتى حكم سليمان(١٣٥) ·

وقد ذكرت « جازر » مع « بعلة » ضمن المدن التى أعاد سليمان بناءها(١٣٦) ، وليس هناك ما يمنع من اثبات أن « بعلة » هى التى تقع على بعد عشرة كيلو مترات غرب « عقرون » فى مقاطعة « دان » وهذا يعنى أن سليمان أعاد بناء « بعلة » بعد أن كانت قد دمرت مثل جارتها « جازر » أيام حملة « سيأمون »(١٣٧) ·

وتاتي أيضا امكانية حملة « سيأمون » على فلسطين من البقايا الأثرية المتنوعة التى وجدت فى فلسطين فقد عثر على جعل يحمل

اسمه فى « تل الفرعا » غرب النقب ويتفق هـذا المكان مع موقـع « شاروحين » القديمـة ، والتى كانت احدى النقاط القوية على الطريق المتجه من مصر شـمالا الى فلسطين ، منذ بداية الأسرة الثامنة عشرة عندما احتلها « أحمس الأول » ، حتى زوال السـيادة المصرية عن كنعان(١٣٨) .

ومن الاكتشافات الأثرية فى « تل مورو » على بعد ستة كيلو مترات الى الشـمال الغربى من أشـدود يأتى دليل آخر على أن « سيأمون » غزا الساحل الفلسطينى ، حيث يرى « دوثان » أنه كان يوجد فى هـذا المكان مستعمرة دمرت تماما فى النصف الأول من القرن العاشر ق.م ولايمكن أن يرجع هذا التدمير لعهد « شاشانق الأول » لعدم وجود الفخـار قبل الفينيقى والذى وجد بكثرة فى كل المواقـع الساحليـة الأخرى ، على الأقـل من منتصف القرن العاشر ق.م وما بعده ، كما أن هذه المستعمرة لم يدمرها « داود » فليس هنـاك من سبب يجعلنا نعتقد ذلك ، كمـا أنه لم يتوغل داخل اقليم « البلست » كمـا سبق أن ذكرنا ، اذا فالاحتمـال التاريخى الوحيد الممكن هو أن من فعل ذلك ، هو نفس الحـاكم المصرى الذى غزا « جازر » ودمرها دون أن يعيد بناءها ودمر تل « مورو » أيضـا ولم تظهر فى هذا المكان مستعمرة جديدة حتى القرن الثـامن ق.م(١٣٩) ، وكمـا سبق أن ذكرنا وقعت مدن فلسطينية أخرى فى قبضـة قوات الفرعـون خـلال سـيرها الى « جازر »(١٤٠) وانضمام هذه المدينـة للسيادة الاسرائيليـة ، كان خطوة كبيرة نحو تحويل الأراضى الفلسطينية لحكم سليمان ، ولكن لم يذكر العهد القديم الا مدينـة « جازر » فقط من ضـمن الأراضى التى تحولت لحكم سليمان ، ويرجع ذلك الى أن ما جاء فى الملوك الأول ٩ : ١٦ ، عن حمـلة فرعون ضـد « جازر » .

وانتقالها بعد ذلك للملك « سليمان » كانت اشارة عارضة جاءت من نقل قائمة المدن التي حصنها « سليمان » بمعنى آخر أن الموضوع الرئيسي في النص لم يكن زواج « سليمان » « والدوطة » التي جاءت مع العروس المصرية ، ولكن الأصل « جازر » وما حدث لها قبل أن يعيد « سليمان » بناءها .

ولكن ليس من المعقول أن يتورط الجيش المصري في عمليات حربية ، ويسير مئات الأميال لمجرد أن يحتل مدينة لحساب ملك اسرائيل حتى ينال رضاه ، فالأمر أبعد من ذلك ، فمن المحتمل أن الحملة التي قام بها الفرعون كانت حملة تأديبية ضد « جازر » والفلسطينيين ، فبعد أن فرض المصريون حمايتهم على الفلسطينيين للوقوف في وجه توسعات الملك « داود » ولتحقيق ذلك أخذوا مدينة « جازر » حيث أنها على الطريق الرئيسي من السهل الساحلي الى داخل فلسطين والعكس صحيح ، ويفسر هذا عدم قدرة « داود » على التقدم داخل اقليم « البلست » كما سبق أن ذكرنا ، ولكن نتيجة سياسة سليمان السلمية دخل في تحالف مع فرعون مصر « سيأمون » فأراد الأخير أن يعبر عن اخلاص نيته ، فتنازل عن « جازر » للملك سليمان ، لمعرفة أهميتها بالنسبة له فثار الفلسطينيون لذلك ويبدو أنهم رفضوا تسليم « جازر » للملك سليمان ، فقام الفرعون بحملته ودمر المدينة ، ثم أعطاها لسليمان في صورة صداق لابنته ، ويؤيد ذلك أن التدمير كان قبل الزواج .

ومن المحتمل أن الفرعون كان له دوافع اقتصادية أيضا منذ أيام « نسبا نب جد » وعصر النهضة في الأسرة العشرين كانت « تانيس » مدينة تجارية ارتبطت بموانى ساحل سورية وفلسطين كما أخبرنا تقرير « ونامون » ، وعلى ذلك فربما كانت

حملة « سيأمون » حملة تفتيشية الغرض منها القضاء على منافسة التجارة الفلسطينية(١٤١) الى جانب ذلك فمن المحتمل أن « سيأمون » حاول استعادة السيطرة المصرية على الساحل الفلسطيني ، حيث أضعفت حملات « داود » قوة الفلسطينيين العسكرية ، ثم كان انشغال الاسرائيليين بوراثة العرش بعد موت « داود » فوجد « سيأمون » فى ذلك فرصة لاعادة سيطرة مصر على فلسطين ، التى كان الفرعون يرى أنها تابعة له ، فجازر كانت الحصن الأخير فى كنعان الذى ظل تحت حكم ملوك الأسرة العشرين ، ويتضح هذا من اكتشاف خزف مطعم يحمل اسم رمسيس التاسع من نهاية القرن الثانى عشر ق٠م ، اذا ليس من المستبعد أن يكون « سيأمون » قد حاول أن يعيد السيطرة المصرية على الساحل الفلسطيني الذى فقد من قرن ونصف ، وليس من المستبعد أن يكون هدف الحملة غزو مملكة اسرائيل نفسها(١٤٢) ، ويفسر هذا تقدم القوات المصرية أبعد من « جازر » فوصول الجيش المصري الى هذه المدينة « جازر » كان يشكل تهديدا مباشرا لمملكة اسرائيل وربما يؤدى الى مواجهة بين قوات سليمان وجيوش الفرعون ، ولكن كلا من الملكين وجد أنه من الأفضل أن يتحالفا وبهذا التحالف أصبحت الأمور العسكرية والتجارية فى فلسطين تحت سيطرة مصر واسرائيل فمدينة « جازر » لم تشكل أهمية للملك « سيأمون » فقط ، ولكنها تمثل أهمية جوهرية للملك « سليمان » أيضا خاصة بعد ضمها كدوطة لابنة فرعون ، وهكذا فان « سيامون » بحملته ومصاهرته للملك سليمان قضى على المنافسة التجارية للساحل الفلسطينى ، وحقق الأمن للمصالح التجارية المصرية فى سورية وفلسطين كما أصبحت حدود سليمان الجنوبية الغربية مأمونة من جانب مصر ، وحقق السيادة على

أعدائه الفلسطينيين لقد أملت المصـــالح المشتركة على الملكين ضرورة الاتفاق أو التحــالف فنظرا لأحوال مصر الداخليــة المتردية فى تلك الفترة كما سبق أن ذكرنا ، كان لا يعنيها احتــلال تلك المنطقــة بقدر ما يعنيها أن يكون حاكمهــا من حلفائها ، تحقيقا لمصلحتهــا أولا ، ويتضح ذلك من سياستها على أيام « داود » من ايواء الأمير الأدومى ، « هدد » ومساندتها للفلسطينيين فلم يكن هذا من أجل « هــدد » أو « الفلسطينيين » فى حد ذاته ، ولكن لتحقيــق مبدأ السياسة المصرية وهو ايجــاد حليف فى هذه المنطقــة لتأمين مصالحها السياسية والاقتصــادية ، اذا لم يكن تنازل الفرعون عن هــذه المنطقة لملك اسرائيل تنازل المضطر بل تنازل ســياسى ، تنازل رجل يعرف أحوال بلاده والبلاد المجاورة ٠

هوامش الفصل الثاني

(١) Kitchen, K.A., Third Intermediate, PP. 465 — 466.

(٢) Kees ,H., Ancient Egypt., P. 203.

وكذا

Lacaut, P., et Chevrier, H., H., Une Chapelle de Sesostris 1er à Karank, Le Caire, 1956, P. 232.

(٣) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٢٦١ .

(٤) جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٣٤٧ .

(٥) بريتشارد : نصوص الشرق الأدنى القديمة المتعلقة بالعهد القديم ، ص ١٠٤ ـ ١٠٥ .

وانظر : ص ٣٠ ـ ٣١ من الفصل الأول ، ومراجع رحلة ونامون ، ص ٣٠

(٦) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٢٦١ .

Sander — Hansen, C.E., Das Gottesweib des Amon, Kobenhaven, 1940, P .51.

ومن وظيفة الزوجة الالهية لأمون انظر :

Leclant, J., «Gottesgemahlin» Lexiken der Agyptologie, II, PP. 792 — 812.

(٧) Cerny, J., C.A.H3., 2B, 1980, PP. 645 , 653.
Kitchen, Third Intermediate, P. 256.

وعن النص انظر :

Daressy, G., «Les Carrieres de Gebelein et le roi Smendis», R. d.T., 10, 1888, PP. 133 — 138.

(٨) P.M., III ,PP. 5, 225.

(٩) Kitchen, Third Intermedaite, P .57.

(١٠) Cerny, C.A.H3., 2B, PP. 650 — 651.

Ibid., P. 650.

(١١) يرى لشرنى انها ابنة نسبانب جد بينما يرى جاردنر انها ابنة بسوسينس الأول ، جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٣٤٩ .

وذهب كتشن الى أنها ابنة باى نجم الاول .

Kitchen, Op. Cit., P. 58.

(١٢) B.A.R., IV, § 648, P. 315, § 652, P. 317.

Kitchen, Op. Cit., PP. 258 — 261.

يويوت : مصر الفرعونية ، ص ١٥٨ .

(١٣) Cerny, C.A.H3., 2B, 1980, PP. 648 — 649.

(١٤) انظر الفصل الثالث ، ص ١٠٤ ـ ١٠٥ .

(١٥) سليم حسن : مصر القديمة جـ ٩ ، القاهرة ١٩٥٢ ، ص ٥ ـ ٥٧ .

(١٦) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٢٦١ .

(١٧) عن وحى آمون انظر : تحية محمد شهاب الدين : الوحى الإلهى فى مصر القديمة ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآثار جامعة القاهرة ، ١٩٨٨ .

Cerny, J., Egyptian Oracles in Parker, R.A., A Saite Oracle Papyrus from Thebes, 1061, chap. 4.

(١٨) جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٣٥٤ .

(١٩) عن علاقة « بر ـ عمسيس » بتانيس وكيف انتقلت آثار الأولى الى الثانية انظر :

Habachi, L., «Khata Cna, Qantir, Impolanee», A.S.A.E., 52, 1954, PP. 443 — 558..

Uphill, E.P., «Pithom and Raamses, Their Location and Significance» J.N.E.S., 27, 1968, PP. 291 -- 317.

(٢٠) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٢٦٥ .

(٢١) سليم حسن : مصر القديمة ، جـ ٩ ، ص ١٠ ــ ١٥ .

(٢٢) P.M., II, PP. 525 ff.

(٢٣) Daressy, G., «Fauilles de l'angle nord-ouest de l'enceinte de grand temple d'Amon à Karnak», A.S.A.E., 22, 1922, PP. 63 — 64.

(٢٤) Chaban, M., «Fouilles a Achmonein», A.S.A.E., 8, 1907, P. 223.

Wainwright, G., «El-Hibe and Esh-shurafa and Their Connection with Herakleopolis and Cusae», A.S.A.E., 27, 1927, P. 82.
P.M., IV, P. 124 f.

(٢٥) Spigelberg, W, «Brief der 21. Dynastie aus El-Hibe» Z.A.S., 53, 1917, PP. 1 — 4.
Cerny, J., C.A.H3., 2B, 1980, PP. 653.

(٢٦)
جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٣٥٠ ــ ٣٥١ .
عن خبيئة الدير البحرى انظر :
Cerny. G., The Royal Mummies, Cairo, 1912.
Maspero, G., Les Momies royales de Deir el-Bahari, Caire, 1889

وعن مقبرة « انحعبى ٢
Cerny, J., «Studies in the Chrondogy of the Twenty-first Dynasty», J.E.A., 32, 1946, PP. 24 — 30.

عن مقبرة كهنة وكاهنات آمون والتعرف بها انظر : P.M., I. P. 198.

(٢٧) موسكاتي : الحضارات السامية القديمة ، ص ١٤١ .

(٢٨) ادوارد ماير : حياة صموئيل النبى ، ترجمة فرنس داود ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ٦٥ .

(٢٩) نفس المرجع ، ص ٢ ، ٢٥ ، صموئيل الاول ٢ : ٢٢ ــ ٢٤ .

(٣٠) القضـاة ٩ : ٦ ــ ٢٠ .

(٣١) التثنية ٢٥ : ١٤ ــ ١٥ .

(٣٢) Eissfeldt, C.A.H3., 2B, 1980, 573.

(٣٣) موسكاتى : الحضارات السامية القديمة ، ص ١٤١ .
Eissfeldt. Op. Cit., P. 574.

(٣٤) صموئيل الأول ٨ : ١٠ ـ ١٨ .

(٣٥) صموئيل الأول ٩ : ٩ ، سيجال : حول تاريخ الأنبيـاء عند بني اسرائيل ، ترجمة حسن ظاظا ، بيروت سنة ١٩٦٧ ، ص ٩ ـ ١٨ .

(٣٦) حسن ظاظا : الفكر الديني الاسرائيلي ، القاهرة ١٩٧١ ، ص ٤٠ .

(٣٧) Hall, The Ancient, History of the Near East, P. 424.

(٣٨) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ، ص ٣٥٥ .
صموئيل الأول ٨ : ٢٠ ـ ٢١ .

(٣٩) جاكوبسن فى : ما قبل الفلسفة ، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا ، بغداد ، ١٩٧٤ ، ص ١٤٦ ـ ١٥٠

(٤٠) Leo Oppenheim, A., «The Sumerian King List», A.N.E.T., 1969, PP. 265 — 266.

(٤١) Ibid., P. 265.

(٤٢) Leo Oppenheim, A.N.E.T., P. 265.

(٤٣) Speiser, E.A., «Akkadin Myths and Epics, Old Babylonian Version», A.N.E.T., 1969, P. 114.

(٤٤) عبد المنعم بو بكر وآخرون : العراق القديم ـ تاريخه وحضارته ، الألف كتاب ٥٩ ، ص ٢٩٨ .

(٤٥) جاكوبسن : المرجع السابق ، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٥ .

(٤٦) كانت بلاد الرافدين طوال الالف الثالث ق.م من وحدات سياسية صغرى تعرف باسم « دول المدن » كانت كل دولة من هذه الدول تتألف من المدينة والأراضي المحيطة بها التى يفلحها أهل المدينة وقد تشمل دولة المدينة أحيانا أكثر من مدينة واحدة ، أو تجتمع فيها بلدتان أو ثلاث ويخضع قرى تعتمد على المدينة الرئيسية وتخضع لادارتها وبين الأونة والأخرى يظهر فاتحون يوحدون بين معظم دول المدن هذه فى دولة قومية واحدة تخضع لحكمهم غير أن مثل هذه الدول القومية لم يكن من دابها أن تدوم طويلا فتتجزأ البلاد من بعدها الى دولة

مدينة مرة اخرى كانت المدينـة الرئيسية هى مركز دولة المدينـة وكان المركز من المدينة نفسها هو هيكل اله المدينـة وكان مرتبط به معابد الهة اخرى أقل شـأنا .

جاكوبسن : المرجع السابق ، ص ٢٢٠ ـ ٢٢١ .

(٤٧) Jacobsen, I., «Primitive Democracy in Ancient Mesopotamia», J.N.E.S., 2, 1943, P. 165.

(٤٨) هنرى فرانكفورت : فجر الحضـارة فى الشرق القديم ، ترجمـة ميخائيل خورى ، بيروت ، ١٩٥٩ ، ص ٦٨ .

عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٤٠١ ـ ٤٠٣ .

Jacobsen, J.N.E.S., PP. 165 — 172

(٤٩) Labat, R., Le Caractere religeux de la royaute Assyro-Babylonienne, Paris ,1939, PP. 63 — 69.

(٥٠) Jacobsen, T., «The Concept of Divine Parentage of the Ruler in the Stele of the Vultures», J.N.E.S., 2, 1943, PP. 119 — 121.

(٥١) Thureau-Dangin, F., Les Inscriptions de Sumer et d'Akkad, Paéis, 1905, P. 41.

(٥٢) موسكاتى : المرجع السابق : ص ١٢٣ ـ ١٢٤ .

وانظر الفصل الأول ، ص ٣٨ ـ ٣٩ ، ص ٤٢ ـ ٤٥ .

(٥٣) قضـــاة ٢ : ١٦ ، ١٩ و ٣ : ٩ ـ ١٠ ، ١٥ ، ٢١ و ٤ : ٤ و ١٠ : ٢ وانظر الفصل الأول ، ص ٤٢ .

(٥٤) قضاة ٦ : ٨ ، ٣٤ و ٤ : ١٤ .

صموئيل الأول ١٠ : ١ ـ ٧ .

(٥٥) قضاة ٣ : ٩ .

(٥٦) قضاة ٨ : ٢٢ ، ٩ : ٧

(٥٧) قضاة ٩ : ٦ ـ ٢٠ .

وعن عصر القضاة انظر :

Eissfeldt, C.A.H3., 2B, 1980, PP. 553 —560.

(٥٨) Mowinckel, S., He That Cameth, N. Y., 1954, P. 16

(٥٩) Labat, R., Op. Cit., P. 40.
Frankfort, Kingship and Gods, P. 286.

سامي سعيد الاحمدي : المرجع السابق ، ص ١١ — ١٤ .

(٦٠) طه باقر : المرجع السابق ، ص ٣٣٠ — ٣٣١ .
صمويل الأول ٨ : ٥ — ٢٠، ١٠ : ١٧ — ١٩ .

(٦١) المزامير : : ٧ . Eissfeldt, Op. Cit., P. 573.

(٦٢) أرميا ٣٠ : ٢١ . Ibid

(٦٣) صمويل الأول : ١٣ : ٩ .

(٦٤) Mowinckel, Op. Cit., PP. 73 — 76.

(٦٥) المزامير ٨ : ٩ ، ٢٠ .

(٦٦) يعد الاصحاح الثامن من سفر حزقيال نموذجا على ذلك بالرغم من انه يعطي وصفا تفصيليا لانتهاكات المعبد الا أنه لا يشير الى ادعاءات أي ملك للالوهية أو المساواة مع « يهوه » .

(٦٧) Pederson, J., Israel, Its Life and Culture, Copenhagen, 1962, PP. 79 — 80.

(٦٨) انظر الفصل الأول من ص ٥٣ الى ٥٤ .
وكـذا : Hall, Op. Cit., P. 423.
Eissfeldt, Op. Cit., PP. 571 — 572.

(٦٩) صمويل الأول ١٣ — ٣ .

(٧٠) صمويل الأول ١٤ : ٢٤ — ٣١ .

(٧١) صمويل الأول ١٧ : ١ — ٤ .

(٧٢) صويل الأول ١٧ : ٢٠ — ٥٤ .

(٧٣) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم ، ص ٣٦٠ .
صمويل الأول ٢١ : ١ — ١٥ .

(٧٤) أو سهل مرج بن عامر وهو سهل خصيب في جنوب الجليل ، هو ميدان حروب فلسطين ، وهو مكان انتصـار « بارق » على جيوش « سيسرا » وأيضا مكان هزيمة « يوشيا » في بقعة « مجدو » قاموس الكتـاب المقدس ، ص ٧٤٣ .

(٧٥) Noth, M., The History of Israel, London, 1965, PP. 177 — 178.

(٧٦) Hall, Op. Cit., P. 350; Eissfeldt, Op. Cit., PP., 578 — 579.

(٧٧) موسكاتى : الحضارات السامية القديمة ، ص ١٤٢ .

(٧٨) Lods, A., Israel from Its Biginuing to the Middle Eight Century, London, 1962, P. 360.

(٧٩) Noth, Op. Cit., PP. 189 — 190.

(٨٠) Lods, Opè Cit., P. 361.

(٨١) Keller, The Bible As History, London, 1967, P. 188.
Cook, Op. Cit., P. 373.

(٨٢) حسن ظاظا : المرجع السابق ، ص ١٧ .
صموئيل الثا ى ٥ : ٦ .

(٨٢) صموئيل الثانى ٥ : ٦ — ٩ .
Noth, Op. Cit., P. 191.

(٨٤) حسن ظاظا : المرجع السابق ، ص ١٨ .

(٨٥) عبد الحميد زايد : القدس الخالدة ، ص ٥٦ — ٥٧ .
Noth, Op. Cit., P. 191.

(٨٦) يقصد الباحث بفلسطين هنا السهل الساحلى الذى استقر فيه البلست .

(٨٧) جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٣٥٥ .

(٨٨) Goedicke, H., The Report of Wenamun, P. 66.

(٨٩) Noth, Op. Cit., P. 187.

(٩٠) Eissfeldt, Op. Cit., PP. 582 — 583.
Noth., Op. Cit., PP. 187 — 188.

(٩١) Lods, Op. Cti., P. 360.
Eissfeldt, Op. Cit., P. 583.
Kitchen, K.A., «The Philistines» in Wiseman, D.J., Peoples of The Old Testament Times, Oxford, 1973, PP. 64 — 65.

(٩٢) Kenyon, K., «Excavations in Jerusalem», P.E.Q., 95, 1963, P. 244.

(٩٣) Noth, Op. Cit., P. 196.
Keller, Op. Cit., P. 188.

(٩٤) جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٣٦٠ .

(٩٥) Kitehen, Third Intermediate, P. 274.
Ibid.

(٩٦) هامش ١٨٣ .

(٩٧) جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٣٦٠ .

(٩٨) Hall, Op. Cit., P. 431.

(٩٩) الملوك الأول ١١ : ١٩ ــ ٢٠ .

وقد ناقش « شولمان » مسألة زواج « هدد » من الأميرة المصرية باستفاضة ، انظر :
Schulman, A.R., «The Curious Case of Hadad the Edomite» in Lesko, Egyptological Studies in Honor of Richard A. Parker, Hanover and London, 1986, PP. 122 — 135.

ومن تربية أمراء أجانب فى القصر الملكى انظر :

عبد العزيز صالح : التربية والتعليم فى مصر القديمة ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٢٠٩ ــ ٢١١ .

(١٠٠) Peet, E., Egypt and The Old Testanen, London, 1922, P. 150.

(١٠١) Malamat, A., «Aspects of the Foreign Policies of Davdi and Solomon» J.N.E.S., 22, 1963, P. 8.

(١٠٢) Ibid, P. 9.

(١٠٣) الملوك الأول ٣ : ١ ــ ٢ .
Schulman, Op. Cit., PP. 122 — 123.

(١٠٤) الملوك الأول ٧ : ٨ .

(١٠٥) الملوك الأول ٩ : ١٦ .

(١٠٦) الملوك الأول ٩ : ٢٤ .

(١٠٧) الملوك الأول ١١ : ١ .

(١٠٨) حيث عثر فى « بوغازكوى » عاصمة الحيثيين على رسالة بالمسارية تروى قصة خطاب طلبت صاحبته من « شوبيلو ليوما » ملك الحيثيين (١٣٧٥ – ١٣٣٥ ق.م) أن يزوجها واحدا من أولاده ليربط بذلك بين العرشين المصرى والحيثى ، معللة ذلك بأن زوجها قد مات ، دون أن يرزق بولد يجلس على العرش وفى نفس الوقت تربأ بنفسها من أن تتزوج بواحد من رعاياها ، وقد شك الملك الحيثى فى هذا الطلب الغريب وظن بصاحبته الظنون ، وكان ذلك سببا فى أن تحتج الأرملة باحتقار على اساءة الظن بها ، وأن انتهت الأمور باجابة طلبها وأرسل اليها الملك الحيثى بواحد من أبنائه ، غير أن هذا الأمير الحيثى قتل وهو فى الطريق الى مصر .

نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم ، ج ٣ ، ص ٧٩ – ٨٠ .

Goetze, A., A.N.E.T., 1969, P. 319.

وهناك من يرى ان هذه الأرملة هى « نفرتيتى » .

عبد المنعم أبو بكر : اخناتون ، القاهرة ١٩٦١ ، ص ١١٩ .

فانديية : مصر ، ص ٣٨٩ .

شارف : تاريخ مصر ، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ١٤١ – ١٤٢ .

والبعض يراها « عنخ اس أن آمون » ابنة اخناتون وزوجة توت عنخ آمون .

Sayce, A.H., «What Happened, after the Death of Tut-Ankhamun» J.E.A., 12, 1926, P. 170.

Griffith, N., «Akhenaten and the Hitties» J.E.A., 9, 1923, P. 78.

Redford, D.B., Akhenaten the Heretic King, Princeton, 1984, PP. 217 ff.

(١٠٩) Malamat, A, «The Kingdom of David and Solomon in its contact with Egypt and Arab Naharaim» B.A., 21, 1958, P. 98.

(١١٠) Desroches — Noblecourt, Christiane, Ugaritica, 3, 1956, P. 179.

(١١١) Mercer, S.A.B., The Tell El-Amarna Tablets, Toronto, 1939, PP. 12 — 13.

(١١٢) Malamat, Op. Cit., P. 98.

(١١٣) Peet, Op. Cit., P. 153.
Malamat, Op. Cit., P. 99.

(١١٤) محمد أبو المحاسن عصفور : تاريخ الشرق الأدنى القديم ، جـ ٢ بيروت ١٩٨١ ، ص ٢٠٥ .

(١١٥) Hall, Op. Cit., P. 437; Peet, Op. Cit., P .152, Malatmat, B.8., 21, PP. 98 —99.

(١١٦) Oesterley, Op. Cit., P. 225.
عبد الرازق قنديل : « يهود مصر » مجلة كلية اللغات والترجمة ، جامعة الأزهر ، ١٠ ، ١٩٨٥ ، ص ٥ .

(١١٧) Kitchen, Third Intermediate., P. 280.

(١١٨) Kitchen, «The Philistines»., PP. 64 — 65.
Kitchen, Third Intermedite, P. 281.; Cerny, C.A.H3., 28, PP. 656 — 657.
Eisseldt, C.A.H3., 2B, PP. 7587 — 588.
Montet, P., Le Drame d'Avaris, Paris, 1940, **P. 196.**

(١١٩) Malamat, J.N.E.S., 22, P .17.

(١٢٠) Yadin, Y., The Kingdom of Israel and Judah, 1961, P. 77.

(١٢١) Robinson, H., A History of Israel, 1, London, 1932, P. 224.

(١٢٢) صمويل الثانى ٨ : ١ .

(١٢٣) Malamat, Op. Cit., P. 14.

(١٢٤) صمويل الثانى ٨ : ٢ .

(١٢٥) صمويل الثانى ٨ : ٦ .

(١٢٦) صمويل الثانى ٨ : ١٤ .

(١٢٧) صموئيل الثانى ٣ : ١٨ ، ١٩ : ١٠ .

(١٢٨) صموئيل الثانى ٨ : ١٢ .

(١٢٩) اخبار الأيام الأول ٢٠ : ٤ ـ ٨ .

Malamat, J.N.E.S., 22, P. 15.

(١٣٠) صموئيل الثانى ٢١ : ١٥ ـ ٢٢ .

(١٣١) Malamat, Op. Cit., P. 15.
Kitchen, «The Philistines», P. 63.

(١٣٢) Malamat, Op. Cit., P. 15.

(١٣٣) اخبار الأيام الثانى ١١ : ٨ . Malamat, Op. Cit., P. 15.

(١٣٤) يشوع ١٥ : ٤٥ .

(١٣٥) Mazar, B., «The Cities of the Territory of Dan» I.E.J., 10, 1960, PP. 65 — 77., Malamat, J.N.E.S., 22, P. 16.

(١٣٦) الملوك الأول ٩ : ١٨ ، اخبار الأيام الثانى ٨ : ٦ .

(١٣٧) Malamat, Op. Cit., P. 16.

(١٣٨) Petrie, W.M.F., Beth Pelet, 1, 1930, PP. 1 — 29.

(١٣٩) Malamat, J.N.E.S., 22, P. 12.

(١٤٠) Macalister, R.A., The Excavation of Gezer, 3, 1012, P. 195.

(١٤١) Kitchen, Ihird Intermediate, P. 281.

(١٤٢) Macalister, Op. Cit., P. 195.
Malamar, J.N.E.S., 22, P. 13.

الفصـــل الثـــالث

مصر وفلسطين من منتصف القرن العاشر
حتى نهاية القرن التاسع ق٠م

أولا ــ مصـــــر

١ ــ قيــام الأسرة الثانيــة والعشرين ٠

٢ ــ أحوال مصر الداخلية فى عصر الأسرة الثانية والعشرين٠

٣ ــ أحوال مصر الداخلية فى عصر الأسرة الثانية والعشرين ٠

(أ) الحــالة السياســية ٠

(ب) الحالة الاقتصــادية والاجتماعية ٠

ثانيــا ــ فلســطين

١ ــ العبريون بعد سليمان : عوامل انقسام المملكة ٠

٢ ــ مصر وفلسطين فى عهد شاشانق الأول ٠

ــ حملة شاشانق الأول على فلسطين :

أسبابها ــ خط سير الحملة ــ نتائجها ٠

٣ ــ مصر وفلسطين بعد شاشــانق الأول حتى نهايــة القــرن التاســع ق٠م ٠

مقدمـــة :

يميـــل بعض الباحثـــين الى اعتبـــار عصر الأسرة الحـــادية والعشرين بداية للعصور المصرية المتأخرة ، ربما على اســـاس غلبة الخمول على أوضـــاع مصر الداخلية والخارجية ، وبالتالى تقلص نفوذها الخـــارجى ، وأيضـــا ضعف وحـــدة الحكم وتقاســـمه بين الملوك ، وذهب رأى آخر الى اعتبـــار الفترة من الأسرة الحـــادية والعشرين حتى نهايـــة الأسرة الخامســـة والعشرين عصر انتقـــال ثالث(١) ،ولكن هناك رأيا ثالثا يرى أن عصر الأسرة الحاديـــة والعشرين هو نهاية للدولة الحديثـــة وان ما تلاها هو ما يطلق عليه عصر متأخر ، وهذا ما يميل اليه الباحث ، على أســـاس ان مصر وان لم تحقق توســـعا خارجيـــا يذكر فى عصر الأسرة الحاديـــة والعشرين ، الا انها حافظت على حدودها الخاصة كما حافظت على استقلالها ، وظل حكمها فى أيد مصرية ســـواء فى تانيس أم فى طيبة وهـــذا ما يفرق بين أوضـــاع هـــذا العصر وصـــورته العامة بين الأوضاع التى شهدتها العصـــور التالية(٢) ، والتى تبدأ بالأسرة الثانية والعشرين وســـوف يتناول الباحث فى هذا الفصـــل ظروف قيام الأسرة الثانية والعشرين ويستعرض أوضـــاع مصر الداخلية خلال الفترة من « شاشانق » الأول مؤسس الأسرة حتى « شاشانق » الثـــالث (٨٢٥ ـ ٧٧٣ ق.م) وسياســـة هـــؤلاء الملوك تجـــاه « طيبة » والتى كانت تمثل دولة داخل الدولة منذ أواخر عصر

الأسرة العشرين ، ثم أوضـاع مصر الاقتصـادية والاجتماعية خلال تلك الفترة .

ثم ننتقل الى أحوال فلسـطين الداخلية ابان تلك الفترة والانقسام الذى أصاب مملكة العبريين وأسبابه ، ثم يوضح الباحث انعكاس أحوال مصر وفلسـطين الداخليـة على علاقة كل منهمـا بالأخرى ، وأهم مظاهر ذلك حملة شاشـانق الأول على فلسطين وأخيرا علاقة مصر وفلسـطين من وسركون الأول حتى شـاشانق الثـالث .

اولا ـ مصـــر

١ ـ قيـام الأسرة الثانيـة والعشرين

ترجع الأصـول الأولى لملوك الأسرة الثانيـة والعشرين الى عناصر « الماشـواش » التى حاولت غزو مصر فى عهد مرنبتـاح ورمسيس الثالث الا أنهما نجحا فى صد غزواتهم أكثر من مرة ، كما سبق أن ذكرنا(٣) ، لذلك تراجع هؤلاء الغزاة عن فرض أنفسهم بالقوة ، ولكنهم نجحوا فى التسلل السلمي ، ولمـا كانوا محاربين بطبيعتهم انضم الكثيرون منهم الى الجيش المصرى كمرتزقـة ، ولكن قلة الحروب خلال الأسرتين العشرين (بعد رمسيس الثالث) الحادية والعشرين ، وعدم توافر المـال اللازم لدفع أجورهم ، الى جانب وجود فراعين ضعاف على العرش المصرى ، كل هذا قد زاد من نفوذ هؤلاء الأجانب المرتزقة فأصبحوا مصـدر قلق واضطراب ، حتى أصبحنا نقرأ فى النصوص المصرية عن العمال الذين توقفوا عن العمل بسبب الخوف من الماشواش(٤) ، وقـد استقر هؤلاء الأجانب فى واحات الصحراء الغربيـة ، خاصة الداخلة والبحرية ،

فضلا عن الوادى نفســه ، كما استقرت جماعات منهم فى اهناسيا وتمركز بعضهم فى تل بسطة « الزقازيق » ولعل هذا هو السبب الذى دعا « مانيتون » الى أن يطلق على ملوك هذه الأسرة (ملوك بوباسطة)(٥) ، ثم ما لبثوا أن تمصروا فانتحلوا الديانة والعادات المصرية ، فاطمئن الفراعنــة الى بعض جماعاتهم ووزعوهم فى حاميات متفرقه ، ومنحوهم هبات من الأراضى الزراعية كمرتبــات دائمــة ، الا أنهم لم ينســوا اصولهم تماما فجمع رؤساؤهم بين لقب « ور » المصرى بمعنى عظيم وبين لقب « مس » الليبى بمعنى ملك ، ولقب « رئس ما الكبير » هو اختصــار فيما يبدو للقب رئيس المــاشواش الكبير (٦) .

معنى ذلك أن الأسرة التى نحن بصــددها هى من نســـل الأسرى والمرتزقة الذين استقروا بالبلاد ومنحت لهم أراضى مشروطة بالتزام الخدمة العسكرية ، وعلى ذلك يميل الباحث الى الرأى الذى يصف العناصر الحاكمــة فى عهود الأسرات من الثانية والعشرين الى الرابعة والعشرين بالمهجنيين(٧) ، اعتمادا على عــدة أسباب منهــا :

اولا ـ أنهم لم يكونوا من عنصر واحد ، بحيث تصــدق عليهم تسمية واحدة ، وانما كانوا من قبائل خليطــة من أهل الواحات ، والصحراء الغربيــة « الأعدمين » « التحنو » و « الشمحو »(٨) ، وفئات من شعوب البحر من أمثال « الشردن » و « الأقواشــا » و « التورشــا » و « اللــوكى » و « الشــكلش » فضــلا عن « المــاشواش »(٩) والذين نزلوا الســواحل الغربيــة الليبية منذ القرن الثالث عشر ق.م فصاعدا ، وعجزوا عن دخول مصر بالقوة أكثر من مرة ، فاكتفوا بالتسلل السلمى اليها .

ثانيـا ـ أنه قد غلبت عليهم عنـاصر المـاشواش وقلت فيها عناصر الليبيين شيئا فشيئا ، بحيث بدأ شاشانق الأول أول ملوك الأسرة بلقب رئيس « مـا » الكبـير أى رئيس « المـاشواش » الكبير ولبس رئيس « الربو » ، وكذلك كان أبوه وجده وحمل نفس اللقب « تف نخت » رأس الأسرة الرابعـة والعشرين ، الى جانب ألقاب أخرى قبل ولايته العرش(١٠) .

ثالثا ـ أنه فى أوائل العصـور المتأخرة راح ذكر « الربو » يقل شـيئا فشيئا ، وزاد عنه ذكر قبائل « ماشـواش » وكان هؤلاء أقدم عهدا من « الربو » اذ ذكرتهم مصـادر عهد « أمنحتب الثـالث » فى القرن الرابع عشر ق.م ، وكانوا يلبسـون قراب العورة واعتادوا الختان ، ربما تأثروا بالعادت المصرية ، دليـلا على تشبعهم بهـا ، نتيجـة لطول اتصـالهم بالمزارعين على المنـاطق الحدوديـة(١١) .

ومعنى ذلك أن ملوك مصر خـلال عصـــور هـذه الأسرات (٢٢ ـ ٢٤) لم يكونوا أغرابا عن مصر تماما : ولم يفتحوا البلاد عنوة ، ولكنهم كانوا خليطـا من الأجـانب المتمصرين ، ساعـدتهم الظروف التى كانت تمر بها البلاد ، على أن يتمتعوا بكثير من النفوذ الذى جعلهم يرتقون عرش مصر وكانت أقوى جاليـاتهم تلك التى كانت تعيش على الأرجح فى الواحات البحرية ثم نزحت الى اهناسيا باعتبارها من المداخل الطبيعيـة من الواحـات الى وادى النيـل وباعتبارها منطقـة مناسبة للنشاط الزراعى والتجارى ، فضلا عن قربها من الصحراء الغربية وكان ذلك فى أخريات أيام الرعامسة ، وانتسب هؤلاء النزلاء الى « بيواوا » أو « بويو واوا » ، الذى سرعان ما أصبح ولده « ماوا ساتا » واحدا من كهـان « حرى شف » معبود « اهناسيا » ثم أخذت عائلته تتوارث هـذا المنصب الكهنوتى

ويزداد نفوذها بالتدريج فى اهناسيا فضلا عن مصر الوسطى ، حتى تمكن « شاشانق » جد مؤسس الأسرة الثانية والعشرين من أن يصبح قائدا للحامية الأجنبية (الليبية) وأن يجمع فى يديه السلطتين الدينية والعسكرية فى مصر الوسطى ، وان يحمل ولده « نمرات » على أيامه لقب « رئيس الجيش كله » والرئيس الأعظم للأجانب ، وهكذا وطبقا للوحة « باسن حور » التى كشف عنها فى السرابيوم وتؤرخ بالعام السابع والثلاثين من حكم شاشانق الخامس ، فان موطن الأسرة الجديدة كان فى اهناسيا الأمر الذى ارضاه جمهور المؤرخين(١٢) ، وان كان هناك رأى آخر يرى ، أن هذه الأسرة ، انما كانت تقيم منذ أوائل عصر الأسرة الحادية والعشرين فى « بوباسطة » وليس فى اهناسيا ، اعتمادا على أن لوحة « أبيدوس » التى تعرضت للوحى الخاص ب « نمرات » والد « شاشانق » مؤسس الأسرة لم تتحدث عن اهناسيا ولا عن معبودها « حريشف » (حار سافيس) ، كما ان لوحة « باسن حور » التى اعتمد عليها العلماء والتى أقامها « باسن حور » كاهن « اهناسيا » فى السرابيوم ، كانت فى العام السابع والثلاثين من عهد « شاشانق » الخامس ، أى فى وقت لاحق على عهد شاشانق الأول(١٣) .

وهناك ما يدل على قوة بعض العائلات ذات الأصول المهجنة ، خاصة عائلة شاشانق الأول قبل ارتقائهم عرش مصر ، حيث أنه عندما مات « نمرات » والد شاشانق دفن فى أبيدوس ثم حدث اعتداء على قبره فذهب شاشانق شاكيا الى الملك فى تانيس فاهتم الملك بالأمر وسافر بنفسه الى « طيبة » مع شاشانق ليحتكموا الى الاله آمون فى ذلك الأمر وأقيمت المحاكمة فى الكرنك وشهدها الفرعون وكبير الكهنة ، وانتهت بان حكم وحى الالة بادانة الجناة ،

وعندئذ انحنى الفرعون أمام تمثال الاله الكبير وطلب من آمون رع أن يبارك كل أعمال شاشانق ، وقد أجاب الاله على ذلك بالموافقة(١٤) .

هذه الحادثة لا توضح قوة بعض العائلات ذات الأصول المهجنة فحسب ، انما تدل فى نفس الوقت على ضعف فراعنة مصر فى تلك الفترة ، فضلا عن أنها تشير الى أن هذه العناصر قد تمصرت تمصرا تاما واعتنقت ديانة المصريين شأنهم فى ذلك شأن بقية سكان البلاد ، كما تدل هذه الحادثة على ذكاء شاشانق ونفاذ بصيرته ، حيث أنه لم يقنع بالشكاية لكبير كهنة آمون بل ذهب الى ملك تانيس ، وبهذا العمل كان شاشانق يضمن استجابة الفرعون لطلبه ، حيث أنه أرضى غرور فرعون ضعيف ، كان يشعر بعدم قدرته على حكم مصر كلها ، وفى هذا العمل اعتراف من أمير قوى فى مصر الوسطى بسلطة الفرعون ، وفى نفس الوقت عدم اعتراف ضمنى بسلطة كبير كهنة آمون ، وعلى ذلك كان لابد أن يوافق الفرعون على ما ذهب من أجله شاشانق بل أن الفرعون ذهب بنفسه مع « شاشانق » لحضور المحاكمة أمام وحى « آمون » ، ثم أرسل الملك تمثالا ليوضع فى معبد « أوزير » «بأبيدوس » كما سمح للأمير « شاشانق » بتشييد مبنى فى « أبيدوس » لاقامة شعائر جنازية كبرى ، لتمجيد والده(١٥) ، وأصبح « شاشانق » بذلك على علاقة طيبة بملوك الأسرة الحاكمة، وعندما ارتقى العرش احترم ذكرى آخر ملوكها لذلك فان هناك احتمالا قويا بأن الانتقال من الأسرة الحادية والعشرين الى الأسرة الثانية والعشرين قد تم فى سلام(١٦) ، ولاشك أن الفرعون المقصود هنا هو « بسوسينس » الثانى حيث أنه من المعروف ان « وسركون » الأول ابن « شاشانق » وخليفته اتخذ ابنة « بسوسينس » الثانى وتدعى «ماعت كارع » زوجة له(١٧) ،

وبفضل هذه المصاهرة وقوة حزب « شاشانق » مع ضعف حزب الفرعون ، ضمن الأول لنفسه ولأسرته وراثة عرش مصر وجعل عاصمته « بوباسطة » بشرق الدلتا بعد أن اطمأن الى ولاء غرب الدلتا له ، وذلك لانتشار حلفائه وأقربائه على حدوده(١٨) . وهكذا أصبحت السمة الغالبة على تكوين الأسرة المالكة وبطانتها واعوانها ، انها ذات أنساب مهجنة جمعت بين دماء بعض أمراء الصحراء الغربية الأصليين وبين دماء بعض الأميرات المصريات من سليلات الأسرة الحادية والعشرين الملكية وبين دماء بعض أمراء الشعوب المهاجرة التى سميت اصطلاحا باسم شعوب البحر .

٢ ـ أحوال مصر الداخلية فى عصر الأسرة الثانية والعشرين

(أ) الأحوال السياسية :

بعد أن ارتقى شاشانق الأول عرش مصر حمل الألقاب التى كان يحملها « نسبانبجد » (سمندس) مؤسس الأسرة الحادية والعشرين ليظهر للناس على أنه استمرار للماضى ، وفى نفس الوقت بداية عهد جديد ، وقد اعترفت العواصم الشمالية مثل « تانيس » و « منف » به ملكا ، وذلك لعلاقته بالأسرة السابقة فى « تانيس » فضلا عن علاقته بكهانة « بتاح » فى « منف » ، أما فى « طيبة » فقد تأخر الاعتراف به كفرعون حقيقى حتى العام الخامس من حكمه ويوضح ذلك نقش على حجر الكرنك مؤرخ بالعام الثانى ، الشهر الثالث ، من فصل « أخت » اليوم السابع عشر لرئيس « ما » العظيم ، « شاشانق » ، ومعنى ذلك أن الكهانة الطيبية فى العام الثانى من حكم « شاشانق » لم تعترف به كفرعون ، ولم تضع اسمه فى خرطوش ولم تسبغ عليه الألقاب الفرعونية ولكنها أطلقت عليه رئيس الـ « ما » الا أنه منذ العام

الخامس اعترفت به طيبة كفرعون حقيقى(١٩) ، حيث وجدت لفافة من نسيج الكتان مهداه الى الكاهن الثانى « جد ـ بتاح ـ اف ـ عنخ » والذى كان يلقب ابن الملك «رعمسيس » ، عليها اسم « ايبوت » ككاهن أكبر لأمون ، واسم والده « شاشانق » كفرعون ، مؤرخة بالعام الخامس من حكمه (٢٠) .

لقد كانت طيبة ومعظم مصر العليا على أيام الأسرة الحادية والعشرين بمثابة دولة داخل الدولة على رأسها أسرة من قادة الجيش تحمل الألقاب الكهنوتية وعلى ذلك فعندما أراد ، شاشانق توطيد وحدة البلاد أتبع وسيلتين :

الأولى ـ تعيين بعض أفراد البيت المالك وأنصارهم على رأس الادارات فى كهانة آمون فى « طيبة »(٢١) ، فأسرع بتعيين ابنه الثانى « ايبوت » فى منصب كبير كهنة « آمون » فى الكرنك ، فكان طبيعيا أن يكون هذا الابن ممثلا للحكم الملكى فى « طيبة » بدليل انه كان يحمل لقب « قائد الجيش » الى جانب لقب كبير الكهنة ، ثم أضافت الآثار الأخيرة له لقب « حاكم مصر العليا » وان كانت هذه الألقاب لتدعيم سلطة الابن وتثبيت مركزه وتبرير وجود قوة عسكرية معه فى طيبة ، وكان من نتائج هذه الحركة الحكيمة أن كسر « شاشانق » تقليد الوراثة المتعارف عليه بالنسبة لهذا المنصب الخطير(٢٢) .

أما الوسيلة الثانية ـ فهى الزواج من الأسرة الكهنوتية الطيبية وكان لابد أن يستفيد شاشانق من سياسة الأسرة السابقة ، فمن المعروف أن ملوك « تانيس » فى الأسرة الحادية والعشرين اتبعوا وسيلة المصاهرة مع كبار كهنة « آمون » لتزكية نفوذهم فى « طيبة » حيث قام هؤلاء الملوك باعطاء بناتهم

كزوجات لكبار كهنــة « آمون » ولكن من ناحيــة أخرى ، نقلت بنات الملوك الى أزواجهن بهذه المصــاهرات فى نفس الوقت حقوقا شرعية استغلها بعضهم فى اتخــاذ الألقــاب الملكية(٢٣) وعلى ذلك فقد أراد « شاشانق » أن يتفــادى ما وقع فيه ملوك الأسرة الحادية والعشرين ، رغم أنه اتخذ نفس الأســلوب (المصــاهرة) فبدلا من اعطــاء بناته كزوجات لكبــار كهنة « آمون » فقد زوج أولاده من الأسرة الكهنوتيــة ، وبذلك اكتسبوا حقوقا شرعيــة فى منصــب الكهانة ، بهاتين الوسيلتين أصبح « شاشانق » يشرف اشرافا مباشرا على هذه الوظيفة البالغة الأهميــة ، وكفل لأسرته السلطتين السياسية والدينيــة مع ملاحظة أهميــة السلطة الدينية علاوة على ذلك فقد أعطى وظيفــة الكاهن الثانى لأبنــاء الأمراء أو لأحد أزواج الأميرات ، بينما خصصت وظيفتــا الكاهن الثالث والرابع لأبنــاء الأسر النبيلة التى تنتمى لســلالة المــاشواش(٢٤) ومع ما فى ذلك من دلالة على حسن سياســة « شاشانق » للسيطرة على هــذا المنصب (كهانة آمون) الا أنه يتضح فى الوقت نفســه قوة بعض الأمراء ذوى الأصــول المهجنــة الذين أراد الملك أن يضمن ولاءهم اما بتزويجهم من البيت المــالك أو بتوليتهم منصبا مهما فى الدولة مثل منصب الكهانــة ليضمن اســتمرار السلطة فى أسرته بمعنى آخر العطاء مقابل الولاء .

وحتى لا يترك « شاشــانق » الســـلطة الفعليــــة جنوب « منف » فى يدى رجل واحد ، عين ابنه « نمراث » حاكمــا على « اهناسيا »(٢٥) ، وهذا يوضـــح استفادته من سياســة الأسرة السابقة فى الحذر حتى مر أبنائه .

استمر فراعنة الأسرة على نفس سياســة « شاشانق » تجاه « طيبة » فعمل أغلبهم على أن يعين أحد أبنائه كبيرا لكهنة « آمون »،

لكى يكفل له ولأسرته عن طريق السيطرة على السلطتين السياسية والدينية استمرار الحكم فيهم وأن يكون لهم نصيب الأسد من ثروات معابد « آمون » ولتأييد هذا الابن فى مركزه وضع الفرعون تحت يده فرقا من الجيش وحمل لقب قائد الجيش الى جانب لقب كبير كهنة « آمون » بل تعمد بعضهم أن يزيد من تدعيم مركز ولده فى هذا المنصب ، فسمح له بأن يسجل اسمه داخل خرطوش شأنه فى ذلك شأن الملك(٢٦) • ثم زاد « وسركون » الثالث على ذلك فعين ابنته « شبتن وبه » كبيرة لكاهنات طيبة وزوجة الهية ، وسمح لها بسلطات كهنوتية تفوق سلطات كبير الكهنة نفسه(٢٧) •

الى جانب نفوذ الأمراء والأميرات كان للملك أتباع يلقبون بلقب « عيون الملك » يتولون تنفيذ سياستهم فى رداء مدنى أو كهنوتى وقد أظهر هؤلاء الملوك المتمصرون اهتماما مفرطا بالدين فكان ذلك وسيلة لفرض حكمهم على مصر كلها ، لذلك خصصوا أغلب عمائرهم الدينية لاله الدولة « آمون » فقد منح « وسركون الأول » ما يقابل ١٨٢٠٠٠ كيلو جراما من الفضة و ٢٠٩٣٠٠ كيلو جرام من الذهب و ٤٥٥ كيلو جراما من حجر نفيس لمعبد « آمون » فى « طيبة » ، كما منح المعبودات الرئيسية فى مصر « رع حور أختى » و « حاتحور » و « موت » و « حريشف » و « تحوت » و « باستت » ومعبودات اهناسيا والواقع ان مقدار ما منحه لالهة هليوبولس قد بلغ ما يعادل ٥٤٠٨١٣ كيلو جراما من الذهب والفضة(٢٨) وهذا يوضح مدى اسراف هؤلاء الملوك فى النواحى الدينية ، والتى سوف تؤثر على أحوال مصر الاقتصادية ، وأكثر من ذلك فانهم أعلنوا حرية طيبة فى تصريف أمورها ، وذلك عندما أعلن « وسركون الثانى » فى عيد « سد » انه اعترافا منه بفضل « آمون » عليه فى عيده « قد أعفيت طيبة فى طولها وعرضها بوصفها

منتظرة ومزينة لسيدها ، بحيث لايكون هناك تدخل فى شئونها من قبل مفتش بيت الملك » وربما كان هذا اعتراف بالأمر الواقع من جانب «وسركون الثانى » أو انه رأى من حسن السياسة أن يقوم بهذا الأمر ، غير ان هذا لا يمنع طيبة من التمرد ضد هؤلاء المتسلطين الجدد بين حين وآخر ، فقد تمرد أهلها عدة مرات فى عهد الكاهن الأكبر « وسركون » ابن تيكلوت الثانى ثم فى عهد ابنه شاشانق الثالث ، وقد اشتد الملوك فى اخماد عصيان طيبة حرصا على مصالحهم وهيبة سلطانهم فيها ، حتى انهم ألقوا بعض زعمائها فى النار أحياء(٢٩) ٠

ورغم هذا كله لم تستطع هذه الاجراءات أن توجد مصر ، الا فترة حكم شاشانق الأول فقط وكان توحيدا مشروطا باعطاء الاقطاعات للأسر القوية ذات الأصول المهجنة ، فما كاد ينتهى حكم شاشانق الأول حتى أعاد الشقاق والتنافس بين الشمال والجنوب ، حيث ان ما كان يراه ملوك الأسرة الثانية والعشرين عاملا من عوامل الوحدة والسيطرة على طيبة ومصر العليا ، وهو تعيين أفراد الأسرة المالكة فى منصب كهنة طيبة كان فى نفس الوقت من عوامل التفتت والانقسام ، حيث أن وصول ملك جديد الى العرش يتبعه خلع الكاهن الأكبر لتعيين ابن الملك الجديد مكانه ، فى الوقت الذى يكون فيه الكاهن السابق أصبح لديه حزب قوى ، وهكذا كانت هذه السياسة عاملا من عوامل قيام المنافسة والحروب الأهلية فى مصر ، ولعل ما حدث فى عهد الكاهن الأكبر « وسركون » ابن « تكلوث » الثانى خير دليل على ذلك(٣٠) ٠

مجمل القول أن السلطة التى كان يمكن أن يباشرها الفرعون فى تلك الفترة لم تتجاوز سلطة رئيس انتخبه أنداده الذين كان لمساعدتهم الفضل الأكبر فى وصوله للعرش ، وكانت هذه المساعدة

تتطلب مقابلا ، فاحتفظ رؤســاء الأسر المهجنــة ببعض الاســتقلال تجــاه التاج ، وبذلك كانت مدن مصر الكبرى تحت إمرة رؤســاء عسكريين من سلالة المهجنيين او تحت أمرة كهنة عظــام ٠

(ب) الأحوال الاقتصادية والاجتماعية :

كان لسياســة الأسرة الثانيــة والعشرين في ســبيل تحقيق سيادتها على مصر ، أثرها السيىء على أحوال البلاد الاقتصــادية والاجتماعية ، فالي جانب الهبات الكبيرة التي منحها ملوكهــا لمعابد مصر والهتها ، أنعموا على نفر من الأمراء القدامى باقطاعات كبيرة لضمان ولائهم ، وكان هؤلاء الأمراء قد أصهروا الى الحكام وتزوجوا من بناتهم ، وكذلك ظهرت طبقــة اقطاعيــة كبيرة توافر لها نفوذ في حكم الأقاليم(٣١) ٠ كما تكونت في المجتمع المصرى في أواخر هذا العصر طبقــة من المحــاربين أطلق المؤرخون الاغريق على أفرادهــا اسم « ماخيموى » أصبحت العسكرية معهم هدفا يرنو اليه أفراد الطبقــة الوسطى ويتوارثونها ابنا عن أب ويحصــلون عن طريقها على اقطاعات زراعيــة صغيرة مناســبة ، فتكونت متماسكة منطوية على نفسها من العسكريين ، وربمــا اتخذ مثل هذا التقليد الطبقى سبيله الى صفوف بعض الكهنــة وأسرهم(٣٢) ٠

ويوضح سوء أحوال مصر الاقتصــادية في عصر هذه الأسرة ، أن ما أقاموه من مبان دينية انما كان في واقع الأمر عمليــة تخريب للمنشآت الدينية المصرية ، فقد كان هؤلاء الحكام المتمصرون على غير مستوى المســئولية بالنسبة للحفــاظ على آثار الأســلاف ، ويبدو أنهم لم يجدوا غير ذلك وسيلة لاقامة عمائرهم الدينيــة التى تخلد ذكراهم ، ولكنهــا في نفس الوقت أظهرت عجزهم وســوء أحوالهم ، فبعد موت شاشانق الأول انقطعت موارد البلاد الخارجية،

خاصة ذهب النوبة(٣٣) ، فلم يجد هؤلاء الملوك أمامهم الموارد الكافية لاقامة منشآت دينية لهم ولمعبوداتهم فلجأوا الى هدم بعض معابد الفراعين العظام ، خاصة تلك التى أقيمت على مقربة منهم فى الدلتا ، واستعملوا أنقاضها فى بناء عمائرهم ، وعمل تماثيل لهم ، بل أن العجز قد بلغ بهم أحيانا الى عدم القدرة على هدم بعض المعابد الضخمة ، ومن ثم فقد اكتفوا بمحو اسماء أصحابها من الفراعين السابقين ، ووضع أسمائهم عليها ، فعل ذلك « وسركون الثانى » فى بوباسطة عندما محا اسم الفرعون « رمسيس الثانى » من كل أجزاء معبده وأهداه الى الالهة « باست » بعد أن قام بتغيير اسماء المعبودات الأصلية التى كرس المعبد لها فى الأصل ، بل أن قبر « وسركون الثانى » انما سرقت أحجاره من آثار ترجع الى أيام الدول القديمة الوسطى والحديثة ، وان كان لآثار « رمسيس الثانى » نصيب الأسد فيها ، ولقد اتخذ ملوك هذه الفترة من مدينة « تانيس » محجرا يحصلون منه على ما يريدون ، وغالى « شاشانق الثالث » فى ذلك كثيرا ، حيث أقام بوابته الهائلة التى أقامها فى « تانيس » من عمائر يرجع تاريخها الى الفترة ما بين الدولة القديمة والأسرة الحادية والعشرين ، الأمر كذلك بالنسبة لمقابرهم التى دفنوا فيها داخل معابدهم فليس بها حجر واحد لم ينزع من المبانى القديمة فى « تانيس »(٣٤) ٠

واذا قلنا أن اغتصاب مبانى الآخرين عادة مصرية لم يخترعها ملوك هذه الفترة ، لكان ذلك صحيحا ، ولكن الصحيح أيضا أن الاغتصاب السابق لم يكن بهذا القدر الهائل ، فضلا عن أن أصحابه قد أقاموا آثارا تعادل أضعاف ما اغتصبوه عدة مرات ، بعكس ملوك هذه الفترة الذين اعتمدوا فى المقام الأول على الاغتصاب وأن ما أقاموه لم يكن أكثر من عملية تخريب وتحطيم لآثار الملوك السابقين ٠

ثانيـــا ـ فلســـطين

١ ـ العبريـون بعد سـليمان

عوامل انقســام المملكة :

بموت «سليمان» ، مات حلم العبريين فى أن يكونوا قوة لها كيان بين جيرانها من دويلات فلسطين وســورية ، اذ سرعان ما تفشى الشقاق القبلى القديم فيمـا بينهم ومن ثم انقســمت دولتهم الى دولتين ، احداهما فى الشــمال وهى اسرائيل والثانيــة فى الجنوب وهى يهوذا ٠

وقد اختلفت وجهات النظر حول هــذا الانقســام ، فالعهد القديم يحمل « سليمان » تبعيــة هذا الانقسام كاملة ، فيذكر ان اقبال « سليمان » على ملذاته وحبه للنســاء الأجنبيات أدى الى ادخال الهــة أجنبية الى جانب « يهوه » اله اسرائيــل ، مما ترتب عليــه تمزيق الوحدة الدينيــة بين القوم ، والتى أدت بدورهــا الى تمزيق الوحدة السياســية ، معنى ذلك أن « ســليمان » من وجهة نظر العهد القديم(٣٥) ختم حياته ، وقد حل عليــه غضب الرب ، لأن قلبه مال عن اله اسرائيل ، ولم ينفذ وصاياه رغم أنه يعرف ان رب اسرائيــل اله غيور يورث ذنوب الآباء للأبنــاء ، فى الجيل الثالث والرابع من مبغضية(٣٦) ، من هنا شاءت ارادة الرب أن تمزق مملكة « سليمان » ليعطيها لعبده ، ولكن تقديرا لعبده داود ولأورشــليم مدينتــه يؤجــل ذلك الى ما بعد موت

« سليمان » ، بل ويعطي ولده من بعده ، سبطا واحدا من أسباط اسرائيل وهكذا ـ طبقا لرواية العهد القديم ـ ما أن توفى « سليمان » حتى حلت على نسله نقمة الرب ، فمزق مملكته بين « رحبعام » ولده و « يربعام » عبده(٣٧) .

ولعل من الأهمية بمكان الاشارة الى أن النصوص التى تجعل انقسام المملكة بسبب غضب الرب على « سليمان » تتعارض تماما مع ما سبق أن روته نصوص أخرى من العهد القديم بشأن « سليمان » ، حيث تروى ان رب اسرائيل نفسه قد منع « داود » من أن يقيم له هيكلا ، لانه سفك دماء كثيرة ، وأن الذى سيقيم له هذا الهيكل هو ابنه « سليمان » لأنه سيكون للرب ابنا ويكون هو أباه ، ويثبت كرسى مملكته الى الأبد(٣٨) ، وهناك فريق من الباحثين يميل الى الأخذ بما ورد فى العهد القديم بتحميل « سليمان » تبعة انقسام مملكته بعد وفاته ، فيذهب بعضهم الى أنه من أسباب الثورة على « سليمان » ان اسرائيل كانت تئن تحت جور العسف ، وكانت تترقب الفرصة للثورة تخلصا من السخرة والضغط كما يشير الى ذلك العهد القديم(٣٩) ، ولكن هذا فى الحقيقة ليس سببا كافيا للشقاق الذى أصاب المملكة ، فيرى البعض الآخر انه كان هناك سبب آخر حيث أن التذمر قد بدأ على أيام « سليمان » نفسه عندما ظهر التناقض واضحا بين ترف العاصمة أورشليم وبين الفقر النسبى الذى كانت تعيش فيه بقية المناطق الأخرى نتيجة ضياع بعض اقاليم المملكة والتى كانت غنية بثرواتها مثل « أدوم » ، ونتيجة سياسة « سليمان » الضريبية(٤٠) ، الى جانب اسرافه فى المبانى والنفقات وسياسة الاحتكار الاقتصادى التى اتبعها(٤١) ، فاستغلت المعارضة الحانقة سياسة « سليمان » الدينية والاقتصادية هذه ، وكتلت معظم الأسباط الاسرائيليين ضد حكمه المطلق ، فظهرت فى أواخر عهده حركة ثورية مناهضة له ولسياسته فى « شيلوه » وقد تزعم هذه الثورة النبى « اخيا » الشيلونى(٤٢) .

وهناك من يرى أن من أسـباب هذا الانقسام ، أن « سليمان » قد تعجل حينما أراد تحويل البـلاد من دولة زراعية الى دولة بها بعض الصناعات ، فتطلبت هذه المشروعات الضخمـة فرض ضرائب باهظـة على الشـعب وعددا كبيرا من العمال ، وما أن تمت هذه المشروعات حتى وجدت فى أورشليم طبقة من العمـال المتعطلين كانوا من عوامل الشقاق السـياسى والفساد الاجتماعى فى فلسطين(٤٣) .

يتضح مما سبق أنه بالرغم من أن « سليمان » هو الذى مد شهرة العبرانيين وجعل لهم كيانا بين الأمم المجـاورة وأنشأ لهم معبدا ظل قرونا طويلة الهيكل الوحيـد لهم ، وعلمهم فضـل القانون والنظـام وبث مبادىء الوحدة فى نفوسهم واهتم بالصناعة ، وشجع التجارة بانشاء أسطول البحر الأحمر فتحولت طرق التجارة مع بلاد العـرب وافريقيـا الى هـذا الطريـق بدلا من طريـق مصر(٤٤) ، نقول رغم هذا كله كانت سياسة « سليمان » من بين عوامل انقسام الدولة من بعده كما سبقت الاشارة .

الى جانب سياسـة « سليمان » كان التنافس بين قبـائل الشمال « اسرائيل » وقبائل الجنوب « يهوذا » قديمـا لأسباب كثيرة من بينها ، أن اقتصاد احدهما كان رعويا والآخر زراعيـا ، فقد تميز القسم الشـمالى بخصـوبة أرضـه التى تجود بمحاصيل مختلفة لذا أصبح شعب الشـمال مزارعا فأقام علاقات تجـارية مع الممالك المجـاورة خاصة وأن هذا القسم يقع على مفترق الطرق المؤدية الى آسـيا وأرض الرافدين ومصر ، كما أن هذا القسـم كان أكثر تأثرا بحضـارة الكنعانيين والأقطـار الأخرى المتحضرة من جهـة الشـمال ، أما القسـم الجنوبى فكان اقليما جبليـا لذا كان شعبه رعويا يعيش عيشـة بسيطة ويزاول طقوسا أكثر بساطة بالرغم من أن العاصمة كانت فيه (٤٥) .

هكذا كانت مملكة العبريين تحمل بين طياتها عوامل انقسامها نتيجة لظروفهـا ، فيرى « فرويد » أن ثمـة عناصر متباينـة قد

ساهمت فى تكوين الشعب اليهودى ، غير أن الحقائق البارزة تثبت ان الأمة اليهودية تكونت من فريقين مختلفين ، وطبقا لهذه الحقيقة سارت الأمة اليهودية على طريق الانقسام مرة أخرى بعد فترة من الوحدة السياسية(٤٦) . فكان أمرا طبيعيا أن تنقسم هذه المجاميع المتنافرة بعد أن اختفى العنصر الذى ضم بعضهم الى بعض فى فترة ما وهو عنصر الدفاع عن النفس ، اذ كانت تلك المملكة قائمة على أساس غير ثابت فلم تستطع سياسة التركيز والتوطيد التى اتبعها الملوك العظام مثل داود وسليمان من القضاء على عوامل الهدم داخل المملكة وكان أقوى عوامل الهدم هذه هو التنافس بين قبائل الشمال وقبائل الجنوب ، وهو تنافس لم يقض عليه أبدا بل قضى هو نفسه على دولة العبرانيين(٤٧) ، حيث لازمتهم آفتهم القديمة بعد اقامة المملكة فلم يفارقوا نظام القبيلة بعد محاكاتهم لجيرانهم فى نظام الدولة ، وظلوا فى دولتهم قبيلة معزولة عن الأمم ، بل سبطا معزولا عن سبط ، وظلت العصبية القبلية دستورا يصلح لهم ، ولكنه لا يصلح لتنظيم الدولة ، كما ظلوا يحصرون العصبية فى أضيق حدودها بين أسباط القبيلة الواحدة ، ويتشددون فى حصر كل سبط بميراثه الى أعقاب الأعقاب(٤٨) ، وعلى ذلك كانت الأزمة الاجتماعية أكثر عمقا وأشد خطرا ، فقد فرضت الحياة البدوية نظاما ان لم يكن ديمقراطيا بالمعنى الصحيح ، فقوامه المساواة بين الشعب ، وذلك بفضل المشاركة فى الأموال والأملاك ، فأزالت الحياة الحضرية هذا النظام رويدا رويدا ، ثم أفضى الاقتصاد التجارى الذى شجعته الملكية الى التفاوت الاجتماعى ، فهاج فى النفوس الحنين الى الحياة البسيطة ، معنى ذلك أن تقاليد العبرانيين البدوية لم تستطع أن تكيف نفسها فى يسر وفق نظام الملكية ، فعلى الرغم من أن الملكية

كانت أمرا لا مناص منه لكي تشغل دولة العبرانيين مكانا فى الميدان السياسى فى الشرق الأدنى القديم ، كانت روح أهلها الاستقلالية البدوية تعرقل الملكية وتنال منها ، فقد استعان معارضو السلطة الملكية ، بالسلطة الدينية ، فأوجدوا داخل الدولة ثنائية أخرى الى جانب ثنائية الشمال والجنوب ، وقد اصطدم أول ملوك العبرانيين بهذه السلطة وكان هذا سببا فى سقوطه ، فوعى داود وسليمان هذا الدرس ، فبسطا حمايتهما على الدين ، والحقا الكاهن الأكبر ببلاطهما ، وجاهدا ليجعلا الهيئة الدينية ادارة من ادارات الدولة ، فانصبت الكراهية على الدين والدولة معا ، وكان قيام الأنبياء مظهرا تلقائيا لما كان يشعر به الناس من سخط على الصورة التى فرضها الحكم الملكى على الدين(٤٩) .

وهكذا تجمعت عوامل الانقسام فى انتظار من يحركها ، فكانت حماقة « رحبعام » هى السبب المباشر لانقسام مملكة العبرانيين ، عندما اجتمعت قبائل مملكة اسرائيل فى « شكيم »(٥٠)، لتناقشه فى أمر تعيينه ملكا وخليفة لأبية سليمان وتملى عليه شروطها ، وهذا يعنى ان الأسباط الاسرائيلية لم تعترف بالوراثة التقليدية التى حدثت من قبل ، والتى كان لها ظروفها الخاصة ، ولكنهم أرادوا أن يمنحوا التاج بأنفسهم ل « رحبعام » وأن يعقدوا معه ميثاقا ، فطلبوا منه تأكيدا بانهاء الأعباء التى أصبحت لا تطاق منذ أيام سليمان(٥١) ، وكان رد « رحبعام » ان خنصرى أغلظ من متن أبى ، والآن أبى حملكم نيرا ثقيلا ، وأنا أزيدكم على نيركم ، ان أبى أدبكم بالسياط وأنا أؤدبكم بالعقاب »(٥٢) وكانت هذه هى اللحظة التى أعلنت فيها قبائل الشمال انفصالها عن بيت داود .

ومما لاشك فيه أن مصر كان لها دور لا ينكر فى انقسام مملكة العبرانيين وان كان غير مباشر ، حيث كانت ملجأ لأعداء سليمان ، فما كانت مصر ترغب يوما ما فى أن ترى فى فلسطين دولة قوية ، لأنها كانت تراودها دائما فكرة استعادة مجدها السالف ، فكان من مصلحتها أن ترى مملكة العبرانيين منقسمة وضعيفة فأخذت تغذى بذور الشقاق حتى تم لها ما أرادت .

٢ ـ مصر وفلسطين فى عهد « شاشانق » الأول

تنبأ « أخيا » الشيلونى بان « يربعام » سوف يخلف سليمان على عشرة من أسباط اسرائيل وسمع سليمان بذلك ، فسعى للتخلص من « يربعام » ولكن الأخير تمكن من الهرب الى مصر ، حيث استقبل بترحاب من شاشانق الأول مؤسس الأسرة الثانية والعشرين الذى أعطاه الحماية والأمان فما أن انتهى حكم سليمان حتى هبت الفتن الهوجاء بين قبائل الشمال والجنوب وانقسمت مملكة العبريين الى مملكتى « يهوذا » و « اسرائيل » وتم اختيار « يربعام » ملكا على اسرائيل وظل « رحبعام » ملكا على « يهوذا » فى ذلك الوقت كان شاشانق الأول قد أتم توحيد القطر المصرى ، شماله وجنوبه ، وأخذ يتطلع الى الخارج ، فأعاد العلاقات مع جبيل واستعاد بلاد النوبة(٥٣) ، وجاء دور فلسطين حيث أينعت ثمرة جهده الطويل فى السنوات السابقة وحان الآن قطافها .

حملة شاشانق الأول على فلسطين :

نقرأ فى العهد القديم أنه « فى السنة الخامسة للملك رحبعام صعد شيشق ملك مصر الى أورشليم وأخذ خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك وأخذ كل شىء وأخذ جميع أتراس الذهب التى عملها

سليمان »(٥٤) ، وفى رواية أخرى « وفى السنة الخامسة للملك « رحبعام »صعد شيشق ملك مصر على أورشليم لأنهم خانوا الرب بألف ومائتى مركبة وستين ألف فارس ولم يكن عدد للشعب الذين جاءوا معه من مصر لوتيين وسكيين وكوشيين وأخذ المدن الحصينة التى ليهوذا وأتى الى أورشليم »(٥٥) ، من هذه الرواية يتضح مدى ضخامة الحملة التى قام بها شاشانق على فلسطين التى تقع حوالى ٢٥/٩٢٦ ق٠م على أساس أن بداية حكم سليمان كان فى عام ٧٠/٩٧١ ق٠م وبما أنه حكم أربعين عاما فان حكمه ينتهى حوالى ٣٠/٩٣١ ق٠م وطبقا لنصوص العهد القديم فا نالحملة كانت فى العام الخامس من عهد الملك « رحبعام »(٥٦) كما أن هذا التاريخ (٢٥/٩٢٦ ق٠م) يتفق مع السنوات الأخيرة من حكم « شاشانق » الأول الذى تولى الحكم حوالى عام ٩٤٥ ق٠م ، وآخر ذكر له على الآثار كان فى العام الحادى والعشرين من حكمه أى حوالى عام ٩٢٤ ق٠م(٥٧) ٠

وقد اختلفت وجهات نظر المؤرخين حول دوافع هذه الحملة فيرى كل من « لودس » و « هول » و « بريت » ان « يربعام » هو الذى استنجد بالملك « شاشانق » فاغتنم الأخير الفرصة وقام بالحملة(٥٨) ، معنى ذلك أن الفرعون كان عاقدا العزم على غزو فلسطين ، ووجد فى استنجاد « يربعام » به الفرصة المناسبة ، اذا لم تكن نجده « يربعام » هى هدف الفرعون الأول بل كان هناك أهداف أخرى ٠

وهناك من يرى ان حملة « شاشانق » على فلسطين كانت لتحقيق السيطرة على طرق التجارة المهمة التى تمر عبر فلسطين ، حيث وجد الفرعون فى جيرانه الشماليين (العبريين والفلسطينيين) ، منافسا خطيرا لأعماله التجارية (كما أرى سيأمون من قبل)(٥٩)

بالاضافة الى أنه كان يرغب فى البحث عن مورد للخزينة لأن البلاد كانت فى حالة اقتصادية سيئة ووجد من المتعذر فرض ضرائب جديدة لأن حكمه لم يكن مقبولا تماما فى مصر ، فاتبع سياسة ملوك مصر التقليدية فى القيام بحملات خارجية لزيادة دخلهم ولكن ليس معنى ذلك ان هدف الحملة كان مجرد سلب ونهب لملء خزائن مصر كما ادعى البعض(٦٠) ، الا أن ذلك لا يمنع أن العامل الاقتصادى كان من أهدافها .

وربما كانت هذه الحملة تهدف الى استعادة النفوذ المصرى فى فلسطين واعادة بناء الامبراطورية المصرية(٦١) وان كنا نرى أن كل هذه الأهداف مجتمعة كانت وراء الحملة ، وانتظر « شاشانق » الفرصة المناسبة للقيام بهذا العمل والتى واتته بموت « سليمان » وانقسام مملكته كما سبق أن ذكرنا وهنا كان أمرا حتميا أن يظهر « شاشانق » سياسته التوسعية ضد فلسطين وكانت المعركة الأولى فيما يبدو عبارة عن مناوشات عند البحيرات المرة ثم تبعها الزحف ، يقول النص : « **فوجدتهم يقتلون ... (جنودى ؟) وقواد جيشى ، وقد انزعج جلالته بخصوصهم (وتحرك ؟ كما) رغبوا . ثم قال جلالته لحاشيته : (انظروا ...) هذه الأفعال الشريرة التى ارتكبوها عندئذ (اجابوه ...) ثم تحرك جلالته ... ترافقه عرباته الحربية دون علمهم (أى الأعداء) انظر ، احدث جلالته مذبحة عظيمة بينهم ... (ذبحهم) على ضفة البحيرات المرة** » . كان أبوه « آمون » هو الذى وهبه النصر عليهم(٦٢) .

وقد استخدم « شاشانق » أقدم الطرق بين مصر وفلسطين (القنطرة ــ رفح) والذى استخدمه فراعنة مصر الذين وجهوا حملاتهم الى آسيا ويوضح ذلك ذكر مجدول رقم ٥٨ فى قائمة

الكرنــك والتى تقع على الطريــق بين رفح والفرما ، فرحبت به القبائل التى كانت تضمر العداء للعبرانيين وساعدته(٦٣) •

وردت أخبار هــذه الحملة على شكل قائمة طبوغرافيــة على الجدار الجنوبى الغربى للصرح الثانى بالكرنك ، وهو المعــروف بالبوابة البوباسطية(٦٤) ، وقد قسمت الى قسمين « القسم العلوى ويحتوى على خمسة أسطر تبدأ بأقوام الأقواس التسعة »(٦٥) ، وتشمل الأرقام (١ ــ ٩) •

أما رقم (١٠) فانه يحتوى على عبــارة تدل على أن ما يأتى بعده هى أســماء الأماكن التى غزاهــا « شاشــانق » وتشــمل الأرقام (١١ ــ ١٥) خاصــة الأماكن الواقعــة فى وسط شــمال فلسطين بينما شــمل القسم الأسفل من القائمة خمسة أســطر أكثر طولا ، يتضمن العديد من أســماء الأماكن الخاصــة بجنوب فلسطين أى اقليم « يهوذا » و « النقب »(٦٦) •

وحتى الآن لم يستطع الباحثون التعرف من أســفار العهــد القديم أو المصــادر الأخرى على كثير من الأسماء الجغرافيــة التى جاءت فى القسم الأول من القائمــة ، كما أنهم لم ينجحوا فى ايجــاد وسيلة لترتيب الأســماء التى أتبعها كاتب القائمــة وهكذا فان أشياء كثيرة بخصوص هذه القائمة ومحتوياتها لاتزال غامضة •

وقد بذل « مازار »(٦٧) محــاولة جديدة لايضــاح محتويات هذه القائمة على أساس أن المجموعة الأولى من القسم الأول أكثر دقة فقرأ الأسطر الأربعة الأولى بشــكل تتابعى أى بدأ من يســار السطر الأول حتى نهايتــه ثم السطر الثانى من اليمين الى اليسار وكذا الحــال مع السطرين الثالث والرابع ، وبناء عليه حصــل

على قائمة جغرافيــة مقبولة للمدن واماكن المعسكرات التى عبرها الجيش المصرى فى مملكة اسرائيل(٦٨) ٠

كان خط ســير الحملة على النحو التــالى : كانت غزة هى المدينة الأولى التى وصــل اليها « شاشانق » بجيشــه وهى المكان الوحيد الذى يقع على الســاحل الفلسطينى الذى ذكر فى هــذه القائمة ، « ومن غزة » أرســل « شاشانق » جزءا من قواته عن طريــق « يرزا » و « شــاروحين » الى النقب (انظر الشــكل رقم ٤)(٦٩) ٠

وعند « شاروحين » انقسمت هذه القوات الى ثلاث أو أربع فــرق (انظر الشــكل رقــم أ) اتجهت احــداها الى حصــن « فوطيش »(٧٠) ومنه زحفت الى الشــمال الشرقى من اقــليم « الخليل » جنوب « يهوذا » وضربت فى طريقها « علجاد »(٧١) و « تفوح »(٧٢) و « بيت عنات »(٧٣) و « اشتا » (شنيا)(٧٤)٠

أما الفرقة الثانيــة فربما تكون قد زحفت شرقا الى « بئر سبع » ومنها الى حصــن « عرديا الكبرى »(٧٥) و « عرد بيت يرحــام »(٧٦) ، وأراضى « الكينيثيين والشوحاتيين » ، فى شرق النقب(٧٧) ، وتقدمت الفرقة الثالثة صــوب dmi ودخلتها(٧٨) ، وربما أيضــا جنوب « يرحام »(٧٩) ، ومنها زحفت فى قلب النقب ولربما يكون قد وصلت عصيون جابر(٨٠) ١٦٠ كم جنوب البحر الميت على خليج العقبــة ، وان كان البعض يستبعد هــذا نظرا لبعد الشقة ووعورة الأرض فضــلا عن أن مساواة sbrt (n) Gbry (٧٣ ــ ٧٤) لعصيون جابر لايوجد ما يبرره(٨١) ٠

يتضح مما سبق أن قوات « شاشانق » دخلت الى قلب النقب من الغرب الى الشرق كما أن المدن التى ذكرتها القائمــة تتشابه

مع قائمة المدن التى ذكرها العهد القديم(٨٢) ، فى النقب وبالنسبة للأسماء الجغرافية المركبة نلاحظ انها تلحق باسم عائلة أو تشتق من اسم قبيلة من القبائل الرحل أو شبه الرحل التى كانت تعيش فى المناطق الصحراوية او أراضى المراعى فى الجنوب(٨٣) وهناك تسعة أسماء مركبة مع كلمة « باحقر » وهى « حجر » فى العربية والتى تعنى « حصن » وظهرت بهذا المعنى فى الأرامية والعبرية القديمة ، اذا هناك علاقة بين « حجرايم » فى قائمة « شاشانق » و « حزرايم » فى العهد القديم وعلى ذلك فمن المحتمل جدا أن مدن جنوب فلسطين كانت بمثابة حصون ونقاط للمراقبة تحت اسم « حجرايم »(٨٤) .

فى الوقت الذى أرسل فيه « شاشانق » بقواته الى النقب فى جنوب مملكة « يهوذا » سار بالقوات الرئيسية الى الشمال الشرقى على طول الحدود بين الساحل الفلسطينى ومملكة « يهوذا » حتى وصل الى مقيده ؟(٨٥) ومنها الى ربوت (رقم ١٣) وهكذا بدأ هجومه على حصون وسط وشمال « يهوذا » ، ومن ثم فقد سار فى طريق ممهد عبر التلال مارا بمدينة « عجلون » و « بيت حورون » الى « جبعون » ، وبالقرب من أورشليم خير الفرعون ، الملك « رحبعام » بين الاستسلام أو الحرب ، وهنا نصح النبى « شمعيا » « رحبعام » بالاستسلام حيث قال له : « انكم تركتم خدمة الرب ولكن بعد أن تذللوا للرب لم يهلكهم بل أعطاهم قليلا من النجاة ولا ينصب غضبى على أورشليم بيد شيشنق »(٨٦) ، وبناء على هذه النصيحة أدى « رحبعام » جزية كبيرة للملك « شاشانق » (من خزائن داود وسليمان وخزائن المعبد وخزائن قصر أورشليم وكذلك كل اتراس (الذهب) ، معنى ذلك أن أورشليم خضعت للملك « شاشانق » ولكنها لم تحتل ، ويوضح ذلك أنها لم تظهر فى هذه القائمة ، فالفجوات الوحيدة المحتمل أن

تكون أورشليم احداها تقع فى السطر الرابع الذى يضم الأماكن من رقم (٤٠) الى رقم (٥٢) حيث أن الاسم المفقود فى السطر الثانى هو رقم (٢٠) من المحتمل أن يكون مكانا فى وادى الأردن أو شرق فلسطين والأسماء المفقودة فى السطر الخامس من (٦١ ـ ٦٣) تقع بين السامرة ويزرعيل فى مملكة اسرائيل فاذا كان السطر الرابع يمثل بعض الأماكن التى أغارت عليها القوات المساعدة (التى لم يكن شاشانق قائدها) يكون من غير المحتمل أن احداها أورشليم(٨٧) .

سار « شاشانق » بهذه الغنيمة شمالا الى مملكة اسرائيل عن طريق « جمرم »(٨٨) ، الى « شكيم » و « ترزة »(٨٩) ، ولكن « يربعام » كان قد فر نحو الشرق فعبر نهر الأردن وذهب الى وادى يبوك ويبدو أن الفرعون لم يتعقبه بنفسه وانما أرسل فى أثرة قوة أخرى وسار هو جهة الشمال والشمال الغربى (انظر الشكل رقم ٣) فأسرعت القوة المطاردة للملك « يربعام » وعبرت نهر الأردن عن طريق مخاضة عند « أدما » (تل الدامى) الى وادى الفرعا حتى وصلت الى « سوكوث » (تل دير علا) لكى يقبض على « يربعام » فى « بنويل »(٩٠) ، « ومناحيم » وقد انتهت مهمة هذه الفرقة ومن ثم ربما عادت الى الأردن ، أو اختصرت الطريق من شرق الأردن الى « رحوب » و « هافريم » و « بيت شان » وكل هذه الأماكن تقع فى سهل يزرعيل (مرج ابن عامر)(٩١) ، وعند « بيت شان » التقت هذه القوة بقوات أخرى للملك « شاشانق » بعد أن تغلبت القوة الأخيرة على « تعانك » و « شونيم » بينما باشر « شاشانق » بنفسه العمليات من « مجدو »(٩٢) وربما يكون قد أرسل من « مجدو » قوة الى سهل « عكا » و « الجليل » وقد أقام « شاشانق » فى « مجدو » لوحة

تذكارية بلغ ارتفاعها فى الأصـــل ثلاثة أمتار وفى أحد أركانها العلوية يوجد خرطوش سليم باسمه(٩٣) .

وفى النهاية عاد « شاشانق » جنوبا عبر « الكرمــل » الى « عـــرونا »(٩٤) ، و « بوريــم » (خربـــة توريــم)(٩٥) ، و « جد بادلا »(٩٦) ، و « ياحيم »(٩٧) ، وأماكن أخرى ، بعد أن ترك « ســوكوث » وهــذا يدل على أن الجيش المصرى غزا اقليم « البلســت » عن طريق « ماريس » مدمرا فى طريقــه المواقــع والحصون على الطرق الرئيسية ، وعلى ذلك يمكن القول أن المصريين غزوا الجزء الشمالى والأوسط من مملكة اسرائيل .

وعند غزة انضمت قوات النقب الى « شاشانق » وعاد عن طريق « رفح » و « لبنا » الى مصر عن طريق ساحل البحر المتوسط عبر سيناء ليعلن نبأ انتصاره فى « تانيس »(٩٨) .

وكان لهذه الحملة نتائج موفقة لسمعة مصر من ناحية وللخزانة المصريــة من ناحية أخرى ، فيها استعادت مصر جانبــا من هيبتها القديمــة حيث عاد الأمراء الآسيويون الى احترام سادتهم الأقدمين ، ولم يعد فى الاستطاعة أن تتكرر بعد حمــلة « شاشانق » قصــة « ونأمون » سالفة الذكر فاستعادت مصر صلتهــا « بفينيقيا » وأمرائها واستحب بعض هؤلاء الأمراء أن يقيموا التماثيل والنصب باســـماء فراعنــة مصر فى معابدهم فأهدى « زرياربعل » معاصر « شاشانق الأول » لآلهة « جبيل » بعلة ، دمية لملك مصر كمــا أن « أرى بعل » خلف « زرياربعل » كرم « وسركون » الأول بنفس الطريقة(٩٩) . كما أن الأمراء الآسيويين فى حربهم ضــد الآشوريين بعد ذلك بحوالى قرنين من الزمان ووضعوا كل ثقتهم فى ملك مصر ، لمعاونتهم ضد الاشوريين(١٠٠) كما سيأتى ذكره .

بالاضافة الى ذلك فقد ردت هذه الحملة على بعض الادعاءات التى ترى أن « شاشانق » خرج لمساعدة « يربعام » وأن الأخير هو الذى دعاه لمساعدته ، فلو كان الأمر كذلك لما غزا « شاشانق » مملكة اسرائيل ولما فر « يربعام » الى شرق الأردن انما كان الأجدى به أن يقف الى جوار حليفه ، معنى ذلك ان « شاشانق » كان يريد تنفيذ المبدأ الأساسى فى سياسة مصر الخارجية . وهو السيطرة على فلسطين أو على الأقل ايجاد حليف قوى فى هذه المنطقة .

وكان من نتائج هذه الحملة أيضا انتعاش أحوال مصر الاقتصادية خاصة اذا علمنا أن أورشليم كانت من بين أغنى البلاد فى ذلك العهد وقد استولى « شاشانق » حسب رواية العهد القديم على كل ما يمكن أن يكون له قيمة ، ولابد أن يكون هذا الحدث صحيحا ، اذ أن مصر عاشت فترة طويلة على الغنيمة التى جلبها « شاشانق » من فلسطين ، هذا الى جانب جزية الأقاليم الواسعة التى أصبحت تمتد من شمال فلسطين الى أعالى النيل ، ومن الصحارى الغربية غربا الى البحر الأحمر شرقا(١٠١) ، ولكن اسراف خلفاء « شاشانق » أدى الى ضياع كل ما جاهد من أجله .

٣ ـ مصر وفلسطين بعد « شاشانق الأول »

سار خلفاء « شاشانق » على نهجه فاستمرت العلاقات الودية والتحالف التجارى مع ميناء « جبيل » فى عهد « وسركون » الأول الذى أهدى تمثاله لحاكمها اليبعل ومعبودتها ، أما فى فلسطين فتروى أسفار العهد القديم أن « زارح » الكوشى هاجم « مريشه » بجيش مكون من الف الف رجل وثلاثمائة مركبة ، غير أن « أسا » ملك « يهوذا » استطاع أن يهزم المعتدين فى وادى

« صفاته » عند « مريشة » وأن يدفع بهم الى « جرار » على مقربة من حدود « يهوذا » الجنوبية(١٠٢) .

ويؤرخ البعض هذه الموقعة بالعام الرابع عشر من حكم « أسا » أى حوالى ٨٩٧ ق.م وهذا التاريخ يقابل العام الثامن والعشرين من حكم « وسركون الأول »(١٠٣) ، غير انه ليس هناك مجال لمحاولة اثبات أن « وسركون الأول » هو « زارح » فالاسمان مختلفان تماما ، كما أن « وسركون » كان ملكا من أصل ليبى « مهجن » بينما لم يكن « زارح » ملكا وكان من أصل نوبى ، كما أن « وسركون الأول » فى هذا العام كان رجلا مسنا لا يستطيع أن يقود حملة الى فلسطين بنفسه وتفسير ذلك أنه ربما أرسل قائدا نوبيا لقيادة جيوشه فى فلسطين ، بغية أن يسير على منوال والده ويعود بالغنائم مثله ، فضلا عن القضاء على قوة « أسا » غير أن « زارح » فشل فى مهمته(١٠٤) الا أنه من الصعب أن نرى « وسركون » يجعل فى الفترة الأولى من حكم الأسرة أحد النوبيين يقود جيشه ضد فلسطين ، صحيح أن العهد القديم ذكر أن الليبيين كانوا يشكلون جزءا من الحملة مثل النوبيين(١٠٥) ، ولكن من المحتمل أن هذا الخطأ جاء من خلال التشابه مع ما جاء فى نص آخر من العهد القديم(١٠٦) .

ويمكن تفسير ذلك بأحد افتراضين ، الأول ان الكوشيين عند العبرانيين فسروا على أنهم الأثيوبيين ولكن ربما كان اسم الكوشيين يشير الى شعب يحمل اسم كوش ويعيش فى شبه الجزيرة العربية ، ويؤيد ذلك أن الغنائم التى حصل عليها « أسا » تضمنت حيوانات واغناما وجمالا والحصول على هذه الغنائم من قبيلة تعيش فى شبه الجزيرة العربية أكثر احتمالا من الحصول عليها من الجيش المصرى ، خاصة اذا علمنا ان الجمال لم

تستخدم فى مصر حتى ذلك الوقت(١٠٧) ، ولكن إفتراض كوشيين فى شبه الجزيرة العربية لم يزل فى حاجة الى دليل ، خاصة اذا علمنا أن الغزو النوبى لمصر لم يقع الا بعد ذلك بحوالى مائة وخمسين عاما •

من ناحية أخرى يمكن القول بأن التغيرات التى حدثت فى مصر خلال الألف الأول ق٠م خلقت لدى الكتاب العبرانيين فكرة غامضة عن أصل ملوك مصر فى ذلك الوقت ، فكتبوا « زارح » الأثيوبى بدلا من «زراح » الليبى(١٠٨) ، ولكن رغم ذلك تظل المشكلة قائمة حيث أنه لا يوجد ملك ليبى يحمل اسم « زارح » •

أما اذا كانت هذه الحملة صحيحة فمعنى ذلك أنه كان هناك صدام جديد مع مصر ، ولكن لا يوجد أى دليل على هذه الحملة من الجانب المصرى ، هذا الى جانب أن افتراض مساواة اسم « زارح » باسم « وسركون » بعيد الاحتمال وليس هناك ما يؤيده(١٠٩) كما أن عدد رجال الجيش المصرى الذى جاء ذكره فى نص العهد القديم ، انما يثير شبهة أكبر حول صحة النص وبالتالى حول صحة الحملة نفسها ، فليس هناك من يصدق أن مصر تستطيع أن تجند حملة من مليون جندى ضد « يهوذا » والتى لم يصل عدد سكانها فى ذلك الوقت الى هذا العدد ورغم ذلك تستطيع « يهوذا » أن تهزم هذا المليون ، وان كان هذا من مبالغات العهد القديم لبيان اهمية النصر على الجيش المصرى ، هذا اذا كانت الحملة صحيحة •

كما ان هذه الحملة أن كانت صحيحة ، انما توضح ضعف فراعنة مصر وفى نفس الوقت قوة مملكة « يهوذا » كل هذا فى فترة تزيد قليلا على خمسة وعشرين عاما من حملة « شاشانق » وهذا من الأمور غير المستساغة منطقيا فى تلك الفترة الأخيرة •

أما الافتراض الثاني والذى يميل اليه الباحث هو أن هـذه القصة بأكملها من اختلاق الكتبة العبرانيين لكى يوازنوا بين هزيمة « شاشانق » لهم وبين انتصـار « أسـا » على المصريين وفى نفس الوقت للاعلاء من شأن ربهم « يهوه » وان الرجوع اليه كان السبب الأول فى انتصارهم(١١٠) ٠

أما « وسركون » الثانى فقد حذا حذو «شاشانق » الأول و « وسركون » الأول فى استمرار سياسـة الود والتحـالف مع « جبيل » فأهـدى تمثاله للمدينـة حيث وضـع فى معبـد الاله « بعلة » وهذا التمثال يمثل الفرعون جالسـا على مقعد مكعب ذى ظهر وقد فقد رأس التمثال وجزءه ، وهشم القدمان والساقان وعلى جانبى المقعد نقش خرطوش بداخله اسم الفرعون(١١١) ٠

كما ترك « وسركون » الثانى آثارا كبيرة فى « بيوم » الواقعة على الطريق بين مصر وفلسطين والمعروف أن الملوك الذين تركوا أعمالهم فى هذه المدينـة كانت لهم أغراض فى جنوب غرب آسـيا ، كما عثر فى السامرة على آنية من الألبستر عليها اسم « وسركون الثانى »(١١٢) ومن الواضح أن « وسركون الثانى » كان يريد أن تستمر سياسـة مصر الخارجيـة على نفس المستوى الذى تركه « شاشانق الأول » ، ولكن أحوالها الداخلية بالاضافة الى أحوال غرب آسـيا حالت دون ذلك ، ففى مصر سـاد الانقسام والحروب الأهلية والمعروف أن سـوء أحوال مصر الداخليـة ينعكس بالسلب على علاقتها بفلسطين خاصـة أن خريطـة الشرق الأدنى السياسية فى ذلك الوقت أشـارت الى ظهور خطر جديد يهدد منطقة سـوريا كلها ونعنى به قوة الآشوريين حيث بدأ عصر التوسـع الآشـورى العظيم بولايـة « شلمانصر الثالث » عرش آشـور(١١٣) وقـد استفاد « شلمانصر الثالث » (٨٥٩ ــ ٨٢٤ ق٠م) من جهود أبيه

« آشور ناصر بال » الثاني (٨٨٤ ــ ٨٥٩ ق٠م) فبدأت الجيوش الآشورية تخضع الممالك الصغيرة فى سوريا والشرق واستطاع « شلمانصر الثالث » أن يسود غرب آسيا من الخليج العربى حتى جبال أرمنيا ومن الحدود الميدية حتى سواحل البحر المتوسط ، وكان لجيوشه قصة طويلة مع سوريا شجعه التنافس الذى كان موجودا بين دويلاتها على غزوها فهاجم « دمشق » أكبر الامارات الأرامية(١١٤) ، الا أنها لم تكن صيدا سهلا حيث تناست دويلات سورية وفلسطين (دمشق ــ حلب ــ حماه ــ اسرائيل ــ يهوذا ــ وغيرها) خلافاتها القديمة واتحدت جميعا تحت قيادة أمير « دمشق » « بنهدد » للوقوف فى وجه التقدم الآشورى وقد أدركت مصر أن ظهور قوة آشور خطر يهددها ، ومن ثم فقد أرسلت عددا من المقاتلين (ألف جندى) كمدد رمزى لهذا الاتحاد ، وقد أثار هذا العمل من جانب مصر ، انتباه آشور الى الدور الذى يمكن أن تقوم به ، فتحفزت للاصطدام بها ، وظلت مصر تعمل على أن تكون هذه الدويلات بمثابة حاجز يحول دون توغل الاشوريين داخل حدودها ، ومن ثم فقد حرصت على أن تشارك فى مقاومة الاشوريين بقواتها أحيانا ، وبالطرق الدبلوماسية أحيانا أخرى(١١٥) ٠

كان لقاء الاشوريين والتحالف السورى الفلسطينى فى « قرقر » عام ٨٥٣ ق٠م أى العام السادس من حكم « شلمانصر الثالث » الذى أكد فى نصوصه انتصاره على خصومه فى هذه الموقعة ولكن على الجانب الآخر أكد الأراميون فيما سجلوه عن هذه الموقعة أنهم أحرزوا فيها نصرا كبيرا ، وازاء تضارب المصدرين لا نملك الا أن نفترض ان موقعة « قرقر » لم تكن حاسمة لاسيما أن الكتبة الاشوريين قد أعادوا ذكر انتصار ملكهم على الأراميين مما يعنى تكرار حروب الأراميين معه(١١٦) ٠

بعد هذه الموقعة علم « شلمانصر الثالث » بوجود قلاقل في الشمال والشرق فكر راجعا الى آشور وما أن ترك سوريا حتى انفرط عقد التحالف الذى أقامته دويلات بلاد الشام فعادت المنافسات بين هذه الامارات مرة أخرى ولكن ما أن تمكن « شلمانصر الثالث » من القضاء على خصومه فى الشمال والشرق حتى عاد الى سوريا مرة أخرى فسحق امارة « دمشق » وهزم ملكها « حزرائيل » فى « سافيرو » وكان ذلك حوالى ٨٤١ ق٠م وعلى أثر ذلك قدم « ياهو » ملك اسرائيل وملكا « صور » و « صيدا » الى « شلمانصر » لدفع الجزية وهناك من المؤرخين من يعتقد أن مصر دفعت الجزية هى الأخرى معتمدين على نص جاء على المسلة السوداء « **تسلمت الجزية من أرض موصرى وهى عبارة عن جمال من ذوات السنامين وفرس نهر وخرتيت ووعل وافيال وقردة** »(١١٧) ويبدو أنه لم يكن المقصود « بموضرى » التى جاءت فى النص « مصر وادى النيل » حيث جاء ضمن الجزية المدفوعة جمال من ذوات السنامين ، والمعروف أن الجمال لم تستخدم فى مصر حتى ذلك الوقت (انظر أعلاه ص ١٣٦) فمن المحتمل أن المقصود هنا احدى منطقتين ، الأولى فى جنوب آسيا الصغرى « الأناضول » والثانية فى الشمال الغربى من بلاد العرب ، فاذا استبعدنا المنطقة الأولى حيث جاء ذكر ملك موصرى بعد ملوك اسرائيل وصور وصيد أى أنه كان متجه جنوبا ، لم يبق أمامنا الا المنطقة الثانية والتى تضم جبل سعير ومدينة البتراء وأرض مدين وأدوم وهو ما أسماه الجغرافيون البابليون مصر أو مصرى أو « موصرى »(١١٨) ٠

هوامش الفصل الثالث

(١) ويلسون : الحضارة المصرية ، ص ٤٥٧ .
جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٣٤٧ .
احمد رمزى : مصر الفرعونية ، ص ٣٢٩ .
Kitchen, Third Intermedaite.

(٢) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٢٦٤ .
(٣) انظر الفصل الأول ، ص ٣٠ .
(٤) Cerny, C.A.H3., 2B, 1980, PP. 616 — 619.
(٥) جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٤٩٧ .
(٦) Gardiner, A.E.O., 1, 120.*.
Cerny, Op. Cit., PP. 618 — 619.
(٧) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٢٨٢ .
(٨) عن التحنو والشمحو انظر :
Bates, O., The Eastern Libyans, London, 1914.

(٩) عن شعوب البحر انظر الفصل الأول ، ص ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ .
(١٠) Kitchen, Op. Cit., P. 141.
Gardiner, A.E.O., 1, 120*.
(١١) فانديية : مصر ، ص ٥٧٤ .
B.A.R., IV § 785.
(١٢) Cerny, C.A.H3., 2B, 1980. P. 619.
Kitchen, Third Intermediate, PP. 105 — 108.

عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٢٨٠ — ٢٨١ .

من لوحة السرابيوم انظر :

Mariette, A., Le Serapeum de Memphis, III, Paris 1857, B.A.R., IV, §§ 785 — 792.

(١٣) يويوت : مصر الفرعونية ، ص ١٢١ .

(١٤) قاندية : مصر ، ص ٥٧٥ .

جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٣٥٨ .

(١٥) جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٣٥٨ .

(١٦) نفس المرجع .

(١٧) B.A.R., IV § 738.

(١٨) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٢٨١ .

(١٩) Kitchen, Third Intermediate, P. 288.

(٢٠) سليم حسن : مصر القديمة ، جـ ٩ ، ص ١٠٨ .

Kitchen, Op. Cit., P. 289.

Ibdi., P. 288.

(٢١)

(٢٢) Kitchen, Op. Cit., P. 289.

(٢٣) انظر الفصل الثانى ، ص ٧٧ ، ٧٨ .

(٢٤) Kitchen, Op. Cit., P. 289.

(٢٥) Kitchen, Op. Cit., P. 290.

(٢٦) Ibid., PP. 205 — 206, 316, 329, 352.

(٢٧) قاندية : مصر ، ص ٥٨٥ ـ ٥٨٦ ، يويوت : مصر الفرعونية ، ص ١٦٤ .

(٢٨) Kitchen. Op. Cit., P. 303.

(٢٩) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٢٨٥ .

Kitchen, Op. Cit., P. 321.

(٣٠) سليم حسن : مصر القديمة ، جـ ٩ ، ص ٣٣٨ ـ ٣٤٥ .

قاندية : مصر ، ص ٥٨٠ .

جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٣٦٤ .

Kitchen, Op. Cit., PP. 329 — 333.

(٣١) Kees, H., Ancient Egypt, Acultural Topogrophy, Translated by Morrow, F.D., 1061, PP. 283 — 284.

(٣٢) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٢٨٥ ، شارف : تاريخ مصر ، ص ١٦٣ .

وعن ماخيموى انظ :

Kitchen. K.A. «On The Princdoms of late Libyan Egypt» Chronique d'Egypte, 52, 1977, PP. 40 — 48.

Trigger, B.C. et al, Ancient Egypt, Asocial History, Cambridge, 1984, PP. 309 — 310.

(٣٣) فانديه : مصر ، ص ٥٧٦ .

(٣٤) سليم حسن : مصر القديمة ، ج ٩ ، ص ٢٣٣ — ٢٤٦ ، ٣٢٨ — ٣٢٩ .

Kitchen, Third Intermediate, P. 319.

(٣٥) الملوك الأول ١١ : ١ — ١١ .

(٣٦) الخروج ٢٠ — ٥ .

(٣٧) الملوك الأول ١١ : ١١ — ١٣ .

(٣٨) أخبار الأيام الأول ٢٢ : ٦ — ١٠ .

(٣٩) الملوك الأول ٥ : ١٣ — ١٧ ، ١٢ — ٤ .

(٤٠) Kenyon, K.M., Archaeology in The Holy Land, P. 258.

Lods, Israel from Its Beginning,, P. 371.

(٤١) Noth ,Op. Cit., P. 223.

(٤٢) الملوك الأول ١١ : ٣٩ — ٣٠ .

(٤٣) ول ديورانت : قصة الحضارة ، ج ٢ ، المجلد الأول ترجمة محمد بدران ، القاهرة ١٩٦١ ، ص ٣٤٩ .

(٤٤) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم ، ج ٣ ، ص ٣٧٧ — ٣٧٨ .

(٤٥) Kenyon, Op. Cit., P .260.

(٤٦) سيغموند فرويد : موسى والتوحيد ، ترجمة جورج طرابيشي ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ٦١ .

(٤٧) موسكاتى : الحضارات السامية القديمة ، ص ١٤١ .

(٤٨) عباس العقاد : الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٥٩ — ٦٠ .

العدد ٣٦ : ٧ — ١٠ .

(٤٩) موسكاتى : المرجع السابق ، ص ١٤١ .

(٥٠) تقع شكيم على مبعدة حوالى تسعة كيلو مترات الى الشمال الغربى

Bible Dictionary, P. 935.

(٥١) Noth, The History of Israel, PP. 226 — 227.

(٥٢) الملوك الأول ١٢ : ١٤ — ١٥ .

(٥٣) Kitchen, Third Intermediate., PP. 292 — 293.

(٥٤) الملوك الأول ١٤ : ٢٥ — ٢٧ .

(٥٥) أخبار الأيام الثانى ١٢ : ٢ — ٤ .

على أن الرقم ٦٠٠٠٠ ربما كان خطأ وقع فيه كاتب السفر والمقصود هو ستة آلاف فارس .

Kitchen, Op. Cti., P. 295 — n. 289.

(٥٦) Ibid., PP. 293, 493.

وعن مناقشة تاريخ الحملة انظر :

Bright, Op. Cit., P. 213.

Oesterley, W.O.E., «Egypt and Israel», in Glanville, The Legacy of Egypt, Oxford, 1947, P. 226.

Andre, P.R., Chronologie égyptienne les Hebreux, 1962, P. 88

Albright, B.A.S.O.R., 130, 1953, PP. 7 — 8.

(٥٧) Kitchen, Op. Cit., P. 293.

(٥٨) Lods, Op Cit., P. 374.

Hall, Op. Cit., PP. 436 — 637.

Bright ,Op. Cit., P. 213.

(٥٩) Aharoni, Y., The Land of the Bible, London, 1970, P. 290.

(٦٠) Mazar, B., «The Campaign of Pharaoh Shishak to Palestine», V.T., 4, 1947, P. 57.

شارف : تاريخ مصر ، ص ١٦٣ — ١٦٤ .

(٦١) فاندييه ، مصر ، ص ٥٧٦ . Peet, Op. Cit., P. 158.

(٦٢) Kitchen, Op. Cit., P. 294; B.A.R. IV § 124.

(٦٣) Gardiner, H.A., The Ancient Military Road between Egypt and Palestine», J.E.A., 6, 1920, P .99.

Kitchen, Op. Cit., PP. 293 — 494.

(٦٤) عن قائمة شاشانق انظر :

Simons, J.J., Handbook for the Study of Egyptian Topographical Lists Relating to Western Asia, Brilli, 1937.

(٦٥) عن الأقواس التسعة انظر :

Pphill, E., «The Nine Bows», J.E.O.L., 19, 1965, PP. 393 — 420.

(٦٦) Mazar, V.T., 4, P. 59.

(٦٧) Ibid, P. 60.

(٦٨) Ibid.

(٦٩) « يرزا » رقم (١٣٣) جنوب « غزة » (انظر الخريطة) وقد جاءت في حوليات « تحتمس الثالث » السطر العاشر :

Urk, IV, P. 650; Wilson, A.N.E.T., P. 235.

أما رقم (١٢٥) فهي « شاروجين » s-r-h-? فالثلاث خطوط الأفقية قبل المخصص غامضة وربما جاءت هذه الخطوط بدلا من s-r-h-? فتكون القراءة الصحيحة في هذه الحالة s-r-h-n والتي يمكن أن تكون هي نفس s-r-h-m تل الفرعا جنوب غرب فلسطين .

Simons., Ou. Cit., P. 186.

p3-h-(q)-r-i3 f-t-i-s-i3

Aharoni, The land of the Bible, P. 288, Smions, Op. Cit., P. 183.

Kitchen, Third Intermediate., P. 439.

(٧١) حصن ملجـاد ٩٦ ـ ٩٧ . p-h-q-r-c1-g-d وربما غرب النقب .
Mazar, Op. Cit., P. 65 Kitchen. Op. Cit., P. 440.

(٧٢) تفوح ٨٢ ... وهى بيت تفوح بالقرب من « حبرون »
و « الخليل » .
أخبار الأيام الأول ٢ : ٤٣ .
Aharoni, Op. Cit., P. 289
b-t-c-(n?)-t
Simons, Op. Cit., P. 186.

(٧٤) اشنا « شينيا » ٨٧ ـ ٨٨ . Hagr-Snv يمكن مقارنتها بالكانين
المسميين « اشـنة » .
يشـوع : ١٥ : ٣٣ ، ٤٣
Kitchen, Op. Cit., P. 440.

(٧٥) حصون عرديا الكبرى ١٠٧ ـ ١٠٨ ـ ١٠٩ hgrm crdi3 rbt
وربما كانت تل عرد حاليا
Mazar, Op. Cit., PP. 64 — 65, Aharoni ,Op. Cit , P. 289.
Ktichen, Op. Cit., PP. 296, 440.

(٧٦) عرد بيت يرحام ١١٠ ـ ١١٢ crdi3 n bt yrhm على مقربة
من تل الملح .
Aharoni, Op Cit., P. 289; Kitchen, Op. Cit., P. 440.

(٧٧) الشوحاتيين شرق النقب وهى تقابل قبيلة الشوحاتيين فى أخبـار
الاول ٤ : ١١ . Ngb — 3 sht
Mazar, Op. Cit., P. 64, Aharoni, Op. Cit., P. 289.

(٧٨) Dmi3 ربما كانت هى نفس « عاصم » الواردة فى يشوع ١٥ : ٢٩
و ١٦ ـ ٣ ؛ وأم العزم حاليا حوالى ١٠ كم جنوب أروير Aroer .
Kitchen, Third Intermediate., P. 439.

(٧٩) يرحام ١٣٩ . Yrhm وتقـابل يرحميئل فى أخبـار الأيـام الأول
٢ : ٩ وقورنت أحيانا ب بررحما فى النقب
Kitchen, Third Intermediate., P. 441.

(٨٠) توجد بقايا عصيون جابر فى تل الخليفة غربى مينـاء العقبة وقد
نشر « جلويك » نتائج الحفائر الهامة التى أجراها فى تل الخليفـة التى كشفت

من بقايا مصانع النحاس والحديد ترجع الى القرن العاشر وعصر سليمان وقد احسن اختيار مكان انشاء هذه المصانع فقد أقيمت فى موضع تبلغ فيه الريح الاتية من الشمال خلال وادى عربه غاية قوتها وذلك لكى تؤجج النار اللازمة للتنقية ، وكان يؤتى بالنحاس والحديد من مناجم فى اطراف وادى عربه وينقيان فى عصيون جابر وتصنع منها الأدوات المعدنية المختلفة التى وجد الكثير منها فى تل الخليفة ، وتعد مصانع عصيون جابر أعظم ما كشف من أمثالها بين آثار العالم القديم حتى الآن ، كما أرجع جلويك تدمير عصيون جابر الى حملة شاشانق الاول على فلسطين .

Glueck, N., The Other Side of the Jordan, New Havn, 1940, P. 105.
Mazar, Op. Cit., P. 65, Aharoni, Land of the Bible, P. 288.

اولبرايت : آثار فلسطين ، ص ١٢٨ — ١٢٩ .

موسكاتى : الحضارات السامية القديمة ، ص ٢٨٠ .

(٨١) Kitchen ,Op. Cit., PP. 296; 439.

(٨٢) انظر ما جاء فى أخبار الأيام الأول الأصحاح الثانى والرابع بخصوص هذه المدن .

(٨٣) Mazar., Op. Cit., P. 65.

(٨٤) Mazar, V.T., 4, P. 65; Aharoni, Land of the Bible P. 289.

(٨٥) أظهرت النسخة الحديثة من القائمة وجود نهاية ذيلين لطارين مختلفين ربما يكونان حرفى « م » و « أ » وبهما نستبعد ما ذهب اليه كل من مازار واهرونى من أن رقم (١٢) هى « جازر » (G) 3 (d) 3 (r) ويمكن ارجاعهما الى M - (K) 3 (d) Makked (ah) والتى تقع جنوب ربوت رقم (١٣) مباشرة

Kitchen, Op. it., P. 435.

(٨٦) أخبار الأيام الثانى ١٢ : ٥ — ٧ .

(٨٧) Kitchen ,Op. Cit., P. 298.

(٨٨) رقم (٥٧) فى القائمة يمكن أن تقرأ dmrm فالعلامة الثانية هى حرف « م » وليست حرف (أ) ويتضح ذلك من شكل

قدم الطـائر حيث أن « م » يكون شـكل القدم « لا » بينمـا حرف (أ) يكون شـكل (p) وعرفت على انها صمارايم فى اقليم بنياميين ولم تكن بعيدة عن « بيت ايل » ولذلك كانت تقع فى طريق المصريين عندما ساروا شـمالا من اقليم أورشليم الى مملكة اسرائيل يشوع ١٨ : ٢٢ .

Simons, Op. Cit., P. 182; Kitchen, Op.Cit., P. 438.

(٨٩) Kitchen, Op. it., P. 438.

(٩٠) (P) nw — 3r
Kitchen, Op Cit., P. 438.

(٩١) Ibid.

(٩٢) Ibid.

(٩٣) Olmstead, A.T., History of Palestine and Syria, London, N.Y. 1931 P. 355.

(٩٤) ذكرت عرونا فى حوليـات تحتمس الثـالث سـطر ٣٢ وهى الان خربة « هـارا »
Trk, IV, PP. 650 — 656, Wilson, A.N.E.T., P. 235.

(٩٥) Aharoni, Op. it., P. 285.

(٩٦) تقع شمال شارون وهى الأن « جت »
Kitchen, Op Cit., P. 436.

(٩٧) من الأسماء التى ذكرها تحتمس الثالث ومن المحتمل أن تكون خربت يامة « تل يامه »
Aharoni, Op. it., P. 141 , Kitchen, Op. Cit., P. 436.

(٩٨) Kitchen ,Op. Cit., P. 299.

(٩٩) فانديـيـه : مصر ، ص ٥٧٧ ــ ٥٧٨ ، شـارف : تاريخ مصر ، ص ١٦٣ ــ ١٦٤ .
عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٢٨٦ .

(١٠٠) فانديبه : مصر ، ص ٥٧٨ .

(١٠١) سليم حسن : مصر القديمة ، ج ٩ ، ص ١٣٢ ــ ١٣٣ .
برستد : تاريخ مصر ، ص ٣٥٩ .

(١٠٢) أخبار الأيام الثانى ١٤ : ٩ ــ ١٥ .

(١٠٣) Peet, Op. it., PP. 163 — 164 ; Kitchen Op. Cit.. P .309.

(١٠٤) Kitchen ,Op. Cit., P. 309

(١٠٥) اخبار الايام الثانى ١٦ : ٨ .

(١٠٦) اخبار الايام الثانى ١٢ : ٣ .

(١٠٧) انظر فيما بعد ، ص ١٣٩ . Peet, Op Cit., P. 165.

(١٠٨) Ibid.

(١٠٩) حيث أن حرف « ل » لا يساوى حرف « س » المصرى كما أن « ح » العبرى لا يساوى حرف « ك » المصرك ، ويعتبر حرف « ن » هو الوحيد المشترك بين الاسمين .

Peet, Op. Cit., P. 166 ; Kitchen, Op. it., P. 309.

(١١٠) Peet, Op. Cit., P. 165.

(١١١) سليم حسن : مصر القديمة ، جـ ٩ ، ص ٢٣٠ .

Kitchen, Third Intermediate, PP. 323 — 324

(١١٢) Kitchen, Op. Cit., PP. 323 — 324.

Aharoni, Land of the Bible P. 305.

(١١٣) Kitchen, Op. Cit., P. 324.

(١١٤) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٥١٧ .

جورج رو : العراق القديم ، ترجمة حسين علوان بغداد ١٩٨٦ ، ص ٣٩٥ .

(١١٥) Kitchen, Op. Cit., P. 325.

(١١٦) Luckenbill, D.D. A.R.A.B., 1, 1926, PP. 202 — 203.

عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٥١٧ — ٥١٩ .

(١١٧) Aharoni, Op. Cit., P. 305

Luckenbill, Op. Cit., P. 211.

Wilson, A.N.E.T., P. 281.

Kitchen, Op. it., P. 327.

(١١٨) عبد العزيز صالح : مصر القديمة وآثارها ، جـ ١ ، القاهرة ١٩٨٠ ، ص ٥ — ٨ .

الفصـــل الرابـــع

مصر وفلسطين فى ظل السيادة الآشورية

من بداية القرن الثامن حتى الربع الأول من القرن الســابع ق٠م

أولا ـ مصـــــر

١ ـ الأحــوال الداخليــة ٠

٢ ـ الغزو الكوشى وقيام الأسرة الخامسة والعشرين ٠

ثانيــا ـ فلســطين

١ ـ الأحوال الداخليــة ٠

(أ) الســيادة الآشــورية على الشــام : تيجلات بيليسر الثــالث ٠

(ب) تيجلات بيليسر الثالث وبلاد الشام ٠

(جـ) بلاد الشام فى عهد سرجون الثانى ـ الموقف المصرى ٠

(د) المــلك (؟) ســوا ٠

(هـ)سناحريب وفلسطين ـ الموقف المصرى ٠

أولا ـ مصـــر

اتسمت العلاقـات بين مصر وآشـور فى النصف الثانى من القرن الثامن ق٠م بالتنافس السـياسى والصراع المسلح ، وكان محور الصراع يدور حول السيطرة على بلاد الشـام ، والحصـول على المواد الأولية من فينيقيـا ، وهنا لابد من القاء الضـوء على الأحوال الداخليـة فى مصر وبلاد الشـام وآشـور خـلال تلك الفترة لمعرفـة أثر هـذه الأحوال على السياسـات الخارجيـة لهذه الدول ٠

١ ـ الأحـوال الداخليـة

تميزت خريطة مصر السياسية فى القرن الثامن ق٠م بالتفتت الواضح والانقسام الشـديد بين الشمال والجنوب وداخل هاتين الوحدتين الجغرافيتين فقد أخذ الغموض والابهـام يحيطان بتاريخ الأسرة الثانيـة والعشرين منـذ أيـام « وسركـون » الثـانى (٨٧٤ ـ ٨٥٠ ق٠م) حتى أصبح من الصعب التعرف على ترتيب الملوك الذين كانوا يحملون اسم « شاشانق » أو « وسركون » أو « تكلوت » فمن ذكروا على الآثار ٠ هذه الصـورة من الانقسام والتفتت لم تحـدث بين يوم وليـلة انما كانت لها من المقدمـات والأسباب ما أدى الى تكوينهـا وظهورها أولا : سياسـة ملوك « تانيس » تجـاه « طيبة » والتى أنتجت الانقسام بين الشمال

والجنوب وذلك بتغير القاعدة التى كانت تسير عليها الأسرة المـالكة وهى انتقال وظيفة الكاهن الأكبر لآمون من الأب ، الى الابن فأصبحت العادة السـائدة أن ينتخب الكهنـة العظـام لآمون من بين أولاد الفرعون الحـاكم ٠

كان « وسركون » الأول (٩٢٤ ــ ٨٨٩ ق٠م) أول من تنبه الى خطورة تولى أبنـاء الأسرة الواحدة فى وظيفـة الكاهن الأكبر لآمون ومن هنا أقدم على تعيين ابنه الأصغر « ويلوت » فى هـذا المنصب ، الا أن « وسركون » الثانى تغاضى عن هـذا المبدأ فى أول الأمر معتقدا أن هذا المنصب (الكاهن الأكبر لآمون) يمكن أن يشغله أحد الأفراد ممن هم على صلة قرابة بالملك ولم يكونوا بالضرورة من أبنائه من هنا اقدم على تعيين « حار ــ سى ــ ايسة » كاهنـا أكبر لآمون فى « طيبـة » وكانت هذه بذرة الأزمات التى ستنجم بعد ذلك حيث أن « حار ــ سى ــ ايسة » لم يكن من سـلالة الأسرة الثانية والعشرين فحسب انما كان يرتبط كذلك بالأسرة الحادية والعشرين عن طريق أبيـه وجده(١) ، (انظر الجـدول شـكل رقم ١) ومن ثم كان هـذا الرجـل شـديد الرغبـة فى أن تكون « طيبة » مركز القوة وذلك للتأثير غير المباشر على ملوك الأسرة الثانية والعشرين فى « تانيس » واحياء قوة منصب كبير كهنـة « آمون » الذى كان على أيام أجداده مما قد يؤهلة بعد ذلك لحمل اللقب الملكى(٢) ٠

وقد خرج « وسركون » الثانى من تجربته مع « حار ــ سى ــ ايسة » بدرس مفيد مؤداه ، ضرورة الربط ليس فقط بين الملكيـة والكهانة ولكن باقى المراكز الدينيـة والعسـكرية التى يمكن أن يكون لها اثر من قريب أو بعيد على وحدة البلاد وسلطة التاج ، أى انه أدرك أن « وسركون » الأول كان على حق عندما أقدم على

احتكار هذه المناصب لأفراد أسرته ولكن هذه الافاقة كانت بعد أن أصبح وجود « حار ــ سى ــ ايسة » فى منصب كبير كهنة « آمون » أمرا مسلما به ، ولايمكن للملك ازاحتــه عن هذا المنصب خاصة وأنه يعرف وقوف الطيبيين وكهنــة « آمون » الى جواره ، وبدلا من التفكير فى ازاحة هــذا الحبر الأعظم ، فكر « وسركون » فى وقف امتداد نفوذه ، فعين ابنه « نملوث » الثالث فى منصب كبير كهنــة « حرى شف » فى « هيراقليوبولس » (اهناسية المدينة) ورئيســا عظيما فى « بر ــ سخم ــ خبر ــ رع » وقائد الجيش(٣) ، فما أن مات « حار ــ سى ــ ايسة » حتى أصبح « نملوث » الثالث كبير لكهنة آمون فى طيبة .

ولم يكتف « وسركون » الثانى بذلك بل حاول تدعيم مركز أسرته فى « منف » فعين ابنه « شاشانق » الرابع فى منصب كبير كهنــة « بتــاح »(٤) وبتعيين « نملوث » الثــالث كاهنــا أكبر لآمون ، تكون حزب مناهض لسلطة ملوك « تانيس » فى « طيبــة » حيث ان هذا المنصب كان من حق « حار ــ سى ــ ايسة » الثانى ابن « حا رــ سى ــ ايسة » الأول وبتولى « تيكلوت » الثــانى العرش (٨٥٠ ــ ٨٢٥ ق٠م) تكون حزب آخر مناهض لســلطة مــلوك « تانيس » حيث أن « بتــاح ــ واح ــ عنــخ ــ اف » و « تيكلوت » ولدى « نملوث » الثالث كانوا أحق بمنصب كبير كهنة آمون من الأمير « وسركون » الذى عينــه والده « تيكلوت » الثانى فى هذا المنصب(٥) .

معنى ذلك أنه أصبح هنا تياران متعارضــان الأول اتجــاه الفرعون الجالس على العرش بتسليم المراكز والمناصب العليــا فى الدولة لرجال ينحدرون من ســلالته مباشرة ، أما الاتجــاه الثانى فهو موقف الأحزاب التى سيسلب حقهــا فى وراثة هذه المناصــب

خاصة (كبير كهنة آمون) نتيجة لتغير الفرعون الحاكم ، وكان لابد من الصدام بين هذين التيارين فكانت الحرب الأهلية ، فرغم قضاء الأمير « وسركون » على حزب (أولاد نملوت الثالث) وذلك بتعيين « بتاح ـ واح ـ عنخ ـ أف » حاكما على اهناسيا والذى كان منتظرا أن يكون أشد المطالبين بمنصب « كبير كهنة آمون » ، فقد كان وضع « حار ـ سى ـ ايسة » الثانى هو المحرك الأول فى الحرب الأهلية التى اجتاحت مصر فى العام الخامس عشر من حكم « تيكلوث » الثانى واستمرت حوالى عشر سنوات ، ويؤيد ذلك ان « حار ـ سى ـ ايسة » الثانى أصبح كبير كهنة آمون فى العام السادس من حكم الملك « شاشانق » الثالث (٨٢٥ ـ ٧٧٣ ق٠م) واستمر حتى العام السادس والعشرين حيث عاد الأمير « وسركون » مرة أخرى الى منصبه القديم ، مما يدل على أن « حار ـ سى ـ ايسة » الثانى انتزع هذا المنصب من الأمير « وسركون » خلال الحرب الأهلية الا أن الأخير تمكن من استعادة هذا المركز بعد عشرين عاما واستمر حتى العام التاسع والثلاثين من حكم « شاشانق » الثالث وبذلك أصبحت « طيبة » ومصر العليا موطنا للصراع بين الأحزاب المتنافسة على منصب كبير كهنة « آمون » مما يدل على أنها أصبحت بعيدة عن سيطرة الفرعون القائم فى « تانيس »(٦) ٠

واذا كانت هذه الأحوال تدل على الاشتراك الاسمى مع ملوك الأسرة الثانية والعشرين فى حكم مصر ، الا أنها مهدت لوجود اشتراك فعلى فى الحكم حيث نشأ فرع من الأسرة المالكة فى « طيبة » واخذ يتحالف مع بقايا الملوك « الكهنة السابقين » ، ولم يلبثوا ان أظهروا ميولا انفصالية عن الشمال وانتهى الأمر باعلان « بدو ـ باست » نفسه ملكا فى « لينتوبولس » ، (تل المقدام بالقرب من ميت غمر) وبه تبدأ الأسرة الثالثة والعشرون حوالى

عـام ٨١٨ ق٠م(٧) وقد أخذ « بدو ـ باست » يمارس سلطانه كفرعون مستقل ، فبدأ يحسب مدة حكمـه بسنوات عهده هو ، كما عين فى العـام الرابـع عشر أو الخـامس عشر من حكمـه « ايوبوت » الأول كشريك له فى الحكم ، كل ذلك دون أن يشير الى « شاشـانق » الثـالث ملك « تانيس » وهـكذا كانت الأسرتان متعاصرتين(٨) ، وأديرت شـئون مصر من عاصمتين « تانيس » فى الشـمال مقر الأسرة الثانيـة والعشرين و « لينتوبولس » مقر الأسرة الثالثة والعشرين ، وقد أتبع « بدو ـ باست » سياسـة العطاء مقابل الولاء ومن هنا لم يخلف « حم بتاح » والده « بتاح ـ واح ـ عنخ ـ أف » ابن « نملوت » الثالث فى حكم « هناسـيا » وانمـا ظهر اثنـان من أنصـار « بدو ـ باست » فى اهناسـيا و « بى سخم خبر رع » شـمال البهنسا ، أما فى « منف » فقد ظل كبير كهنـة « بتاح » على ولائه لملوك الأسرة الثانيـة والعشرين ثم تمكن « وسركون » الثالث (أسرة ٢٣) ، (٧٧٧ ـ ٧٤٩ ق٠م) من تعيين ولده « تيكلوت » كاهنـا أعظم للاله « حرى شف » وحاكما للجنوب وقائد للجيش ورئيسا فى « بى سخم خبر رع » ثم كاهنا أكبر للاله آمون فى « طيبـة » كمـا عين ولده « نملوت » الرابع فى « الأشمونيين » (هيرموبولس) ، وهكذا ورثت الأسرة الثالثة والعشرين الأسرة الثانيـة والعشرين فى المراكز الرئيسـيه فى مصر الوسطي والعليا واكتسبت الولاء المحلى الشكلى تقريبـا فى جنوب « منف » والدلتا(٩) ٠

ومنذ تقسيم البلاد الى مملكتين هما الأسرة الثانيه والعشرون تحكم فى الشمال والأسرة الثالثة والعشرون تحكم فى الجنوب أخذ ملوكهـا يتهاونون شيئا فشيئا فى ترك البـلاد فى أيدى رؤسـاء محليين من الذين لا يعيشون الا على الدس والتآمر وانتهي الأمر بان

استقل معظم هؤلاء الأمراء بالمدن الرئيسية فى مصر الوسطى والعليا (هيراقليوبولس ـ هيرموبولس ـ طيبة) وأصبحوا يشيرون الى أنفسهم وكأنهم ملوك مستقلون وانتحل بعضهم الألقاب الفرعونية ، وكتب اسمه داخل خرطوش . أما فى الشمال (الدلتا) فكما يتضح من لوحة النصر الكوشية (لوحة باك)(١٠) ، فان مصر بلغت ذروة التفتت السياسى ابان تلك الفترة (حوالى ٧٣٠ ق.م) ففى « منف » ظل حكامها ورؤساء « الماشواش » وكهنة « بتاح » العظام يتوارثون حكمها ، أما شرق ووسط الدلتا فقد أشارت نفس اللوحة الى وجود ملكين « وسركون الرابع » فى « تانيس » و « ايوبوت الثانى » فى «تل المقدام » وهو آخر ملوك الأسرة الثالثة والعشرين ، ومن المحتمل أنه ظهرت لأول مرة امارة لرؤساء ال « ما » جنوب شرق الدلتا فى « بر ـ جرو » (دار الضفدعة) والتى من المحتمل أن يكون موقعها عند الأطراف الشمالية لخليج السويس وكان يحكمها أمير يدعى « نخت حر ناشنوت » . كما ظهرت امارة أخرى لل « ما » فى « بر ـ سبد » (صفط الحنة) والتى استقل بحكمها « باشف »(١١) .

أما فى شمال ووسط الدلتا فقد ظلت « منديس » (تل الربعة وتل تمى الأمديد)(١٢) امارة « للما » حيث أخذ حكامها يتوارثونها ابنا عن اب منذ أيام « شاشانق » الثالث ، كما ظهرت امارة مستقلة عن الأسرتين فى « ثب ـ نثر » (سمنود حاليا) وامتدت لتشمل « بر ـ حبيت » (بهبيت الحجارة) و « سما ـ بحدت » (تل البلامون مركز شربين) وكان يحكمها الأمير المحلى آكانشا(١٣) ، وأخيرا تكونت فى وسط الدلتا امارة لرؤساء ال « ما » حكمها « شاشانق » فى « بر ـ أوزير » (أبو صيربنا)(١٤) .

أما غرب الدلتـا فقد كان « تف نخت » حـاكم « سايس » يحمل لقب الرئيس العظيم للغرب ومدير ادارات مصر السفلى وملك الأقاليم الغربيـة الى جانب الألقـاب الدينيـة ، « ككاهن نيت » و « واجت » و « سيد العامو » وغيرها من الألقـاب التى تعكس حكمـه فى « سـايس » حتى « بوتو » شـمالا وكوم الحصـن فى الجنوب الغربى وهكذا سيطر « تف ـ نخت » على النصف الغربى من الدلتا وأسس الأسرة الرابعة والعشرين(١٥) ٠

وهكذا يتضح تفتت خريطـة مصر السياسـية بين الشـمال والجنوب وداخل هذين الاقليمين الجغرافيين فى القرن الثامن ق٠م خاصة فى النصف الثاني منه مما مهد للغزو الكوشي على يد الملك « بـاى » ٠

٢ ـ الغزو الكوشي وقيـام الأسرة الخامسة والعشرين

فى الوقت الذى كانت فيه مصر تمر بمراحل التفتت والانقسـام سالفة الذكر كانت « النوبة » تشهد نموا سريعـا لبعض العنـاصر « الكوشية » التى تشبعت بأصـول الحضارة المصرية القديمـة ، ويرجع ذلك الى ضعف نفوذ مصر السـياسي فى النوبة ، كمـا انها كانت بعيدة عن اهتمـام الفراعنـة بعد « شاشـانق » الأول ، ربما لضعفهم أو لانشغالهم بالخلافات السياسية الداخليـة كل هذا مكن بعض العنـاصر المحلية من تكوين دولة كوشـية اتخذت من « نبتة » أو « نباتا » عاصمة لها(١٦) ، وكان ذلك حوالى أواخر القرن العاشر وبداية القرن التاسـع ق٠م وبعد انتهـاء عقدين من القرن الثامن ق٠م بدأ حكام هـذه الدولة يتطلعون الى مد نفوذهم شـمالا (أى صـوب مصر) وقد شجعهم على ذلك أحـوال مصر الداخلية فى ذلك الوقت ، وسنحت لهم الفرصـة حينمـا وجدوا

« طيبة » كدولة دينية يسـودها الاضطراب والنزاع المستمر بين كهنتها وبين ملوك « تانيس » فتمكن الملك « كاشتا » من بسـط نفوذه على « طيبـة » بعد أن كان قد بسط سيادته على النوبـة السـفلى ، وسرعان ما اتخذ الألقـاب الفرعونيـة ثم أجبر الملك « وسركـون » الثـالث على التقهقر الى الدلتـا ، وأرغم ابنتـه « شبن ـ ان ـ وبت » والتى كانت على رأس كهانة « آمون » فى « طيبة » على تبنى « امنرديس » الأولى ابنة « كاشـتا » بهدف السيطرة على ثروة آمون وعلى أملاكه وحملت بذلك لقب « الزوجة الالهية »(١٧) ، حيث وجد ضـمن آثار الملك « كاشـتا » أحد النصوص من وادى الحمامات بالصحراء الشرقيـة يذكر العام الثانى عشر لهـذا الملك ، ثم يذكر اسـم المتعبـدة أو الزوجـة الالهيـة « امنرديس »(١٨) •

يتضح مما سبق الأهداف الحقيقية ، وراء الغزو الكوشى وهى السيطرة على مصر ، فالكوشـيون نظروا الى مصر فى هذه الفترة باعتبارها امتدادا سياسـيا لكوش وليس العكس كمـا كان سائدا فى العصـور السابقة ، الى جانب الأهداف الاقتصادية من السيطرة على ثروة آمون وأملاكه بل وثروة مصر كلها •

بعد موت الملك « كاشـتا » تولى ابنـه « باى » الملك فى « نباتا » بعد أن أصبح « لكوش » حزب قوى فى « طيبـة » فى ذلك الوقت انتهجت أسرة « تف ـ نخت » الرابعـة والعشرون سياسة داخليـة جديدة لتحقيق وحدة مصر السياسية ، والقضـاء على الانقسام الذى أصابهـا ، وكان من الطبيعى أن تصطدم هذه السياسة بأهداف حكام مصر العديدين وتتعـارض مع أهداف مملكة « نباتا » وعلى رأسـها الملك « باى » وقد استطاع « تف ـ نخت » أن يستميل معظم حـكام الدلتـا الى جانبـه وان كانت طبيعـة

الأحداث قد أملت عليهم ذلك حماية لهم ولاماراتهم ، ورغم ذلك كان هناك من وقف محايدا مثل « با ــ شف » حاكم « بر ــ سيد » ومن وقف معارضا مثل « اكانشا » حاكم « ثب ــ نتر » وضم التحالف الجنوبى « نباتا » و « طيبة » وخلفهم الالة « آمون » الذى كان يمثل روح المقاومة الكوشية ضد التحالف الشمالى وتوضح هذه الأحداث لوحة الملك « باى » التى تعد من أهم وثائق التاريخ المصرى القديم(١٩) .

فتذكر كيف استولى « تف ــ نخت » على الغرب جميعا حتى « اللشت » جنوبا ، وكيف أبحر الى الجنوب على رأس جيش كبير ، وعند اقترابه فتح رؤساء المدن والقرى له أبوابهم وجاءوا أذلاء فى أعقابه كالكلاب ، ثم اتجه شرقا ، وبعد ان استولى على المدن الرئيسية على الضفة اليمنى حاصر « هرقليوبولس » التى أحاط بها من جانت حتى يمنع أى واحد من دخولها أو الخروج منها (٢٠) .. ونظرا لضيق المكان فاننا لن نسهب فى تتبع مراحل الصراع تين الكوشيين والصاويين والذى انتهى على أية حال بأن قدم « تف ــ نخت » خضوعه للملك « باى »(٢١) .

وما ان أعلن « باى » نفسه ملكا على مصر حتى قفل راجعا الى « نباتا » فاستغل « تف نخت » فراغ الميدان الداخلى لمصلحته واسترد سلطانه على الدلتا والأقاليم القريبة منها واستعاد الألقاب الملكية ويؤيد ذلك لوحة فريدة فى متحف أثينا تمثله كملك يقدم هبة من الأرض الى « نيت » ربه « سايس » فى العام الثامن من حكمه(٢٢) ولأمر ما لم يبذل الملك « باى » أى جهد لاعادة اخضاع « تف ــ نخت »(٢٣) ، وانما ترك ذلك لخليفته « شباكا » .

ثانيــا ـ فلســطين

١ ـ الأحــوال الداخليــة

لم تكن سوريا وفلسطين أسعد حالا من مصر وانمــا كانتــا تعانيان النزاعات الداخليــة لذا وقعت مدنهما ودويلاتهما فريســة للزحف الآشــورى ، واذا كانت فلسطين تمثل بالنسبة لمصر خط الدفاع الأول عن حدودها الشمالية الشرقيــة ، فان آشــور كانت تضع بلاد الشام نصب عينيها بسبب ثروتها من الأخشاب والمعادن الى جــانب امتداد ساحلها على البحر المتوســط الذى من خــلاله تستطيع آشور أن تطل على عالمــه الغنى بتجارته ٠

فى الوقت الذى كانت فيه مصر وبلاد الشــام تعانيــان من الصراعات المحلية ، كانت قوة آشور تتعاظم باضطراد وترنو ببصرها نحو الغرب ، وهنا وجد الملك الآشورى « شلمانصر الثــالث » فى تنافس ممالك بلاد الشــام فرصــة مناسبة لتحقيق أهدافــه الا أن الخطر الآشورى أصلح ما بين هذه الممالك فوجد هــذا الملك نفســه أمام حلف كبير بزعامة ملكى حماة ودمشق ، عندما التقى الطرفان فى معركة « قرقر » حوالى ٨٥٣ ق٠م(٢٤) ، وكما سبق أن ذكرنا لم تكن نتيجة هــذه المعركة حاســمة كما أن مصر شاركت فى هذه المعركة بعدد رمزى من الجنود(٢٥) ولم يكن اشــتراك مصر فى هذه الأحــداث التي كانت تقع على الساحــة الفلسطينية والســورية الا تذكرة عارضة بوجودها فى الساحة السياسية والعسكرية ٠

على أى حــال ، فقد بقيت ممالك بلاد الشــام تتأرجــح بين الخضوع وتقديم الجزية لآشــور وبين الثورات عليها حتى اعتلاء « تيجلات بيليسر الثالث » (٧٤٤ ـ ٧٢٧ ق٠م) عرش آشور ٠

(أ) السيادة الآشورية على الشام : تيجلات بيليسر الثالث :

تولى تيجلات بيليسر الحكم على أثر ثورة داخلية فى نهاية حكم « شلمانصر الثالث » تركت أثرها على آشــور حيث حلت عليها فترة ضعف دامت زهاء الثمانين عاما ، أى منذ حكم الملك « شمش ــ اداد الخامس » الى حكم « تيجلات بيليسر الثالث » وقد استغلت الأقاليم التابعة لآشــور هذه الفرصــة ونبذت تبعيتهــا لها ، ولكن الملك الجديد قام باصلاحات واسعة فى الجيش ونظــام ادارة الدولة اســتطاع بهــا أن يعيد آشــور الى سابق قوتهــا واسترجع سلطتها فى كثير من الأقاليم التى كانت خاضعة لها ٠

شملت اصلاحات « تيجلات تيليسر » الادارية أمورا أساسية فى نظام الدولة ، كان فى مقدمتها تقوية ســلطة الملك والتقليل من نفوذ النبلاء وأمراء الاقطــاع الذين كانوا من أسباب الحرب الأهلية فى آشــور نتيجــة ظلمهم واستغلالهم للســكان الأحرار لاســيما الفلاحين والمزارعين ، كما ضاعف الوحدات الادارية والولايات وقلص من سعتها لتسهل ادارتها ، أما بالنسبة للأقاليم المفتوحة فقد عزل معظم ملوكهــا وحكامهــا ، وحول الكثــير منهــا الى ولايات يدير شئونها حكام أو ولاة يعينهم الملك ، وفى حالة الأقاليم التى لم يتم دمجها بالامبراطوريــة ، عين الملك مع حكامهــا الوطنيين مراقبين آشــوريين ، يضــاف الى ذلك وســائل منتظمـــة للمواصــلات والاتصال ما بين البلاط وبين الولايات المختلفــة مثل الســعاة ، أو الرسل ، أما الأقاليم المفتوحة التى تتكرر ثوراتها فقد انتهج الملك ازاءها سياســة جديدة فصــار يهجر سكانها وينقلهم بالجملة الى أقاليم اخرى ، خاصـــة الأيدى العاملة ، حتى لا تقوم لبــلادهم قائمة ، مع احلال غيرهم من مناطق بعيدة محلهم حتى يضغطوا على السكان الأصليين أو يظلوا بينهم غرباء مستضعفين ، ثم تهجــير

بعض آخر الى دولة آشــور نفسها حتى يظلوا تحت اشراف حكامها وحتى يمكن استغلالهم فى خدمتها استغلالا مباشرا(٢٦) ، ومثال ذلك انه أمر فى عــام حكمــه الثالث بتهجير ٣٠٠٠٠ ســورى من اقليم « جماة » الى جبال « زاجروس » بينما أتى ب ١٨٠٠٠ أرامى من الضفة الشمالية لنهر دجلة واحلهم فى شمال ســورية(٢٧) ، على أن تلك السياســة التى أتبعها هذا الملك لم تحقق الأهداف التى قصدت من وراءها حيث أن ثورات الشعوب لم تنقطع كمــا سنرى فى عهد « سرجون » الثانى وولده « سناحريب » •

أما الاصلاحات التى أحدثها فى نظــام الجيش فانه عدل عن النظام السابق فى تجنيد الفلاحين والعبيد الذين كان يجهزهم نبلاء المملكة ومالكو الأراضى ابان الحمــلات الحربية الســنوية ، فادخل بدلا من ذلك نظاما أشبه ما يكون بنظــام التجنيد الاجبارى بحيث أصبح الجيش جيشا نظاميــا ، ودخل أهل الأقاليم التابعــة فى سلم الجيش ، فازداد عدد الجيوش النظامية وأعفى الفلاحون الآشوريون من التجنيد فانصرفوا الى شئونهم الزراعية(٢٨) •

(ب) تيجلات بيليسر الثالث وبلاد الشام :

سبق أن ذكرنا أن بلاد الشام تمثل أهمية سياسية واقتصادية وعسكرية لدولة آشــور ، لذا كان من الطبيعي أن يتخذ تيجلات بيليسر الثالث الخطوات الجــادة لضم هذه المنطقة لامبراطوريتــه ، فكان صــدامه الأول مع حلف لملوك ســورية وفلســطين بقيــادة « عزريا » ملك « يهوذا » حوالى ٣٧٨ ق٠م(٢٩) ، وتمكن الملك الآشوري من القضــاء على هذا الحلف ، ودفع الجزية لآشــور كل من ملك دمشق وملك « جبيل » وملك « صور » و « منحيم » ملك اسرائيل « وزبيبة » ملك « العرب »(٣٠) وواضح هنا ان يهوذا

لم تذكر ضمن الممالك المؤدية للجزية ، فربما يرجع الى أن الملك الآشورى اكتفى بالقضاء على الحلف ، حيث كان يتعجل العودة الى آشور ليصفى حسابه مع بلاد (أورارتو) ٠

أثناء غياب تيجلات بيليسر فى حرب « أورارتو » عاد الصراع مرة أخرى بين ممالك بلاد الشام ، ففى حوالى ٧٣٥ ق٠م تغير النظام السياسى تماما فى مملكتى « يهوذا » و « اسرائيل » حيث أصبح « فقح » ملكا على اسرائيل و « احاز » ملكا على يهوذا ووجد هذا الأخير أن خلاصه الوحيد فى الالتجاء الى آشور ، كما رفض الانضمام للحلف المعادى لها بزعامة « رصين » ملك دمشق و « فقح » ملك اسرائيل ، اللذين أقلقهما وجود ملك على عرش يهوذا موال لآشور ، فأعلنا عليه الحرب وانضم اليهم عدد من المدن الفلسطينية والأدومية ومد الأول سيطرتهم على « شغالا » و « النقب » واحتلوا عددا من المدن الواقعة على الطريق المؤدية الى أورشليم مثل « جيمزو » و « عجلون » فى الشمال و « تمنة » و « بيث شمش » فى وادى سوريك و « سوكوث » وربما « جديروث » فى وادى علا ، أما الأدوميون فقد استردوا « ايلات »(٣١) ٠ واستنجد « احاز » بالملك الآشورى « تيجلات بيليسر » الذى لم يكن فى حاجة الى دعوة ليقوم بحملاته على بلاد الشام ، فقد كان هدفه هذه المرة هو المنطقة كلها(٣٢) ٠

حوالى ٧٣٤ ق٠م توجهت حملة الى الساحل الفلسطينى (اقليم البلست) مباشرة وتقدم الجيش الآشورى على طول الساحل حتى وصل « غزة » واستمر فى زحفه حتى وادى العريش وهو الحد التقليدى بين مصر وفلسطين(٣٣) ، وتوجيه هذه الحملة الى اقليم البلست يبرهن على حسن سياسة الملك الآشورى وبعد نظره حيث أنه كان يعرف العداء الكامن بين الفلسطينيين والممالك

الأخرى المجاورة وبذلك ضمن عدم تدخل أى منها ، وفى نفس الوقت فانه باحتلال الاقليم الساحلى قطع الطريق على أى تدخل من جانب مصر ، ومن جهة ثالثة فقد حصر الممالك الأخرى الداخلية ، ومنع اتصالها بالبحر ٠

وفى العام التالى توجهت حملة ضد اسرائيل وغزت « الجليل » و « جلعاد » والاقليم الساحلى أيضا وحول هذه الحملة أشار العهد القديم الى أن « تيجلات بيليسر » احتل عيون و « ابل بيت معكة » ، و « يانوح » و « قادش » و « حاصور » و « جلعاد » و « الجليل » وكل أرض نفتالى وحمل السكان كأسرى الى آشور(٣٤) ، معنى ذلك أنه « تيجلات بيليسر » سار جنوبا متخللا سهل البقاع ودخل اقليم نفتالى ودمر المدن المحصنة شمال وادى الأردن (عيون ـ ابل ـ بيت معكة ـ حاصور) ، وقد مكنه ذلك من غزو الجليل (قادش ويانوح) ثم جلعاد الإسرائيلية بعد عبور نهر الأردن ٠

وقد جاءت تفصيلات هذه الحملة فى حوليات تيجلات بيليسر الثالث فيتضح من نصوص هذه الحوليات أن حملته وقائمة المدن التى غزاها كانت فى شمال سورية وساحل « فينيقيا » ٠ **وذهب الى غزو « جلعاذا » و « ابل معكة » ابل بيت معكة على حدود أرض تيت عمرى (اسرائيل) وبيت « حزائيل » (أرم دمشق)** وذكر أيضا احتلال غزة وأخيرا أخبرنا بان رجلا من بيت عمرى ثار ضد ملكهم فقبح فعين الملك الآشورى مكانه « هوشع » الذى أصبح يدين بالولاء للآشوريين ويدفع لهم الجزية(٣٥) وقد أيد ذلك الحفائر التى أجريت فى « حاصور » و « مجدو » والتى اثبتت أن حاصور دمرت تماما فى هذه الفترة (وهى تمثل المستوى الخامس) حيث أن المدينة التى أقيمت على أنقاضها (مستوى

رابع) كانت عبارة عن قرية صغيرة غير مسورة مما يوحى بأن حملة تيجلات بيليسر وضعت نهاية لتاريخ « حاصور » كمدينة قوية ، اما « مجدو » فان تدمير المستوى الرابع بها يرجع لحملة تيجلات بيليسر الثالث حيث اقيمت على أنقاضها مبان على النسق الآشوري(٣٦) وعلى ذلك أصبحت مملكة اسرائيل منحصرة في اقليم افرايم الجبلي وهو الاقليم الذى سمح بأن تستمر اسرائيل كمملكة مستقلة بعد مقتل « فقح » وذلك لخضوع هوشع التام لآشور(٣٧) .

وقد انتظمت الأقاليم التى اقتطعت من مملكة اسرائيل في ثلاث مقاطعات أدرجت فى القوائم الآشورية طبقا لاختصاراتها بعواصمها وهى « مجدو » وتشمل « الجليل » والسهول الساحلية ، « دور »وسهول شارون على حدود اقليم البلست وجلعاد وقد أشار العهد القديم الى ذلك « كما أهان الزمان الأول أرض زبولون وأرض نفتالى يكرم الأخير طريق البحر عبر الأردن جليل الأمم »(٣٨) ، ومما لاشك فيه أن هذه الاشارة لحملة تيجلات بيليسر والمقاطعات الآشورية الثلاث ، التى أسسها « طريق البحر (دور) عبر الأردن (جلعاد) جليل الأمم « مجدو »(٣٩)

وهكذا وطبقا للسياسة التي رسمها تيجلات بيليسر الثالث أصبحت دمشق منعزلة عن حلفائها الجنوبيين وبالتالي صارت لقمة سائغة ، وفي عام ٧٣٢ ق.م نجح تيجلات بيليسر في اجتياح مملكتها وقتل ملكها « رصين » ونظمت أقاليمها الستة عشر ، أربع أو خمس مقاطعات آشورية هى : دمشق وكارنيم وحوزا وسوبا (سوبيت) وربما « ماتسنوات »(٤٠) ، وقد ذكر حزقيال هذه المقاطعات عند وصف حدود دولته حيث ذكر « حماة و« دمشق » و « جلعاد »(٤١) .

أما يهوذا فرغم استنجاد ملكها أحاز باشور فانها لم تسترد ما فقدته للأدوميين وللفلسطينيين فاستقلت أدوم تماما عن سيطرة يهوذا ويوضح ذلك أن « كاشومالاكو » ملك « أدوم » لم يذكر الا مرة واحدة بجانب « ياهو أحاز » فى قوائم دفع الجزية لملك آشور « تيجلات بيليسر الثالث »(٤٢) ، كما ظهر ملوك أدوم ضمن الملوك المستقلين فى حوليات « سرجون الثانى » و « اسرحدون » و « اشوربنيبال »(٤٣) كما أن يهوذا لم تسترد مدن شفالا أو أيا من المناطق التى استولى عليها الفلسطينيون(٤٤) ٠

من الواضح اذا أن التفتت والانقسام اللذين أصابا ممالك بلاد الشام وعدم تقديرهم للخطر الحقيقى المتمثل فى الآشوريين الى جانب فقدان المساعدة المصرية الجادة نظرا لظروفها الداخلية ، كانت كلها من العوامل الرئيسية التى ساعدت ملك آشور فى تحقيق ما جاء من أجله وهو ضم بلاد الشام تماما للامبراطورية الآشورية ٠

(ج) بلاد الشام فى عهد ((سرجون الثانى)) موقف مصر :

ما ان مات « تيجلات بيليسر الثالث » وتولى مكانه « شلمانصر الخامس » حتى تغيرت الأحوال السياسية كما هى العادة بعد موت أى ملك وارتقاء ملك آخر عرش آشور ، فثار هوشع ملك اسرائيل على السيادة الآشورية ورفض دفع الجزية السنوية وتحسبا لانتقام آشور قام هوشع بالاتصال بمصر وطلب عونها ، واذا كانت المصادر المصرية لم تتحدث عن مساعدتها لملك اسرائيل ، فان سابقات الأحداث ونصوص العهد القديم تقدم ما يقربنا من تلك الحقيقة « ٠٠٠ ووجد ملك آشور فى هوشع خيانة لانه أرسل

رسلا الى ســوا ملك مصر ولم يؤد جزية الى ملك آشور حسب كل سنة فقبض عليه ملك آشــور وأوثقه فى السجن »(٤٥) • معنى ذلك ان هوشــع راسل ملك مصر الذى وعده بالمســاعدة فتمرد على آشــور ، الا ان شلمانصر لم يمهله اذ نزل على اسرائيــل حــوالى عام ٧٢٤ ق٠م وحاصر السامرة لمدة ثلاث ســنوات وان كان لايعرف ما اذا كانت المدينة قد سقطت على يده أم على يد من خلفه سرجون الثــانى(٤٦) ، وعلى اية حال فسرعان ما سقطت اسرة تيجــلات بيليسر وانتقلت مقاليد حكم آشور الى أسرة سرجون الثانى •

استغلت كل من « بابل » و « أورارتو » وممالك آســيا الصغرى و « فلســطين » فترة البلبلة التى صحبت تغــير الأسرة الآشورية المــالكة للتخلص من سيطرتها ، فترك سرجون كل هذه الدول وبدأ ببلاد الشام التى اندلعت فيها نيران الثورة من غزة حتى حماة وأرواد وعاونتهــا مصر ، حيث وجد أبادى ملك حمــاة فى وصول سرجون للعرش فرصــة مناســبة للاستقلال فحرض مدن أرواد وسميرا ودمشــق والسامرة وكون حلفا قالت عنه حوليات « سرجون » **« ••• فى العام الثانى من حــكمى (فان) يوبادى صاحب حماث احضر جيشــا وحضر معه عند مدينــة قارقار (من) حنثوا بالايمان التى اقسموها •• مدن ارباد ، سميرا ، ديماشــكا والسامرة الذين ثاروا ضدى ••• »**(٤٧) ، ومن المحتمل أن مصر أيدت هــذا الحلف وعاونته ، كما شاركت « صــوز » فى الثورة وهناك اشــارة الى أن ملك ســمأل تخلى عن ولائه لآشــور وانضم الى التحالف ولكن يبدو أن هذا الحلف لم يكن ذا قيمــة حيث قضى عليــه سرجون ووقــع أبادى فى الأسر فأصــدر « سرجون » أمرا بسلخه وكان هذا بمثابة تحذير للثوار فى كل مكان(٤٨) •

بعد أن قضى سرجون على هــذا الحلف أخذ قرقر ودمرهــا

واستولى على حماه وكان ذلك ايذانا بنهاية الثورة فى الشمال حيث سلمت المدن الأخرى ، وما أن فرغ سرجون منها حتى اتجه الى غزة التى كانت مركز الثورة فى الجنوب ٠

تحالف مصر مع ((هانو)) حاكم غزة :

كانت غزة تحتل موقعا مهما فى العالم القديم ، فهى أقرب المدن الفلسطينية لحدود مصر وهى على الطريق التجارى ، السورى المصرى ، كما كانت ميناء لطرق القوافل الآتية من شبه الجزيرة العربية الى بلاد الشام ، ولم تقلل اهميتها التجارية من منزلتها الحربية ، كانت مصر تعى ذلك تماما ، ومن هنا كانت مساعدتها لها وتحريضها على اى ثورة تنشب فيها ، ولما تمردت على الآشوريين فى عهد تيجلات بيليسر الثالث وفشلت ، أرغم هانو حاكمها على الفرار الى مصر وبقى بها حتى وفاة تيجلات بيليسر ولما ولى شلمانصر الخامس العرش ، ساعدته مصر فى العودة الى غزة وخلع الوالى الآشورى وطرد الحامية الآشورية ، كان ذلك بمساعدة القائد المصرى ((سيبئة)) (سيبو)(٤٩) ، ولكن الآشوريين ضربوا هذا الحلف ، والى ذلك يشير نص من حوليات سرجون الثانى ((٠٠ انه (هانو حاكم غزة) وقع اتفاقا معه (الفرعون) وهو (الفرعون) استدعى قائده سيب ــ أى لمساعدته (هانو) وهو (سيب ــ أى) انطلق ضدى فى معركة حاسمة ، فالحقت بهما (هانو وسيب ــ أى) الهزيمة ٠٠٠ وفر سيب ــ أى مثل سيبا (راعى غنم) جرد من قطيعه (اما) هانو فقد أسرته بنفسى واحضرته (معى) مقيدا بالأغلال الى مدينتى آشور ، ودمرت رابيجو (رفح) وانهارت (اسوارها) واحرقتها وسقت امامى ٩٠٣٣ من السكان كاسرى مع امتعتهم العديدة ٠٠٠))(٥٠) ٠

كان علي عرش سايس خلال تلك الأحداث « باك ــ ن ــ رن ف » (بوخوريس) وكانت مصر في عهــده لا تزال مســتمرة في تأييد مدن فلسطين للمحافظــة على استقلالها ، ولكن بعد انتصار سرجون أيقن الفرعون أن التيارات الخارجيــة لن تجرى لصالحــه فلم يجد بدا من ارســال هدية الى الملك الآشــورى ، وربما كان الهدف منها كسب وده ، ونيل تأييده ضــد نباتا فضــلا عن وقف التقدم الآشورى تجاه مصر(٥١) ، وهنــاك نص آشــورى دار حوله جدل طويل ، حيث ذكر سرجون الثاني في حولياته « ... (ان) شــكاني شليحيني ملك موصرى الذى ... ايحــاء الخــوف الغامر من آشــور سيدى احضر ١٢ جوادا كبيرا من موصرى التي لا نظير لها في القطر (آشور) ... »(٥٢) .

وقد ربط فريق من العلمــاء بين هــذا النص وبين هديــة « باك ــ ن ــ رن ــ ف » وعلى ذلك رأى أن شلكاني هو « تاك ــ ن ــ رن ــ ف » (بوخــوريس)(٥٣) ولكن فريقــا آخر يرى أن « شلكاني » هو « وسركون الرابع »(٥٤) وفي كلتــا الحالتين يرى الفريقان أن المقصــود « بموصرى » هنا مصر « وادى النيل » ، غير أن فريقا ثالثا من العلمــاء يرى أن « شلكاني » ليس الا تحريفا لاسم عربي مثل (سلحان) أو « سلحيني » وعلى ذلك فان أرض « موصرى » هنــا ليست مصر وادى النيــل بدليل أن النصــوص الآشورية ذكرت اسم « يرعو ملك موصرى » مع رؤساء البادية مثل « شمس » ملكة العرب و « يثع أمر » السبئي مما يشير الى أن منطقة « موصرى » كانت من مناطق البادية ويغلب على الظن أنهــا قريبة من البحر الأحمر ومن الحدود المصرية ، وربما أغرت تبعيتها القديمــة لمصر الكتبــة الآشــوريين الى اعتبــار جزاها من جزى الفرعون المصرى نفســه ، أما « يرعو » فربما كان تحريفــا لاســم شيخها البدوى في عهد « سرجون »(٥٥) .

سرجون وأشدود ــ موقف مصر :

حوالي عام ٧١٤ ق٠م امتنع « عزوري » ملك أشدود عن دفع الجزية لآشـور وحرض جيرانه علي العصيان فعزله سرجون وولي أخاه « اهيميتي » مكانه (٧١٣ ق٠م) ولكن اهل أشـدود عزلوه وعينوا رجلا من غير الأسرة المـالكة هو « ايماني » الذى اعتبرته النصـوص الآشـورية « أيونيـا » مغتصبا للعـرش(٥٦) ، **« ... (ان) عزورى ملك أشـدود خطط علي ألا يدفع الجزيـة وأرسـل رسـائل (مليئـة) بالعدوان ضـد آشـور الى الملوك (الذين يعيشون) الي جواره ٠ وبنـاء على هذه الأفعـال التي اقترفهـا فقد انهت حكمـه على رعيه بلده وجعلت اهيميتي أخـاه الأصغر ملكا عليهم (و) لكن أولئك الحيثيين (دائمـا) يخططون لأعمال أهلية (للثورة) تكره حكمـه (اهيميتي) ورفعوا من يحكم عليهم الاغريقي الذى لم يكن له حق في العرش ... »**(٥٧) ثم روت النصوص الآشورية على لسان « سرجون » انه عندما سـمع بخبر « يماني » لم ينتظر تجييش الجيوش وركب عربة مدنيـة وهرع بها هو وحرسـه الخـاص واتجـه الي أشـدود ففزع الأيوني (يماني) ولجـأ الى الحدود المصرية وحاصر سرجون المدينـة حتى استسلمت هي وجيرانها فغنم منهم وسبى وعين حاكما آشـوريا على منطقتها ونقل اليها مهجرين من المناطق الشرقيـة واعتبرهم رعايا آشـوريين وذكرت رواية أخرى ان يمـاني عمل استعداداته وأحاط المدينـة بخندق وأمنها بالمياه التى كانت تأتي من خارجهـا وراسل ملك مصر وامراء جنوب فلسطين (يهوذا ــ أدوم ــ مؤاب) وبعض جزر البحـر ، فخـرج سرجون اليهم بجيش كثيف عبر به الدجلة والفرات في موسم الفيضـان(٥٨) ، معنى ذلك أن سرجون لم يفلح في هجومه بحرسـه الخـاص الذى قص قصته في الرواية

الأولى ، فرجع عن المدينة وعاد الى آشور واستعان عليها ببقية جنده ، واستطاع أن يستولى على أشدود ، ففر يمانى الى مصر وكان ذلك فى عهد الملك النوبى شباكا (حوالى ٧١٢ ق٠م) الذى اضطر الى تسليمه للآشوريين حتى يتفرغ لمشاكله الداخلية ، أو أنه أراد أن ينهج نهجا وديا فى علاقاته الخارجية ، أو أنه أراد اقامة علاقات ودية مع الآشوريين ، ولذلك نجد الملكين المصرى والآشورى يتبادلان الهدايا ، وهناك اختام من الصلصال فى متحف « نينوى » تحمل اسم « شباكا » و « سرجون » جنبا الى جنب ، فضلا عن ختم للملك شباكا عثر عليه فى « كيونجك » يحتمل انه كان ختما لرسالة منه للملك سرجون وقد أدت هذه الاتصالات بين الملكين وتبادل الهدايا الى أن يسرف أعوانهما فى استخلاص النتائج منها وقد لعب الخيال فيها دورا كبيرا ، فموظفو الفرعون اتخذوا من رد الملك الآشورى دليلا على خضوعه لسيدهم وصوروه وهو يخضع الشعوب الآسيوية ، والأمر كذلك بالنسبة لرجال بلاط نينوى الذين اتخذوا من هدايا شباكا لسيدهم دليلا على خضوعه له (٥٩) ٠

(د) الملك (؟) سوا :

ذكرنا من قبل أنه بعد موت تيجلات بيليسر (الثالث) ملك آشور ، تغيرت الأحوال السياسية فى بلاد الشام ، فأعلن « هوشع » ملك اسرائيل وصنيعة الآشوريين ، العصيان وأرسل رسلا الى « سوا » ملك مصر ، ولم يؤد الجزية السنوية لملك آشور(٦٠) ، واذا كان أمر استنجاد ملك اسرائيل بمصر يبدو محققا الا أنه دار جدل كثير بين الباحثين حول تحديد الملك المصرى الذى قصدته رواية العهد القديم ، فمن المعروف تاريخيا أنه لا يوجد فى هذه الفترة من تاريخ مصر ملك يحمل اسم « سوا » ٠

وقد حاول بعض الباحثين أن يقرنوا « ســوا » ب « سيبئة » أو « سيب ــ أى » ترتان (قائد) جيش مصر الذى ذكرت حوليات سرجون الثانى عــام ٧٢٠ ق٠م بأنه خرج من رفح مع « هانو » حاكم غزة لوقف التقدم الآشورى(٦١) ، والذى تراءى للبعض أنه الملك النوبى « شباكا »(٦٢) ، على أســاس ترجمة اسم « شباكا » (القسط البرى) حيث أن « كــا » أداة تعريف كما هى فى النوبية الحديثــة وان « ســبا » تعنى (قســط برى) فاللفظ العبرى « سيب ــ أى » حذف منه أداة التعرف « كا »(٦٣) ٠

ولكن من المؤكد أن « ســوا » ليس هو نفس « سيبئة » توورتان (أى قائد جيش) مصر ، فقائد الجيش ليس هو الفرعون كمــا أن النص الآشــورى ذكر « سيبئــة » قائده (أى قائــد الفرعون)(٦٤) ، هذا فضــلا عن ان اسم القائد يقرأ « رعيــا » وليس « سيب ــ أى »(٦٥) وبالتــالى لايــكون « ســوا » أو « سيب ــ أى » هو « شباكا » حيث أنه بالاضافة الى ما سبق فان « كــا » ليست أداة تعريف فأداة التعريف لا تقع فى نهايــة الكلمة علاوة على أن « شباكا » ذكرته حوليات « آشور بنيبال » فيما بعد « شــباكو »(٦٦) ، وحتى اذا قبلنا مطابقــة « ســوا » مع « شباكا » لغويا تظل هنــاك صعوبات تاريخية كبيرة فالمصــادر الآشورية ذكرت سقوط السامرة حوالى ٧٢٢/٧٢١ ق٠م وأن تدخل « سوا » كان قبل عام ٧٢٥ ق٠م ، والمعروف أن « شباكا » لم يعتل العرش الا فى عــام ٧١٥ ق٠م(٦٧) ، قبل عــام ٧٢٥ ق٠م ، وقد حــاول « هول » ، التغلب على ذلك بافتراض أن « باى » النوبى عندما غزا مصر حوالى ٨٢٨ ق٠م ترك اخاه « شــباكا » كقائد فى مصر بينما عاد هو الى « نباتا »(٦٨) ، ولكن هذا مجرد تخمين لم تؤيده الآثار المصرية حتى الآن وعلى ذلك فليس من الممكن

أن يكون « سوا » من الناحية اللغوية والتاريخية هو الملك النوبى « شبـاكا »(٦٩) .

وهناك من اقترح قراءة نص العهد « الى وزير ملك مصر » على أساس أن SO3 هى الدلالة الصـوتية للقب المصرى T3 (٧٠) ، ولكن هذا غير صحيح ، كما انه لايمكن أن يكون « سـوا » هو « ايوبوت الثانى »(٧١) ، وهناك اقتراح آخر يرى ان « سـوا » هو « تف نخت » حيث اخذ الكلمـة العبريـة S03 على أنهـا Sewe3 وفسرت على أنهـا الاسم الحورى للملك « تف نخت » (Si3 — ib) (٧٢) ، ولكن يرى « كتشـن » أن المـلوك المصريين كانوا يعرفون فى النصـوص الأجنبية باسمائهم الشخصية وليس بألقابهم الحورية(٧٣) .

وعلى ذلك يرى « كتشن » ان كل الأدلة التاريخية واللغوية والسياسية انما تجعل من « أوسركون الرابع » ملك « تانيس » و « بوباسطة » أفضل المرشحين لأن يكون « سـوا » استنادا لعدة شواهد منها :

أولا ــ أن « سـوا » يمكن أن يكون اختصارا من اسم (أو) سو (ركون) .

ثانيـا ــ ان هذا التفسير لا يلزمه تعديل فى النص .

ثالثا ــ ان « أسوركون الرابع » كان يحكم فى « تانيس » حيث كان الأنبياء العبرانيون يحرمون على الحكام مراسلتهم ، الى جانب ان مملكة « أوسركون » كانت فى شرق الدلتا فكان مجاورا لفلسطين لذا كان قادرا على تقديم المساعدة السريعة .

رابعـا ــ أنه كان هنـاك علاقات منذ وقت طويل بين ملوك الأسرة الثانية والعشرين (خاصة أوسركون الثاني) وبين مملكة اسرائيـل •

خامسـا ــ أن الحوليات العبرية لم تسجل مساعدة أتت من جانب « أوسركون الرابع » حيث أنه كان ملكـا ضعيفـا لا يملك المصادر التي تمكنه من ارسـال جيش كبير مثلما فعل « شاشانق الأول » و « أوسركون الأول » قديما ولكنه وعد بتقديم قوة مثلما فعل « أوسركون الثـاني » في قرقر وأخيرا أن « تف نخت » لم يكن معروفا في البلاط العبري كما أن عاصمته « سايس » لم تكن معروفة أيضا(٧٤) •

ورغم هذا التحليل المفصل الذي قدمه « كتشن » لنص العهد القديم والذي سـاعدنا كثيرا في استبعاد بعض الآراء المشكوك في صحتها الا ان القرائن التي اعتمد عليها في تعريف « سـوا » بالملك « وسركون الرابع » يمكن أن يعترضها بعض الصعوبات منها :

أولا ــ أن نص العهد القـديم ذكر « سـوا »(٧٥) ، وليس « سـو » والاسم الشخصي للملك « أوسركون » هو « وسركون » وهذا الأخير لا يمكن اختصاره الى « سـوا » أو حتى « سـوا » وبالتالي فان الاسـماء التي ذكرها العهد القديم واسـتدل بهـا « كتشـن » على أنها اختصـارات مثل « شيشق » ، « شاشانق الأول » و « ترهاقة » (طهرقا) هي بالأحرى نطق مشوه للاسماء المصرية •

ثانيـا ــ أنه يتضح من نص العهد القديم أن أنبياء اسرائيل كانوا يدينون ملوكهم لتعاملهم مع نواب ومستشاري الفرعون في « تانيس » وليس الفرعون ذاته ، بمعنى أن الفرعون نفسـه لم يكن في تانيس « الذين ينزلون الى مصر ولم يسـألوا فمي ليلتجئوا

الى حصن فرعون ويحتموا بظل مصر ، فيصير لكم حصن فرعون خجلا والاحتماء بظل مصر خزيا لأن رؤساءه صاروا فى صوعن وبلغ رسله الى حانيس »(٧٦) ، ويقول النص أيضا « ان رؤساء صوعن أغبياء حكماء مشيرى فرعون مشورتهم بهيمية »(٧٧) ، معنى ذلك أن الفرعون لم يكن فى صوعن « تانيس » وانما ولاته ومستشاروه ٠

ثالثا ـ أنه باستبعاد تأثير حجم مساحة مملكتى الشرق والغرب حيث ان كبر المساحة ليس دليلا على القوة فان مسألة بعد أو قرب أى من المملكتين من فلسطين ليس مبررا كافيا حيث أن مملكة الغرب كانت تشرف بساحلها الشمالى على البحر المتوسط مما هيأ لها فرصة التمتع بحركة تجارية نشطة ، يمكن من خلالها الاتصال بفلسطين بشكل أقل صعوبة عن الطريق الصحراوى الوعر بين مصر وفلسطين(٧٨) ، بالاضافة الى انه يوجد ما يؤكد امتداد سيادة مملكة الغرب وملكها « تف ـ نخت » الى شرق الدلتا(٧٩) ٠

رابعا ـ ان مسألة وجود علاقات ودية بين الأسرة الثانية والعشرين وفلسطين بدليل العثور على خراطيش باسم الملك « وسركون الثانى » فى فلسطين مثلما ذكر « كتشن » نفسه(٨٠) ، فان هذا دليل يقف أمام ما ذهب اليه حيث انه اذا كان المقصود « وسركون الرابع » كان لابد أن يذكر الاسم صريحا لمعرفتهم اياه من خلال سميه السابق « وسركون الثانى » فان لم يكن كذلك فان معنى ذلك ان « هوشع » لم يكن يعلم بتلك العلاقات السابقة وهذا غير معقول منطقيا ٠

خامسا ـ ان كتشن نفسه ذكر ان « وسركون الرابع » كان ملكا ضعيفا لا يملك القوة التى تمكنه من مساعدة ملك

اسرائيل(٨١) ، وعلى أى شيء كان « هوشع » يقصده طلبا للعون والنجدة ؟ فان كان ما ذهب اليه كتشن فى هذه النقطة صحيحا فان معنى هذا ان هوشع لم يكن يعلم عن أحوال مصر المنهارة فى تلك الفترة شيئا وهذا غير معقول منطقيا .

وعلى ذلك يميل الباحث الى الرأى الذى اقترحه من قبل « جويدكة » و « البرايت » وهو ان الملك المقصود والذى لم يذكر اسمه هو «تف نخت » على أساس ان « سوا » ليس اسم شخص ولكنه اسم « ساو » (سايس) عاصمة « تف نخت »(٨٢) ، والذى رفضه « كتشن » من قبل(٨٣) .

أما معادلة « سوا » مع « ساو » (سايس) لغويا فان هذا الاسم المصرى « ساو » كان ينطق فى النصوص الآشورية « سايا » «SaJa» a a, — Sa (٨٤) ، وهو أقرب لنطق « سوا » العبرية أو أن الشكل الاغريقى لاسم « سايس » TWS « سو » يعد أقرب للشكل الآشورى لنفس الاسم(٨٥) ، مع ملاحظة أن « كتشن » استخدم دائما « سو » وليس « سوا » وعلى ذلك يمكن أن نقرر بشيء من الاطمئنان ان « سوا » هى « ساو » التى نطقها الكتبة العبرانيون بشكل مشوه « سوا » كما ذكروا « شيشق » (شاشانق) ، و « ترهاقه » (طهراقا) وبالتالى يمكن قراءة نص العهد القديم دون تعديل « فأرسل رسلا الى « سوا » (ساو) ملك مصر حيث تظهر « ساو » (سايس) من خلال الاضافة على سبيل الملكية مختلفة بذلك عن اللغات الأوربية فى ترجمتها الحديثة(٨٦) ، واما أن يقرأ النص « فارسل رسلا الى سوا (حيث) ملك مصر » وذلك بالقياس لنص آخر يقول « وأرسل خزقيا ملك يهوذا الى ملك آشور الى لخيش »(٨٧) فحرف الجر الأخير يعنى مجازا (الذى فى) ودائما

يكون الغرض من هذا الأسلوب التخصيص والتحديد بالانتقال من ذكر المكان بصفة عامة ، ثم اسم الشخص المقصود من الرواية والمتعلق بالمكان ذاته(٨٨) ، خاصة وان مصر كان يحكمها اكثر من ملك فى ذلك الوقت فأراد الكاتب العبرانى أن يخصص الملك المقصود هنا هو « تف نخت » حيث أنها تؤكد أن هذا الملك قد يقصد ، ولكن تحديد المكان يعرفنا يقينا اسم الشخص المقصود ٠

كما أن الأسس التاريخية والسياسية تدل على أن الملك المقصود هنا هو « تف نخت » حيث انها تؤكد ان هذا الملك قد امتد بسيادته الى شرق الدلتا والتخوم العربية ، ورغم عدم وجود نصوص صريحة تفصح عن ذلك ، الا أن هناك تلميحات من خلال بعض النصوص اليونانية والمصرية ، وبعض الآثار يمكن أن نستخلص منها صحة امتداد سيادة « تف ــ نخت » الى شرق الدلتا ، فقد ورد فى كتاب « ديودور » ٠

« ٠٠٠ عندما كان تنيفاختوس (تف نخت) أبو بوخوريس الحكيم ، ملكا ، بعد ذلك (بعد مينا) بأجيال عديدة وبينما هو فى حملة فى بلاد العرب أعوزته الأقوات والامدادات لأن البلد كان صحراويا وخشنا قاسيا وقيل لنا أنه اضطر الى السير يوما واحدا دون زاد وأن يعيش على قوت غاية فى البساطة فى موطن البدو وانه تمتع بالتجربة للغاية فأنكر الترف ولعن الملك مينا الذى كان أول من علم الناس حياة البذخ واستاء كثيرا من التغيير الذى دخل على عادات الناس فى الطعام والشراب والنوم لدرجة انه نقش لعنته بالهيروغليفية فى معبد زيوس (آمون) بطيبة ٠٠٠ »(٨٩) ٠

واذا كان يويوت قد اعتمد على هذا النص لتأكيد امتداد سيادة « تف نخت » الى شرق الدلتا الا أنه فى نفس الوقت يعترض على نقش هذا النص فى معبد آمون بطيبة(٩٠) ، وهذه حقيقة

لأمراء فيها ، حيث أن « تف نخت » لم يقدر له أن يحتل طيبة ولكن اذا تتبعنا نص « ديودور » بعد ذلك نعرف انه ليس المقصود « بطيبة » هنا « طيبة الجنوبية » حيث كان هناك مدينة أخرى في الشمال تحمل نفس الاسم (واست ـ محيت) أى « طيبة الشمالية » (ديوسبوليس) (مدينة الاله) وكان بها معبد للاله آمون(٩١) ، وهى التى يقصدها « ديودور » فى النص السابق ويؤيد ذلك أنه عندما تحدث عن طيبة الجنوبية ذكر تاريخها ومؤسسها وابنيتها وآثارها وهو ما لم يشر اليه فى النص الذى نحن بصدده ، ثم ميزها باسم « ديوسبلوليس ماجنا » أى طيبة العظمى(٩٢) .

ويرجح صحة قيام « تف نخت » بحملة الى فلسطين لمعاونة « هوشع » انه فى عام ٧٢١/٧٢٠ ق.م عندما اتجه « سرجون الثانى » الى غزة وجد المصريين والبدو فى قتال فيما بين العريش والقنطرة(٩٣) ، فمن المحتمل جدا ان « تف نخت » عندما قام بالزحف شرقا لتقديم معونته الى « هوشع » ضل الطريق فى الصحراء ، فاصطدم ببدوها ، خاصة وان « يويوت » أكد ان الدلالة الجغرافية لبلاد العرب (التيه والنقب) جنوب فلسطين(٩٤) وهكذا يؤكد ضمنا صحة رواية « ديودور » وبالتالى امتداد سيادة « تف نخت » الى شرق الدلتا .

بالاضافة الى ذلك ، فقد جاء فى نص لوحة « ميخائيليدس »(٩٥) ، أن « تف نخت » كرس حقلا من عشرة أرورات لصالح الهة « ب » (بوتو) من أرض « تاشنوت أنب حج » فاسم هذه المدينة لايمكن أن يكون بغرب الدلتا فى شرقها وان كان موقعها المحدد لايزال محل تخمين الا أن أقرب الاحتمالات انها تابعة لاقليم « بر ـ سبد » (صفط الحنة) وذلك من خلال لوحة

عثر عليها « بالعوسجة » بالقرب من الصوالح على بعد ٢٠ كم شرق الزقازيق ، وجد بها اسم « تاشنوت أنب حج »(٩٦) .

وجد « مونتيه » قطعة صغيرة من بقايا أنقاض « صان الحجر » (تانيس) وهى على ما يبدو كسرة من حجر جيرى كبير ، ووجد على هذه الكسرة الحروف الأخيرة من اسم « تاك ـ ن ـ رن ـ ف » خليفة « تف نخت » وهى m.f داخل بقايا « خرطوش » فوجود هذا الأثر فى « تانيس » يشير بشكل قوى الى امتداد سيادة أسرة « تف نخت » على الدلتا كلها فضلا عن السيادة المؤكدة على « منف »(٩٧) .

وبتأكيد سيادة « تف ـ نخت » الى شرق الدلتا تسقط قرينة قوية اعتمد عليها « كتشن » كثيرا فى ترجيح كفة « وسركون الرابع » وهى القرب من فلسطين . وعلى ذلك فان الخيط المشترك بين رواية العهد القديم ورواية « ديودور » وتلميحات النصوص الآشورية تجعل « تف نخت » الملك غير المسمى فى نص العهد القديم والذى أشار الى عاصمة ملكه فقط ، على أنه الملك المصرى الذى طلب منه « هوشع » ملك اسرائيل المساعدة .

« هـ » سناجريب وفلسطين ، وموقف مصر :

رغم متاعب مصر الداخلية فى تلك الفترة (الانقسام الداخلى وسوء الأحوال الاقتصادية ، والاجتماعية) لم يكن فى وسعها أن تظل منعزلة طويلا عما يجرى فى الشام الذى قلب فيه الآشوريون موازين القوى رأسا على عقب ، فعملت على مساعدة ممالكها الثائرة ، لا حبا فيها ، ولكن لاتخاذها مواقع أمامية لوقف التوسع الآشورى فما أن انتهى عهد « سرجون » ، الثانى حتى انفجرت الثورة فى بلاد الشام ، وامتنعت ممالك « عسقلان » و « عقرون »

و « لاخيش » و « لبنة » و « صور » و « صيدا » عن دفع الجزية لآشور كما تحالف « مردوخ بلادان » ملك « بابل » مع « حزقيال » ملك « يهوذا » الذى كان يأمل فى أن تستعيد مملكته وضعها المؤثر كما كانت أيام « عزريا » ، فحاول أن يمد سيطرته على المقاطعات الآشورية ، فتطلع الى عون مصر وطلب منها التدخل فى شئون فلسطين لتدعيم الثائرين على النير الآشورى(٩٨) ، فانتهزت مصر الفرصة وحاولت استعادة نفوذها فى فلسطين ومن ثم تجددت العداوة الكامنة بين القوتين (مصر وآشور) فى عهد الملك « سناحريب » ٠

أدرك « حزقيال » ان ما يقوم به ضد آشور هو بمثابة مغامرة لذا فقد شهد بنفسه استعدادات الصراع القادم فكان مشروعه الشهير « نفق سيلوام » فى أورشليم والذى حفر ليحمل المياه من نبع « جيحون » الى أسوار المدينة(٩٩) ، وقد قويت أسوار أورشليم بسرعة باستخدام أحجار من المبانى القريبة منها(١٠٠) ، وقد دلت المخازن التى بناها على قوة حصونه(١٠١) ، كما أنه زاد من نظام التجنيد الاجبارى وجمع الضرائب ، ومد حدود مملكة « يهوذا » الى المدن الفلسطينية كما زاد من ضغطه على المدن التى رفضت الاشتراك فى الثورة ، خاصة « غزة » ومن المحتمل انه مد سيطرته فى غرب « النقب » والوصول الى « جيرار » نبع من عدائه لمدينة « غزة » كما ان حملته على جبل سعير كانت من أجل فرض سيطرة « يهوذا » على « أدوم » فى ذلك الوقت(١٠٢)٠

بدأ الجيش الآشورى فى غزو فلسطين فى عام ٧٠١ ق٠م بعد أن قضى سناجريب على الثورات فى آشور وقد ذكرت تفصيلات هذه الحملة كل من الحوليات الآشورية والعهد القديم ٠

أما حوليات « سنحاريب » فقد ذكرت أن الجيش الآشوري سار جنوبا على طول الساحل الفينيقي ودونت سلسلة من المدن تمتد من « صيدا » حتى « عكا » وهى « بيت زايت » و « روبات » (زرباتو) وماعلاب (ماخليبا) و « أوشو » و « اكزيب » وعند « عكا » أشار « سناحريب » الي الجزية التى دفعها الملوك الأموريون كدليل على خضوعهم وهى حكام « صيدا » و « أرواد » ، و « جبيل » و « أشدود » و « عمون » و « مؤاب » و « أدوم » وأسر « صدقيا » ملك « عسقلان » المتمرد ونفاه الى آشور ، ثم ذكر « سناحريب » بعد ذلك غزوة « لبيت داجون » و « يافا » و « بن ــ باراك » و « أزرو » وهي مدن تنتمى للملك « عسقلان » « صدقيا » ثم تحدث عن أهل « عقرون » الذين خلعوا ملكهم « بادى » صنيعة الآشوريين وارسلوه الى « حزقيال » ، وبعد الاستيلاء على « عقرون » أمربقتل الموظفين والنبلاء الذين اشتركوا فى خلع ملكهم وتعليق جثثهم على الأعمدة حول مدينتهم واكتفى باعتبار المواطنيين العاديين المتهمين تمشايعة الثوار الكبار أسرى حرب ، ولم يلتفت للجماهير لم يثبت عليها سوء السلوك(١٠٣) ، ومن « يافا » استمر الجيش الآشورى جنوبا فى تحرك مباشر ضد الجيش المصرى الذى أتى لمساندة الثائرين وقد حقق الآشوريون النصر عليهم فى التكة ، ويشير « سناحريب » الى منافسيه بانهم ملوك مصر ، أى حكام المدن وربما كانوا من أمراء الدلتا وكذلك النبالة وفرسان الفرعون النوبى ومن الواضح هنا أن اشارة العهد القديم عن تدخل «طهرقا » ضد « سناحريب » خطأ حيث ان « شبتاكا » كان مايزال ملكا فى عام ٧٠١ ق٠م ولم يخلفه « طهرقا » الا فى عام ٦٨٩ ق٠م(١٠٤) ، وبعد أن استبعدت القوة المصرية استولى « سناحريب » على

« التكة » و « تمنة » و « عقرون » وعاقب المدينة الأخيرة على تمردها كما سبق ان ذكرنا ثم تحول جزء من الحملة الآشورية الى مملكة « يهوذا »(١٠٥) .

« أما بالنسبة ((لحزقيال)) فانه لم يخضع لسطوتى ، فحاصرت ستا وأربعين من حصونه القوية وأعدادا لا حصر لها من المدن الصغيرة وحاصرت وغزوت منشآت كثيرة مستخدما آلات الحصار مع مساعدة القوة الهجومية وذلك باحداث شروخ فى الأسوار مستخدما مجانيق الحرب ونفيت منهم الكثير واخذت ١٥٠ ــ ٢٠٠ شخص (أسير) صغير وكبير رجل وامرأة وخيل وبغال وحمير وجمال وحيوانات فى أعدادا لا حصر لها ، وسجنته هو نفسه فى أورشليم فاصبح كطائر فى القفص))(١٠٦) .

معنى ذلك أن « سناحريب » قد استولى على المدن اليهودية التى غزاها ، بالاضافة الى ملوك « أشدود » و « عقرون » و « عزة » ورغم أن « حزقيال » لم يستسلم الا انه دفع جزية كبيرة للملك الآشورى ، بلغت ٢٠ وزنة من الذهب و ٨٠٠ وزنة من الفضة وأشياء ثمينة أخرى(١٠٧) ، وواضح ان « سناحريب » لم يشير الى تدمير « لاخيش » .

أما رواية العهد القديم بخصوص هذه الحملة(١٠٨) ، فانها لم تعطنا قائمة مفصلة عن غزو هذه المدن (اليهودية) ولكنها ذكرت اشارات عامة عن المدن التى غزاها « سناحريب » ، فقد صعد على كل المدن الحصينة واخذها(١٠٩) .

ومن المحتمل أن نواح « ميخا » على تدمير مدن « شفالا » وهى « جت » (تل الشيفى ؟) و « بيت عفرة » (اتيبة)

و « شافير » (حنان) و « تيت هاصيل » و « ماروث » (ولم نتعرف على هذه الأماكن الأربعة الأخيرة) و « لاخيش » و « مورشة » (تل الجديدة) و « اكزيب » (تل البيد ؟) و « مريشة » و « عدلام »(١١٠) ، يرجع لحملة سناحريب وان كان تدمير مريشة يرجع للحملة الثانية ويذكر اشعياء ان فرقة آشورية اخرى سارت ضد أورشليم عن طريق اقليم السامرية واحتلت سلسلة من المدن خلال مرورها فى اقليم « بنيامين » وقد بدأ هجوم هذه الفرقة من الجانب الشرقى مستخدمة الطرق الرئيسية فى المنطقة الجبلية ، وكان الهجوم الأول على « عياث » (خربة خيران) و « مخماش » ثم عبرت القوة بعد ذلك « وادى سوينيت » ووصلت « جبع » ومن هنا استدارت الى « الرامة » ومنها تابعت السير نهاية « جبعة شاول » (تل الفول) ثم ذكر بعد ذلك العديد من المدن شمال وشمال شرق أورشليم مثل « جليم » و « ليشة » و « مدمنة » و « جبيم » ولم يتم التعرف على هذه الأماكن وأمكن التعرف على « عناثوت » (رأس الخروبة) بجوار « عنات » و « نوب » (عشوبة ؟)(١١١) ، (انظر الخريطة رقم ٣) ويمكن أن نقبل العدد الذى ذكره « سناحريب » وهو استيلاؤه على ست وأربعين مدينة والتى تشمل بدون شك معظم مدن « شفالا » و « يهوذا » بالاضافة الى بعض المدن فى المناطق الجبلية فى « تنامين » ولكنه (أى سناحريب) لم يغز « أورشليم » نفسها حيث اقتنع بالجزية التى حصل عليها وعاد الى آشور ، وان كان لعودته المفاجئة أسباب أخرى ، وربما ترجع لاضطراب أحوال آشور الداخلية واثارة المتاعب من جانب دولتى « بابل » و « عيلام » .

وكما هى العادة فقد اختلفت الروايات حول نهاية حملة « سناحريب » مما يجعلنا نعتقد بوجود أكثر من حملة ، فادعت

النصوص الآشـورية الانتصار المؤزر على « أورشليم » وحلفائها ، وروت أن « حزقيـال » اضطر تحت وطـأة الحصـار وما أصاب النجدة المصرية وانفضـاض اتباعه من حوله الى دفع الجزية مضاعفة الى « نينوى » ومعها وفد من بناته وحظاياه وموسيقية(١١٢) .

أما نصـوص العهد القديم فتروى أن الجيش الآشـورى حل به الموت الالهى حيث حام ملك « يهوه » فوقه ليلا « وفى بكرة الصباح اصبحوا جثثا هامدة فارتد الملك الآشـورى مدحورا بخذى الوجه الى أرضـه بعد ان أصبح جيشه كالعاصفة فى مهب الريح »(١١٣) .

أما « هيرودوت » فقد أرجع هزيمـة الجيش الآشـورى الى قوة الاله المصرى « بتـاح » حيث روى ان كاهن « هيفايستوس » (بتاح) ويسمى « سيثوس »(١١٤) ، وقد أحزنه الأمر ، فاعتمد على عون ربه أكثر مما اعتمد على مجهود الجنود ، وعشية المعركة انقضت الفئران ليـلا على الأعداء كالسـيل الجـارف وقرضت جعبهم وأقواسـهم وحمـائل دروعهم فكانت النتيجـة انهم ولوا الأدبار وسقط منهم الكثيرون(١١٥) ، ثم ذهب رأى آخر للتوفيق بين قصتى العهد القـديم « وهيردوت » بأن الجرذان فشت وباء الطـاعون بين الآشـوريين فأهـلك خلقـا كثيرا واوهن البـاقين فانسحبوا(١١٦) .

أن اختـلاف الروايات حول نهاية حملة « سنباجريب » كمـا سـبق ان ذكرنا يجعلنـا نعتقد بوجود أكثر من حملة كمـا يرى جمهرة المؤرخين(١١٧) ، وذلك لمـا يلى :

أن نصوص العهد القديم فى الملوك الثانى ١٨ : ١٣ واشعياء ٣٦ : ١ تتفق مع ما ذكرته حوليـات « سـناحريب » عن المـدن اليهودية التى احتلها والجزية التى دفعها « حزقيـال » نتيجـة حصار ، أورشليم ولكن كلا المصـدرين لم يذكرا احتلالها .

ورغم اتفاق المصــدرين حول تلك الأحداث السابقة فانهمـا اختلفا حول وجود « سناحريب » فى « لاخيش » فتؤكد نصـوص العهد القديم على وجوده فى « لاخيش » أثناء حصـار « أورشليم » حيث تذكر أن الرســل الذين أرسـلهم « سناحريب » جاءوا من « لاخيش » ورد « حزقيال » بارســال رسله من « يهوذا » الى « لاخيش »(١١٨) .

وان كانت حوليــات « سناحريب » لم تذكر حضـوره الى « لاخيش » فمن المحتمل جدا ان الملك الآشورى لم يدمر « لاخيش » فى هذه الحملة حيث أن تدميرهــا ومحــاولة الوصـول الى الحدود المصرية كان بعد ذلك بحوالى أحد عشر عاما(١١٩) ، معنى ذلك أن « سناحريب » فى حملتــه الأولى انشغل بمحــاربة القوات المصرية فى « التكة » وكان قد أرســل مندوبيه لتنفيذ وعد « حزقيال » بدفع الجزية ولكن يبدو أن هــذا الوعد كان للمماطلة وكســب الوقت حتى يصــل الجيش المصرى الذى كان « حزقيال » يعــلم بتحــركه من مصر وما أن علم بوصــوله ودخــوله فى حــرب مع « سناحريب » حتى سحب وعده فعاد « ربشاقى » دون أن يحقق شيئا فوجد « سناحريب » فى حرب مع لبنة والقوات المصرية(١٢٠)، الا أن هــذه القوات قد خيبت ظن « حزقيــال » حيث انها لم تكن على مســتوى الجيوش القوية وربما كانت هى القوة التى اشــار اليها « هيرودوت » والتى اعتمدت على عون الاله المصرى « بتاح » أكثر من اعتمادهــا على العتــاد والعدد فكان أمرا طبيعيــا أن ينتصر « ســناحريب » بقواتــه الكثيفــة ومعداتــه الحديثــة ، وهنــا أرســـل الى « حزقيـــال » يعنفــه « والآن عــلى من اتــكلت حتى عصــيت عــلى ، فالآن هو ذا قــد اتــكلت عــلى عــكاز هــذه القصــبة المرضوضــة على مصــر التى اذا توكأ أحد عليها دخلت فى كفه وثقبتها »(١٢١) ، فآثر « حزقيــال » دفع

الجزية مضاعفة للملك « سناحريب » كما سبق أن ذكرنا ونظرا لاضطراب أحوال آشور الداخلية واثارة المتاعب من جانب دولتي « بابل » و « عيلام »(١٢٢) ، عاد « سناحريب » الى آشور .

ومما يدل على وجود حملتين أيضا ذكر « طهراقا » ملك كوش على أنه كان قائد القوات المصرية ضد « سناحريب » والمعروف ان « طهراقا » لم يرتق العرش الا فى عام ٦٩٠ ق.م ، ولو سلمنا بما ذكره « كتشن » بأن شبتاكا قد استقدمه الى مصر عام ٧٠١ ق.م وكلفه بقيادة الجيش الذى ذهب الى فلسطين(١٢٣) ، ما ذكر نص العهد القديم بانه ملك كوش ، ولكن من المحتمل جدا ان « طهراقا » كان قائد القوات المصرية أثناء حملة « سناحريب » الثانية على فلسطين ، علاوة على ذلك فان نص العهد القديم ذكر انه بعد خروج ملاك الرب على الآشوريين ، ضرب من جيشهم مائة الف وخمسة وثمانين ألفا ، فانصرف « سناحريب » ورحل الى « نينوى » حيث اغتيل(١٢٤) .

واذا علمنا ان « سناحريب » قد اغتيل فى عام ٦٨١ ق.م(١٢٥) ندرك ان انقاذ أورشليم الأسطورى كان فى الحملة الثانية التى لم يسجلها « سناحريب » فى حولياته اما لهزيمته فيها واما أن الوقت لم يمهله ليفعل ذلك ، حيث انه قتل بعد عودته من فلسطين ، كما انه ليس من المعقول منطقيا أن يقضى « سناحريب » فترة حكمه كاملة فى بلاد الشام محاولا اخضاعها تاركا أمور دولته حيث أن بداية تدخله فى فلسطين كان فى عام ٧٠١ ق.م واغتياله فى عام ٦٨١ ق.م كما سبق ان ذكرنا .

وعلى ذلك يمكن القول أن « سناحريب » قام بحملتين على فلسطين استولى فى الأولى على العديد من مدن فلسطين واستعصت

عليه أورشليم فقنع منهـا بدفع الجزيـة بعد أن انهزمت القوات المصرية فى التكة وعـاد الى آشـور لاخضاع « بابل » و « عيلام » واثناء ذلك قامت الثورة فى فلسطين حركها « طهراقا » ملك مصر وأشعلها « حزقيال » فسـار « سناحريب » الى فلسـطين مرة ثانية ودمر « لاخيش » وغيرها من مدن فلسطين وفكر فى الزحف على مصر وهنا كان الانقاذ الأسـطورى لمدينة « أورشليم » ومصر أيضا فرجع « سناحريب » الى آشور حيث قتل وتولى ابنه « أسرحدون » (٦٨١ ق٠م)(١٢٦) ٠

مما سبق يتضح لنا ان سياسـة مصر ظلت تعمل على اشعال الثورة فى فلسطين ضـد آشـور فثـلاث مرات اجتاحت الجيوش الآشـورية سـورية وفلسـطين حتى الحدود المصرية (تيجـلات بيليسر الثـالث ـ سرجون الثانى ـ سـناحريب) وثلاث مرات ولأسباب مختلفة (كانت مصر عاملا هاما فى المرات الثلاث) يعودون دون أن يعبروا هذه الحدود ، الا أن النهاية لم تكن بعيدة الوقوع وكان ذلك فى عهد أسرحدون ابن « سناحريب » حيث كانت مصر غير قادرة على مواجهـة الآشوريين الذين بلغوا ما بلغوه من توسـع وعنفوان فى الوقت الذى كان فيه البنيان السـياسى والداخلى لمصر غير سليمفوصـول « طهراقا » الى العرش كان بعد تنافس مرير مع خصـومه مما اضعف قوة مصر العسـكرية أيضـا ، بالاضافة الى نجاح الآشـوريين فى اضعاف حلفاء مصر فى بلاد الشـام فكان على مصر ان تواجه سنة الحيـاة فى شيخوختها الثالثة وبلغ الأمر مداه فجهز الملك الآشـورى « اسرحدون » كل امكانياته لغزو مصر باعتبارها آخر مناطق الشرق القديم بعدا عن نفوذه وأملا فى القضاء على ما بقى لها من قدرة على المنافسة الحربية وطمعـا فى ثرائها وليقطع معونتها عن حلفائهـا فى فلسطين وسـورية وتحقق أمل آشور فى احتلال مصر عام ٦٧١ ق٠م(١٢٧) ٠

هوامش الفصل الرابع

(١) Naville, E, Festival Hall of Osorkon II, London, 1892, PP. 18 — 19.

Kitchen, Third Intermediate, PP. 336 , 476.

(٢) Ibid., PP. 314 — 315.

(٣) Ibid., P. 316.

(٤) Ibid., P. 317.

(٥) Kitchen, Op. Cit., PP. 329 — 330.

(٦) Ibid., PP. 329 — 335.

(٧) Kitchen, Third Intermediate., PP. 128 — 130.

وهناك من ذهب الى أن عاصمة هذه الأسرة ربما كانت « هيرموبولس » (الاشمونيين)

Spencer, J.A., J.E.A., 72, 1986, PP. 198 — 201.

الا أن كتشن أكد رأيه السابق فى أن « لينتوبولس » هى عاصمة الأسرة الثالثة والعشرين .

Kitchen, Op. Cit., PP. 579 — 580.

Gardiner, A.E.O., 2, PP. 147, 171, 186.

(٨) Kitchen, Op. Cit., P. 336.

(٩) Ibid., PP. 337 — 343.

(١٠) B.A.R., IV, §§ 796 — 883.

(١١) Montet, P. Géographie de L'Egypte àncienne, 1, Paris, 1957, PP. 206 — 208.

(١٢) Gardiner, A.E.O., 2, P. 151*

(١٣) Gardiner, A.E.O., 1, PP. 180. 195, 197.

(١٤) Gardiner, Op. Cit., PP. 176 ; 180.
Kitchen, Third Intermediate., PP. 357 — 362.

(١٥) Yoyotte, J., «Notes et documents pour Sercir à L'Histoire de Tanis», Kêmi, 21, 1971, PP. 35 — 52.

(١٦) دار جدل طويل حول أصل هذه الأسرة فيذهب فريق الى انهـا من أصل مصرى ، ويرى فريق آخر أنها من أصـل ليبى ، وفريق ثالث يرى انهـا من اصل محلى ، عن هذه الأراء انظر : محمد ابراهيم بكر : تاريخ السـودان القديم ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص ٩٠ ـ ١٠٠ .

(١٧) نفس المرجع ، ص ١١٣ .

(١٨) نفس المرجع ، ص ١١٢

(١٩) لوح الملك « باى » هو لوح حجرى ضخم (١٫٨٠ × ١٫٨٤ متر) عثر عليـه عـام ١٨٦٢ فى معبد آمون بجبل برتل ونقل الى متحف القـاهرة تحت رقم ٤٨٨٦٢ ، والصقت به أربع قطع صغيرة وجدت مكسرة مع اللوح الذى أمر الملك باقامته فى رحاب معبد آمون فى عـام حكمه الحادى والعشرين تخليدا لعمله التاريخى وفى قمـة اللوح المتوج بقرص الشمس المجنح صـورة الملك « باى » واقفا أمام الاله آمون الجـالس على عرشـه ومن خلف زوجته تقف المعبودة « نيت » ربه السـماء وعلى اللوح وصف مسهب لسير الوقـائع الحربيـة بالاضافة الى معلومات جغرافيـة عن المناطق المصرية التى قام جيش « باى » بفتحها كما يحتوى اللوح على معلومات قيمة عن معتقدات الأسرة وبعض تقليد ملوكها انظر أخيرا :

Grimal, N. «Lo stêle triomphale de Pi (cnkh) y au Musee de Caire (Je 48862 et 47086 — 47089) , Etudes sure la propaqanderovale Egyptienne» 1, M.I.F.A.O.,, 105, Le Caire 1981.

(٢٠) جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٣٦٧ .

(٢١) نفس المرجع ، ص ٣٧٠ .

وان كنا نرى أن هذا الخضـوع كان زائفا على أساس ان مؤلف النص ذكر ذلك لاظهار انتصـار الملك « باى » ويتضح ذلك من نص اللوحة نفسـه

حيث ذكرت أن الخصمين « باى وتف ـ نخت » لم يتلقيا وجها لوجه طيلة هذا الصراع حيث يقول النص على لسان « تف نخت » :

« ... اننى لم أر وجهك من الخجل اننى لا أستطيع أن أقف أمام لهيبك ... كلما أدرت وجهك لمدينة فلا تجد الخادم هناك حتى وصلت أنا الى جزر البحر اننى حقا وجل تعس ... أرسل الى رسلا بسرعة والذى قد يزيل الخوف من قلبى ... » .

انظر B.A.R., IV, § 880, PP. 441 — 442.

(٢٢) جاردنر : المرجع السابق ، ص ٣٧٢ .

عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٢٩٠ .

(٢٣) نفس المرجع : ص ٢٩٠ .

(٢٤) Leclant, Op. Cit., P. 14.

(٢٥) انظر الفصل الثالث ، ص ١٣٦ .

(٢٦) طه باقر : مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة ، ج ١ ، الوجيز فى حضارة وادى الرافدين ، ط ٢ بغداد ١٩٨٦ ، ص ٥٠٦ ـ ٥٠٧ ، ٥١٠ ـ ٥١١ .

ديلابورت : بلاد ما بين النهرين : الحضارتان البابلية والآشورية ، ترجمة محرم كمال ، بدون تاريخ ، ص ٢٤٤ .

عامر سلمان : العلاقات السياسية الخارجية ـ حضارة العراق القديم ، ج ٢ ، بغداد ١٩٨٥ ، ص ١٤٢ .

(٢٧) Roux, G., Ancient Iraq, Pelican Books, London, 1964, P. 278, Oppenheim, L., A.N.E.T., P. 283.

(٢٨) طه باقر : المرجع السابق ، ص ٥١١ .

Roux, Op. Cit., PP. 277 — 278

(٢٩) Aharoni, Land of the Bible, P 327.

(٣٠) Luckenbill, A.R.A.B., 1, P. 277; Oppenheim, A.N.E.T. P. 282.

Roux, Op Cit., P. 279.

(٣١) Kraeling, G., Aram and Israel, N.Y., 1918, P. 116.

Keler, IW., The Bible as History, 13th ed., London, 1967, PP. 241 — 242.

Oesterley and Robinson, A History of Israel, PP. 374 — 375.

الملوك الثـانى ١٦ : ٥ ـ ٨ ، اخبار الأيام الثـانى ٢٨ : ١ ـ ١٧ ، اشـعيا ٧ : ١ .

(٣٢) Noth, The History of Israel, PP. 259 — 260.

(٣٣) Aharoni, Op. Cit., P. 328.

(٣٤) الملوك الثانى ١٥ : ٢٩ .

(٣٥) Oppenheim, Op. Cit., P. 283.

(٣٦) Kenyon, Archaeology in The Holy Land, PP. 282 — 283.

(٣٧) الملوك الثانى ١٥ : ٣٠ ، ١٧ : ١ ـ ٣ .

(٣٨) اشـعيا ٩ : ١ Oesterley and Robinson, Op. Cit., P. 382.

(٣٩) Aharoni, Op. Cit., P. 331.

(٤٠) Noth, Op. Cit., P. 259 — 260; Oppenheim AnN.E.T. P. 283.

(٤١) حزقيال ٤٧ : ١٧ ـ ١٨ .

(٤٢) Oppenheim, Op. Cit., P. 282.

(٤٣) Ibid., P.P. 287 ; 291 ; 294.

(٤٤) Aharoni, Op. Cit., P. 333.

(٤٥) الملوك الثانى ١٧ : ٤ . Roux, Op. Cit., PP. 280 — 281.

(٤٦) Saggs, Op. Cit., PP .110 — 111.

(٤٧) Oppenheim, Op. Cit., P. 285.

(٤٨) Olmstead, A.T., Western Asia in The days of Sargon II, 1909, PP. 45 — 52.

Wright, G.A., «Camaria», B.A., 22, N. 3, 1959, P. 69.

Saggs, Op. Cit., PP. 161 — 162, Kitchen, Op. Cit, PP. 375 — 376.

(٤٩) الملوك الثانى ١٧ : ٤ .

وعن تخمين أصل اسم سيبئه المصرى انظر :

Helen von Zeissl, Aethiopen und Assyren in Aegypten, 1944, PP 18f.

(٥٠) Oppenheim, A.N.E.T., P. 285.

(٥١) فانديبه : مصر ، ص ٥٩٥ .

(٥٢) Oppenheim, Op. Cit., P. 286.

(٥٣) Yoyotte, Kemi, 21, PP. 43 — 44.

(٥٤) Albright, W.F., «Further Light on Synchronisms between Egypt and Asia in the Period 935 — 685 BC.», B.A.S.O.R., 141, 1956 PP. 24 — 25.

Kitchen, Third Intermediate, PP. 375 — 376.

(٥٥) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٥٢٦ ــ ٥٢٧ .

Weidner, A.F.O., 14, PP. 40 — 53.

(٥٦) عن ذكر يمانى على انه أيونى انظر :

Luckenbill, Z.A., 28, 1913, P. 92f.

(٥٧) Oppenheim, A.N.E.T., P. 286.

(٥٨) عن الروايتين المتعارضتين انظر :

Oppenheim, Op Cit., PP. 286 — 287.

Luckenbill, A.R.A.B., 2, PP. 2, PP. 30 ; 62 ; 79 ; 193.

(٥٩) Olmstead, Op. Cit., PP. 77 — 79.

Tadmor, BA., 29, 1966, PP. 94 — 95.

Splainger, C.d.E., 53, PP. 33 — 34.

فانديبه : مصر ، ص ٥٩٦ .

Kitchen, Third Intermediate, P. 380.

(٦٠) جاردنر : مصر الفراعنه ، ص ٣٧٣ ، الملوك الثانى ١٧ : ١ ــ ٥ .

(٦١) Luckenbill, A.R.A.B., 2 § 55.

Oppenhiem, A.N.E.T., P. 295.

(٦٢) Petrie, Ahistory of Egypt, 3, PP 282 — 284.

Hall, The Ancient History of The Near East, PP. 471 — 472.

(٦٣) Petrie, Op. Cit., PP. 282 — 284.

(٦٤) Oppenheim, Op. Cit., P. 285; Kitchen, Op. Cit., PP. 272 — 273.

(٦٥) Borger, R. «Das Ende Agyptischen Feldhern Sib'E = 120», J.N.E.S., 19, 1960, PP. 49 — 53.

(٦٦) Peet, Egypt and The Old Testament, P. 172. Oppenheim, Op. Cit., P. 295.

(٦٧) Kitchen, Op. Cit., P. 373.

(٦٨) Hall Op. Cit., PP. 471 — 472.

(٦٩) جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٣٧٣ .

(٧٠) Yeivin, S., V.T., 2, 1952, PP. 164 — 168.

(٧١) Kitchen, Third Intermediate., P. 373.

(٧٢) Ramadan Sayed, V.T., 17, 1967, PP. 116 — 118.

(٧٣) Kitchen, Op. Cit., P. 373.

Ibid., PP. 374 — 375.

Kitchen, «Egypt and Israel during the First Millennium B.C.» V.T., 40, 1988, P. 108.

(٧٥) الملوك الثاني ١٧ : ٤ .

(٧٦) اشعياء ٣ : ٢ ـ ٤ .

(٧٧) اشعياء ١٩ : ١١ .

(٧٨) عادل مصطفى : دراسة تاريخية وحضارية للأسرة الرابعة والعشرين في مصر الفرعونية ، ص ٢٦٢ ، ٣٣٣ .

(٧٩) انظر فيما بعد ، ص ١٥٧ .

(٨٠) Kitchen Op. Cit., P .324.

(٨١) Ibid., P. 374.

(٨٢) Albright, W.F., «New light from Egypt on the Chronology and History of Israel and Jud ah,» B.A.S.O.R., 130, 1953, PP. 4 — 11.

Goedicke, H., «The End of (So) King of Egypt» B.A.S.O.R., 171, 1963, PP. 64 — 66.

(٨٣) Kitchen, Op. Cit., P. 373.

(٨٤) تعتبر النصوص الآشورية هديا للمصادر التاريخية فى استنتاج بعض أسماء الأماكن والشخصيات

Oppenheim, A.N.E.T., 294.

(٨٥) عادل مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٦٤ .

(٨٦) عادل مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٦٤ .

(٨٧) الملوك الثانى ١٨ : ١٤ .

(٨٨) عادل مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٦٤ .

(٨٩) وهيب كامل : ديودور الصقلى فى مصر ، القاهرة ١٩٤٧ ، فقرة ٤٥ .

(٩٠) Yoyotte, Kemi, 21, P. 41.

(٩١) Gardiner, A.E.O., 2, PP. 18, 197.

(٩٢) وهيب كامل : المرجع السابق ، فقرة ٤٥ سطر ٤ — .
عادل مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٤٨ — ٢٤٩ .

(٩٣) Yoyotte, Op. Cit., P. 42.

(٩٤) Ibid., P. 41 — 42.

(٩٥) نسبة الى مقتنيها ضمن مجموعته ولا يعرف المكان الذى جلبت منه ، وهى غير مؤرخة بأى عام من أعوام « تف — نخت » رغم انه حمل الالقاب الملكية عليها .

انظر : Yoyotte, Op. Cit., PP. 37 — 41.

(٩٦) B.A.R., IV, § 878, n.d.

وكذا : عادل مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٥٠ .

Yoyotte, Op. Cit., P. 4».

(٩٧) Yoyotte, Op. Cit., P. 45.

(٩٨) Saggs, H.W.F., The Greatness That Was Babylon, London, 1962, P. 119.

Olmstead ,A.T., Western Asia in the Regin of Sennacherib of Assyria, 1911, P. 96.

Luckenbill, the Annals of Sennacherib, O.I.P., 1924, P. 11.

(٩٩) الملوك الثـانى ٢٠ : ٢٠ ، أخبـار الأيام الثـانى ٣٠ : ٣٠
Aharoni ,Op. Cit., P. 337. ;

(١٠٠) اشعياء ٢٢ : ٨ — ١١ .

(١٠١) اخبار الأيام الثانى ٣٢ : ٢٨ .

(١٠٢) الملوك الثانى ١٨ : ٨ ، أخبار الأيام الأول ٤ : ٤٢ — ٤٣ .
Aharoni, Op. Cit., P. 337.

(١٠٣) Luckenbill, A.R.A.B., 11, P. 233; Oppenheim, Op. Cit., PP. 287 — 288.

(١٠٤) Oppenheim, Op. Cit., P. 287.
Aharoni, Op. Cit., P. 337.

(١٠٥) Peet, Egypt an dthe old Testament, P. 157.
Kitchen, Op. Cit., P. 383.

(١٠٦) Oppenheim, Op. Cit., P. 288.

(١٠٧) Oppenheim, O. Cit., P. 288.

(١٠٨) الملوك الثانى ١٨ : ١٩ ، اشـعياء ٣٦ : ٣٧ ، اخبـار الأيام الثانى ٣٢ : ٩ — ٢١ .

(١٠٩) الملوك الثانى ١٩ : ٨ .

(١١٠) ميخـا ١ : ١ — ١٥ .
Aharoni, Op. Cit., P. 339.

(١١١) اشـعياء ١٠ : ٢٨ — ٣٢ .

(١١٢) Oppenheim, Op. Cit., PP. 281 — 288.

(١١٣) الملوك الثانى ١٩ : ٨ — ٣٥ ، اشعياء ١٧ : ١٣ .

(١١٤) أن « سيتوس » هذا الذى يصفه « هيرودوت » بأنه كان من كهان بتاح والذى يجعله خليفة الملك شباكا ينبغى أن يكون شبتاكا وليس بمستبعد أن يكون لذكرى « ستى الأول » وحروبـه فى فلسـطين أثر فى هـذا الخـلط .
هيرودوت يتحدث عن مصر ، ص ٢٧٠ .

(١١٥) هيرودوت يتحدث عن مصر : فصل ١٤١ ، ص ٢٧٠ — ٢٧٢ .

(١١٦) Honor, L.L., Sennacheribs Invasion of Palestine, London, 1926.

(١١٧) Peet, Op. Cit., PP. 157 — 177.
Bright, A History of Israel, PP. 283 — 284.
Leclant, J. and Yoyotte, J. « Notes d'historie et de Civilisati ethiopiennes», B.I.F.A.O., 51, 1952, PP. 1 — 39.
Albright, B.A.S.O.R., 130, 1953, PP. 8 — 11.
Noth, Op. Cit., PP. 267 — 268.
Aharoni, P.E.Q., 90, 1958, PP. 27 — 31.
Jonson, P., A History of the Jews, P. 73.

(١١٨) الملوك الثانى ١٨ : ١٤ ، ١٧ .

(١١٩) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٢٩٥ .

(١٢٠) الملوك الثانى ١٩ : ٨ — ٩ .

(١٢١) الملوك الثانى ١٨ — ٢٠ — ٢١ .

(١٢٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٥٢٩ — ٥٣١ .

(١٢٣) Kitchen, Third Intermediate, P. 383.

(١٢٤) الملوك الثانى ١٩ : ٣٥ — ٣٧ .

(١٢٥) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٥٢٣ .
Bright, Op. Cit., P. 287.
Aharoni, Land o fthe Bible, P. 340.

(١٢٦) عن مناقشة وجود حملة أو أكثر للملك سناحريب انظر :
Childs, B.S., Isaiah and the Assyrian Crisis, London, 1967.

(١٢٧) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٢٩٦ — ٢٩٧ .
Peet, Op. Cit., P. 177.
Spalinger, E.d.E. 53, PP. 41 — 43.

الفصـــل الخـــامس

التأثيرات الحضارية المتبادلة بين مصر وفلسطين

مقدمـــة :

١ ــ تبادل عبادة الآلهــة بين مصر وفلسطين •

٢ ــ الفــكر الدينى •

(أ) أنشودة اخناتون والمزمور ١٠٤ •

(ب) الســـحر •

٣ ــ الأدب •

(أ) الشـــعر •

(ب) الحكمـــة •

٤ ــ العمــــارة •

(أ) المعـــابد •

(ب) الأعمـــدة •

٥ ــ الفن ــ النحت والتصوير والفنون الأخرى •

مقدمــــة :

توضح الدراسة الدقيقة لتاريخ منطقة الشرق الأدنى ، ان التفاعل كان مستمرا بين الحضـارات المختلفة التى نشأت وتطورت فيها ، حتى أصبحت تلك المنطقة تشكل نمطا حضـاريا متشابها فى خطوطه وعناصره الرئيسية ، فلا يمكن تناول الحضـارات التى نشأت فى فلســطين بشــكل مستقل عن التأثيرات الأجنبيـة التى أحدثتها الحضـارات المجـاورة الأخرى ، فقد كانت الحضـارات الكاملة لفلســطين طوال فتراتها معرضــة لتأثيرات قوية من مصر والعراق وآسيا الصغرى ، حيث سكن فلسطين قبل الاســتقرار الاسرائيلى ، الكنعانيون الذين اجتازوا مرحلة من النمو والتحضر بلغ أكثر من الف ســنة حينما نزل العبرانيون بالبـلاد ومن بعدهم البلست ، حيث كان هــذا الاقليم واقعـا تحت تأثير الحضـارة المصرية منذ زمن بعيد ، واستمر هذا التأثير والســيادة المصريـة على فلسطين بعد دخول العبرانيين والبلست اليها فترة طويلة من الزمن ، ولم تنته المحـاولات المصرية لاستعادة سيادتها على فلسطين حتى قرب أواخر العصــور الفرعونيـة ويتضح ذلك من حمـلات « سيامون » و « شاشانق الأول » ، أما « نخـاو الثانى » فقد اصبحت فلسطين فى عهده تدار كاقليم مصرى(١) ٠

وســوف يتنـاول هذا الفصــل التأثيرات المتبادلة بين مصر وفلسطين فى المجالات الآتية :

تبادل عبادة الآلهة بين مصر وفلسطين .

الفكر فى الدين والأدب .

الفن فى النحت والنقش والفنون الصغرى .

العمـارة فى المعابد .

١ ـ تبادل عبادة الآلهة بين مصر وفلسطين

أقام فراعنة مصر فى عصر الدولة الحديثة ، امبراطوريـة فى آسيا وصلت حدودها فى وقت ما الى ضفاف الفرات ، وكان من نتائج ذلك أن أخذت ثقافة مصر وأدابها وفنونها وديانتها تنتشر بين تلك الشـعوب أكثر من أى وقت مضى ، كمـا عرفت مصر الشىء الكثير عن ثقافات وفنون وديانات تلك الشعوب ، فرحبت باقامة المعابد لآلهتها فى مصر ليتمكن من عبادتهـا من شـاء من بنيهـا المقيمين فيها ، فقد عثر فى « تل بسطة » على قاعات كبيرة مربعـة الشـكل تقريبا ، أرضيتها مرصـوفة بقوالب من الحجم الكبـير وبانتظام ، تفصلهـا عن بعضها البعض جدران ، وفى داخل بعض هذه القاعات أفران مستديرة تحميها ، وتبعد الدخان جدران ثعبانية الشكل ملتوية غير سميكة من الطين ، وهى فى اتجـاه شرق/غرب وكأنها مصـدات للريح ، وقد اتخذت هذا الشكل لتصمد فى مكانها مدة طويلة ، ومن النظرة المبدئية يمكن أن نقول أن هذه الأفران قد أقيمت فى هـذا المكان أو هذه الطبقـة بعد أن هجرت فى بدايـة الدولة الحديثـة ، وانه ربما كان يماثل ما عثر عليه من معابد كنعانية فى « تل الضبعة » القريبـة من « تل بسطة » والتى ترجع لعهد الهكسوس ، مع التحفظ لحين الانتهاء من الدراسـة الشاملة بعد اتمام عملية الحفر(٢) ورغم عدم التأكد من أن هذه القاعات

كانت معابد أم لا ، فهناك اشــارة للعثور على معابد كنعانيــة من عصر الهكســوس فى « تل الضبعة » وهذا فى حد ذاته يدل على سماح مصر للكنعانيين ببناء معابد لهم فى أرضها .

علاوة على اقامة معــابد فلسطينية فى مصر فقد أدمجت بعض آلهــة فلسطين بالآلهة المصرية التى تشبهها فى طبيعتها ، وعلى ذلك، ارتبطت « عشتارت » (التي عبدها شعب البلست مع الكنعانيين كما عبدها العبرانيون)(٣) بالهة الحرب المصرية « سخمت » قدمت عشتارت الى مصر خلال الأسرة الثامنة عشرة وأصبحت زوجة للاله « ست » وقد صــورها المصريون على هيئة امراة برأس لبؤة يعلوه قرص الشمس (وهى فى هذا تشبه الاله سخمت) وتقف فوق عربة حربتــه يجرها أربعة جياد (وهى عــادة مصرية) ومن القابهــا سيدة السماء وسيدةالخيل والعربات(٤) وعلى ذلك كان أمرا طبيعيا ان نجد الموظفين والتجــار والجنود المصريين فى المدن الفلسطينية يتقربون من هذه الآلهــة بنفس الثقة التى يولونها لالهتهم المحلية « سخمت » ، ففى عهد « أمنحتب الثالث » كرســت سيدة مصرية لوحة للالهة « عشتارت » فى معبد « بيت شان »(٥) .

كما ارتبطت الآلهــة « قادش » و « يحتور » ، حيث تميزتا بالسماحة ، « وقادش » مثل « حتحور » دغيت عين الشمس أو ابنة للاله « رع » وحين تقف على الأســود ، وتمسك فى الوقت نفسه زهورا وأفــاعى فان معنى ذلك انها تعمل للحماية من هذه الحيوانات الشريرة ، كمــا ارتبط الاله « رشف » بالاله المصرى « سوتخ » (ست) و « رشنف » اله محــارب مسلح بحربة ودرع ، ويلبس تاجا لمصر العليــا ، الا أن مظهــره الخــارجي يــدل على أصــله الأجنبي ، فبه تعلق شرائط على النقبــة ، وشريط آخر طويل يتدلى من تاجه الذى يميزه من الأمام قرنان(٦) . وقد عبد الاله

« بعل » فى مصر ، وهو كائن مخيف يقرن بالاله « ســت » وهو اله العواصــف والزوابع ، وهو العنصر المذكر فى مجموعة الهــة الدورة النباتيــة عند الكنعانيين ، وترتبط به فى هذه المجموعــة الهتان من الهــة الخصب هما « عنات » و « عشتارت » وتكتمــل مجموعة الهــة الخصب بالاله الشاب « أدونيس » وهــذا الاسم مشتق من كلمة سامية معناها سيد(٧) ٠

وكما كان فى كنعان أكثر من « بعل » فكذلك عبد فى مصر أكثر من « بعل » من هنا نجد « بعل قادش » و « بعل زيفون » وقــد عبــدت قبــائل « البلســت » هــذا الأخــير مع « داجــون » الكنعــاني(٨) ٠

وارتبط الاله « حورون » بالاله المصرى « حور أم أختى » حيث يذكر نقش اغريقى أن « حورون » هو اله بلدة « يمينا » فى فلســطين ، وتقع الآن غرب بيت المقــدس وقرب منطقــة تســمى « بيت حورون » (الخليل) ويعزز هذا الرأى أنه يوجد فى بلاد العرب وفلسطين عدة أماكن ركبت أسماؤها مع « حورون » مثل « وادى حوران » فى صحراء الشــام ، و « وادى حــوران » فى « نجد » وقد عثر على قطع خزفيــة زرقاء بمتحف « بروكلين » تشيــير الى أن من ألقاب الملك « أمنحتب الثانى » أنه « محبوب حورون » ونفس اللقب وجد على باب الملك « توت عنخ آمون » ، ومن بين اللوحات الكثيرة التى وجــدت فى حفــائر أبو الهول وجد لوحة عليها اسم « حورون » ، ومن نصــوص تلك اللوحات ما يثبت بالدليل القــاطع أن « حورون » اله يســاوى « حور أم أختى » ، وفى « تانيس » كان « رمسيس الثــانى » يســمى « محبــوب حورون » وقد مثل فى تانيس فى صــورة صقر(٩) معنى ذلك أن « حورون » اله فلسطينى عبده المصريون على انه « حور أم أختى » ٠

ومن الآلهة الفلسطينية التي عبدت فى مصر ، الاله « سوبد »، وقد استقر هذا الاله فى شرق الدلتا كمعبود للاقليم العشرين (المقاطعة العربية) أما مركز عبادته الرئيسى فكان فى مدينة « بر ـ سوبد » وهى « صفط الحنة » الحالية شرق مدينة الزقازيق ، ثم انتشرت عبادته فى سيناء والصحراء الشرقية وعلى ساحل البحر الأحمر حتى القصير جنوبا ، وقد اعتبره المصريون من آلهة الحرب وحامي حدود مصر الشرقية ، ومن ثم فقد أطلق عليه لقب « محطم الغزاة وسيد البلاد الأجنبية » ، وقد ارتبط « سوبد » بالاله « حور » وعرف باسم « حور ـ سوبد » وقد صور فى هيئة صقر جاثم تعلو رأسه ريشتان عاليتان ، وكان فى هذه الصورة يمثل الشمس فى شروقها ، وكان يظهر بهذه الصورة كرمز للاقليم ، كما كان يصور فى هيئة رجل له شعر ولحية آسيوية وليست لحية الآلهة المصرية النابتة عند الذقن وحدها ، ويعلو رأسه تاج به نفس الريشتين ، ويبدو مظهره الأجنبى أيضا من مئزره الذى يشده حزام ، غير أن هذا الشكل الآسيوى قد اختفى منذ عصر الأسرة العشرين(١٠) • وقد عثر فى « تل بسطة » على جعران يحمل اسم « سوبد »(١١) •

واذا كانت مصر قد عبدت بعض آلهة فلسطين ، فان بعض الآلهة المصرية عبدت فى فلسطين جنبا الى جنب مع آلهتها المحلية ، ففي « بيت شان » شيد معبد للاله المحلي « مكر » وزوجته وكان يعبد كذلك « رشف » و « عنات » الى جانب « آمون رع » و « حور أم أختى » ، والى الشرق من بحيرة طبرية صخرة منعزلة جاء عنها أن أيوب اعتمد عليها ، وقد مثل عليها « رمسيس الثاني » وهو يمجد الها متبربرا يبدو انه كان يسمي « ••• للشمال ، كما شيد « رمسيس الثالث » معبدا لآمون فى كنعان

« كان بيتا مليئـا بالخفايا والأسرار ، وكان يشبه الأفق السماوى الذى فى السـماء » وكان اسمه « بيت رمسيس فى كنعـان » ، وقد صـنع الملك كذلك تمثـالا كبيرا لآمون يستقر فيه يسـمى « آمون رمسيس تأتى اليه شعوب سـورية بتقدماتها وذلك لانه الهى »(١٢) ٠

٢ ـ الفـكر الدينـى

كان الاعتقاد السائد فى بلاد الشرق الأدنى القديم ، أن الفرد جزء من المجتمع وأن المجتمع مغروس فى الطبيعـة ، والطبيعـة هى تجلى الألوهيـة ، بمعنى أن الدين فى بلاد الشرق الأدنى ، حلولى ، أى أن الآلهـة حالة فى الطبيعـة ولا يفهمها الانسان الا على هـذا النحو ، فربطوا بين تصـوراتهم العقائدية الذهنيـة وبين علامات كثيرة من عالم الواقع المحسـوس ، فرمزوا الى كل قوة عليـا وعلة خفية تخيلوها ، برمز حسى يعبر عن سر من أسرارها ويحمل صفة من صفاتها ، والتمسـوا أغلب رموزهم مما عمر بيئتهم من حيوانات وطيور وأشجار وزواحف(١٣) ٠

أخذت بلاد الشرق الأدنى القديم بتعدد المعبودات ، وآمنوا بالبعث والخـلود ، (اختلفت مصر فى هـذه العقيدة حيث آمنت ببعث الأفراد والآلهـة) وآمنوا بالعـالم الآخر وان عبروا عن هذه المعتقدات بأشكال مختلفـة كل حسب بيئته ، وان كانت الديانة المصرية قد تميزت عن غيرها من ديانات الشرق الأدنى القديم بوفرة نصوصها ، ووضـوح قضاياها وثباتهـا على مبادئهـا ، ثم رقى تطوراتها التى انتقلت فيها من عقائد التعدد الى صـور مختلفـة من أفكار التوحيد ، وهكذا ظلت فكرة الوحدانيـة تراود أذهـان

المفكرين المصريين من حين لآخر ، فبدأت معهم على صورة الايمان بوحدة الخالق ثم انتقلوا بها الى الاعتقاد بوحدة الربوبية ، ثم انتهوا أخيرا الى الايمان بوحدة المعبود(١٤) .

وانطلاقا من هذا ، فقد ظل أهل الفكر فى مصر منذ الدولة القديمة رغم تطلعهم الى معبود مطلق يرجونه للدنيا والآخرة الا انه لم يشعر أحدهم بما يدفعه الى التوحيد الصريح والدعوة الى تغيير عقائد قومه ونبذ تعدد الأرباب ، واستمر المصريون فى اتجاههم نحو وحدة الربوبية أيام الدولة الوسطى واستطاعوا أن يطرقوا معانى جديدة للتعبير عن سعة ملكوت ربهم ومطلق عدالته فأشاروا برعايته لأمور الخلق أجمعين(١٥) .

فى عصر الدولة الحديثة ، ترتب على اتساع أملاك مصر فى غربى آسيا ، ظهور فكرة العالمية حيث أخذ الفكر الدينى المصرى يتجاوب مع هذا الاتساع ، فانتقل من النظرة الاقليمية الضيقة داخل مصر الى النظرة العالمية التى تنظر للاله على أنه رب للعالم المعروف وليس لمصر وحدها وقد سارت هذه الفكرة الى مدى أبعد فى عصر « أمنحوتب الثالث » حيث يظهر فى أنشودته لاله الشمس فكرة عالمية الاله ووصفه بصفات الخالق الأول(١٦) ثم كان الانقلاب الفجائى الذى دفع بحركة التوحيد قدما نحو الأمام وأعلنت الوحدانية سافرة دون تستر أو مواربة على يد الفرعون « أمنحتب الرابع » (أخناتون) الذى اتجه نحو التجريد وهذا أعلى مراحل الفكر الدينى التوحيدى ، فكان ذلك ارهاصا بما جاءت به الديانات السماوية فيما بعد ، وبذلك توفرت لحركة « اخناتون » التوحيدية الأركان الرئيسية فى عقيدة التوحيد وهى :

الوحدانية وابطـال عبادة جميع الأرباب فليس هناك غير رب واحد هو « آتون » •

التجريد وذلك بنبذ فكرة تجسـيد الاله فى شـكل حيـوان أو انســان •

الانكشــاف والظهور أمام البشر وذلك باسـقاط الحجب والأستار بين الاله الواحد وبين عبادة فهو ظاهرواضح أمامهم •

العالمية فهو ليس اله مصر فقط بل اله العالم المعروف فى ذلك الوقت ويمكن لأى انسان أن يتعبد اليه ويناجيه حيثما يسقط للاله شعاع على الأرض(١٧) •

وقد عبرت الأناشـيد التى وجهها « اخناتون » لالهـه عن هذه الصفات جميعا(١٨) •

كانت هذه فى الواقع المعطيات الأساسـية للفكر الدينى فى بلاد الشرق الأدنى القديم ، وان اختلفت كل منها عن الأخرى فى تطبيقه ، ولا يستثنى من هذا المعتقد الا العبريون •

تنفرد الديانة العبرانيـة منذ نشأتها بميزة خاصـة ، فليس من النـادر فى العـالم ، أن يعترف شـعب بأولوية اله من الآلهـة ولكن ليس من شعب يأبى أن يعبد الهـة اخرى فى الوقت نفسه ، وعلى ذلك فان العبرانيين بالرغم من مخالطتهم للشعوب الأجنبية ، يسيرون قدما فى تحديد عقيـدتهمالدينيبة الخاصـة ، فعبدوا الها واحدا ، لم يكن الاله الوحيد فى العـالم بل واحدا من أولئك الآلهة القبلية الذين كانوا يعبدون فى عهد البداوة ، وهـذا الاله نفسـه يتحول ويتطور حتى آمن العبريون بوجود اله واحد(١٩) فأصبح المعتقد الغالب على الفـكر العبرى هى فوقيـة الله المطلقـة ليس « يهوه » فى الطبيعـة ولا الأرض ولا الشـمس ولا السماء بالهية ،

وليست حتى أشد ظواهر الطبيعة بطشا الا انعكاسات لعظمة الله ، فاله العبرانيين كينونة بحت لا تحدد ولا توصف ، وهو مقدس اى انه نوع فذ بذاته ، وهذا يعنى أن كل القيم فى النهاية هى من صفات الله وحده ، وهذا هو السبب فى تضاؤل قيم الظواهر المحسوسة جميعا(٢٠) وتمثل صورة الاله هذه درجة عليا من التجريد ، من هنا يتضح تأثير ديانة اخناتون على الديانة العبرية ، فاخناتون أول من أعلن « دعوة التوحيد » وذلك حين نادى بأن « آتون » اله واحد لا شريك له ، ويرى بعض الباحثين أن دعوة « اخناتون » الى التوحيد لم تقتصر آثارها على الديانة المصرية ، وانما تعدتها الى ديانات أخرى ، ومن ثم فليس من الصعب القول بأن صلوات الحيثيين الموجهة الى الشمس انما هى صدى الأناشيد الملك المصرى ، حيث أن الأدب الكنعانى قد عرف هذه الأناشيد ، فانتقلت الى الحيثيين عن طريقهم(٢١) وان كان هذا يدل على تأثر الكنعانيين بالفكر المصرى ، بل ونقله الى الأمم المجاورة ، فمن باب أولى أن ينتقل هذا الفكر الى العبريين الذين ورثوا الأدب والثقافة الكنعانية .

يرى « فرويد » أن الآتونية كانت ذات أثر غير محدود على ديانة العبرانيين ، واعتمد فى ذلك على عدة أمور منها ان « موسى » كان مصريا تربى فى بلاط فرعون ، وربما كان من البيت الملكى نفسه ، كما ان اسمه مصرى الأصل ربما كان « رع - موسى » (رمسيس) أو « تحوت - موسى » (تحتمس) وانه كان من كبار أعوان « اخناتون » ومن المتحمسين للديانة الآتونية ، وربما كان حاكما على اقليم « جوشن » فى شرق الدلتا حيث عاش بنو اسرائيل، وعندما توفى « اخناتون » وانقلب المصريون ضد ديانته ، بشر « موسى » بنى اسرائيل بهذه الديانة وقادهم الى خارج مصر خوفا من اضطهاد المصريين ، وغير اسمه بأن أسقط منه اسم الاله

المصرى الذى يرمز للوثنيـة « رع أو تحوت » فصـــار اســمه « موسى » فقط ، ولتعزيز وجهــة النظر هذه أخذ « فرويد » يقارن بين العقيدة الآتونيــة وبين الديانة العبرية المبكرة ، وأبرز أوجـه التشابه بين الديانتين ، فكل منهمـا وحدانيــة مطلقــة ، وهمـا تنكران تجسد الاله ، ولا تذكران شيئا عن الحيــاة بعد الموت ، بالاضافــة الى ذلك فقد ظهر فى الأناشــيد اليهودية اســم شبيه باسم « آتون » هو « ادوناى » وكان اليهود يطلقونه على « يهوه » كما ذكر « فرويد » أن فرض « موسى » لعادة الختــان على بنى اسرائيل تؤكد مصريتــه ، حيث أن هذه العادة مصريــة ولم تكن معروفة عند الشعوب القديمة الأخرى(٢٢) •

واذا كان الباحث يشك فى ربط وحدانيــة « موسى » بعبادة « آتون » ذلك الربط الذى يصــل عند بعض الباحثين الى ان الأولى منقولة عن الثانيــة ، فمما لاشــك فيه ، وجود صلة بين الديانتين حتى وان كانت هذه الصلة غير مباشرة ، فمن المحتمل جدا ان دعوة « اخناتون » الى التوحيد كانت ارهاصــا وتمهيدا لدعوة « موسى » بين قوم ألفوا التعدد ، فلو جاء « موسى » بدعوته مباشرة دون سابقة تمهد لها ما قبلها أحد •

ويخبرنا القرآن الكريم(٢٣) أن أول من دعــاه « موسى » لعبادة الاله الواحد ، هو الفرعون نفســه ، وليس من المستبعد أن يكون من المصريين من آمن بهذه الرســالة ، وهؤلاء لابد ان يكونوا قد سمعوا بدعوة « اخناتون » ان لم يكونوا قد عاصروها •

ويرى « برستد » ان دعوة « اخناتون » ربما كانت من العوامل التى أدت تدريجيــا الى اعتراف العبرانيين بالوحدانيــة حيث أن « اخناتون » اكتسب نظرته الواســعة التى تنعكس فى انشــودته

من كونه ملكا على أمة ذات سيادة عالمية فأراد أن يقدم للبشرية دينا يعتنقه كل الناس فى كل البلاد(٢٤) والواقع أن أنشودة لها نظرة شاملة كهذه تتردد فى أنفاسها الوحدانية الالهية المطلقة ، وتنتشر فى آسيا الغربية قبل ظهور الأدب العبرانى الذى جاء به الأنبياء العبرانيون بعد ذلك بعدة قرون ، لا يستغرب أن يكون لها بعض التأثير فى تكوين النظرة العالمية التى فرضت فيما بعد على الأنبياء العبرانيين بسبب حرج الموقف الذى وجد فيه شعبهم حيث قد صاروا ألعوبة فى يد الممالك العظيمة وقتئذ ، الى أن غيروا نظرتهم للاله « يهوه » الذى كان يوما ما معبودهم المحلى ، فصار فى نظرهم الها مسيطرا على كل الأمم ، يدير حركات جميع ملوك الأرض ، ويستطيع السيطرة على كل مقاصدهم العدائية ، وتحويلها لخير بنى اسرائيل ، ثم لخير جميع العالم فى النهاية(٢٥) .
بالاضافة الى ذلك فقد حدث تغير فى طبيعة « يهوه » ذاته ، فبعد أن كان يجد لذة وحشية فى تقتيل الكنعانيين ، يتحول تدريجيا فى نظر العبرانيين ، الى أن صار اله عدالة ، وبالتالى يجب أن يتصف عباده بالعدالة فى أخلاقهم ، ومع أن هذا التحول الذى نبت فى الأذهان ، كان نتيجة لتجارب العبرانيين الاجتماعية فان التفكير الدينى عند هؤلاء القوم الذين استقروا فى فلسطين ، اعتمد جوهره فى هذه الحالة ، على الاستقاء من تراث الماضى كما وجدوه عند الجماعات الكنعانية التى اندمجوا فيها تدريجيا ، وكان هذا التراث مفعما بالأفكار المصرية القديمة ، التى تتناول صفات اله الشمس وتعده حاكما عادلا بين الناس(٢٦) لذلك نجد نبيا من العبرانيين يقول لقومه « ولكم أيها المتقون اسمى ، تشرق شمس البر والشفاء فى اجنحتها فتخرجون وتنشأون كعجول الصيرة »(٢٧) .

والمعروف أن الآلهة « ماعت » كانت ربة العدالة عند المصريين الذين كانوا يعتقدون انها ابنة اله الشمس ، وبما أن شمس العدالة العبرانية هنا وصفت بأن لها أجنحة ، فلا يمكن أن يكون المراد بذلك شيئا سوى الاشارة الى الشمس ذات الأجنحة ، لانه لم يكن يوجد بين جميع التصورات العبرانية القديمة للاله « يهوه » اى صورة تصوره بأجنحة(٢٨) ٠ وقد وجد فى انقاض معبد الرب مسلة من البازلت مصور عليها قرص الشمس وعثر بجوارها على قطعة أخرى من البازلت أيضا عليها ختم يدل على وجود اله الشمس(٢٩) ٠

كما دلت الحفائر الحديثة فى « السامرة » على أن هذه التصورات المصرية لالة الشمس العادل كانت شائعة الانتشار فى الحياة الفلسطينية(٣٠) وعلى ذلك فان تصور اله الشمس المصرى على انه ملك عادل يعد من العوامل التى ساهمت فى تحويل « يهوه » اله اسرائيل الى اله عادل بين الناس ٠

(أ) انشودة اخناتون والمزمور ١٠٤ :

يرى بعض الباحثين أن هناك تشابها بين أنشودة « اخناتون » والمزمور العبرى رقم ١٠٤ ، حيث وجدوا أن الطريقة التى وجهت بها الكلمات للاله آتون ، مشابهة للطريقة التى وجهت بها الكلمات لاله اسرائيل ، بمعنى أن كاتب المزمور ، اختار أفكاره من أنشودة ، « اخناتون » ولجأ بها الى الاله « يهوه »(٣١) ٠

كان « برستد » أول من أشار الى المطابقة بين نشيد « اخناتون » والمزمور ١٠٤ ، ثم قام بعقد مقارنة بين النصين المصرى والعبرى ، استخلص منها وجود تشابه بينهما ، ولايمكن أن يكون

نتيجة توارد الخواطر بحـال من الأحوال ، وانما المرجح أن العبرانيين كانوا على علم بأنشودة « اخناتون » التى وضعها لاله الشـمس والمحتمل جدا ، أن يكون الأصـل المصرى لأنشودة « اخناتون » قد انتشر فى فلسطين قبل ظهور المزامير بزمن طويل(٣٢) حيث أنه من المعروف بداهـة أن أعـداء الفرعون الحانقين عليـه ما كانوا يتركون أنشودته تنتشر فى مصر ثلاثة قرون أو أكثر قليلا (اى الى ما بعد عـام ١٠٠٠ ق٠م وهو الوقت الذى بدأ فيه العبرانيون يبدون اهتمامهم بأنشودة آتون هـذه) ومن ثم فيجب التسليم بأن تلك الأنشودة قد انتقلت الى فلسطين فى عهد « اخناتون » نفسه(٣٣) وانها افلتت من الدمار المحقق على يد أعدائه فى مصر ، وكان أمرا طبيعيا أن يحدث فى أنشودة « اخناتون » تغير عظيم بعد أن ترجمت الى بعض اللهجـات السامية ، كاللغات الفينيقيـة أو الأراميـة أو العبرية على الأرجح(٣٤) • وبفحص الفقرات المشابهة لأنشودة « اخناتون » فى المزمور ١٠٤ ، يتضح لنا مدى الشبة بين الصورتين ، ليس فقط من حيث مضمون أنشودة « اخناتون » ولكن أيضـا فى تتابع الأفكار وترتيبها الظاهرى ، الذى بقى فى الرواية الآسيوية العبرية ، كما كان فى أنشودة « اخناتون » •

أنشـودة اخنـاتون	المزمـور ١٠٤
١ ـ حين تغـرب فى الأفـق الغربى تمس الأرض فى ظلام كالموت ، فينـامون فى غـرف النـوم ، والـرؤوس مغطـاه ، ولا ترى أعين أصحابها •	(١٩ ـ ٢٠) الشمس تعرف مغربها تجعل ظلمة فيه يدب كل حيوان الوعر •

١ ـ الأسـود تخـرج مـن أوجارهـا ، والثعـابين تنساب لتلدغ .

(٢١) الأشبال تزمجر لتخطف ولتلتمس من الله طعامها .

٢ ـ الأرض زاهيـة حينمـا تشرق فى الأفـق وتضىء فى النهار مثل آتون ، أنت تقصى الظلمـة الى بعيـد ، وعندما ترسـل أشـعتك ، فان الأرضين (مصر) تصبحـان فى عيد ، يستيقظ النـاس ويقفون على أقـدامهم ، عنـد ايقـاظك اياهم ، ينظفـون أجسـامهم ويلبسـون ثيـابهم ويرفعـون أكفهم تعبـدا لطلعتـك البهيـة ، ثم ينتشـرون فى الأرض يباشر كل منهم عمله .

(٢٢ ـ ٢٣) تشرق الشمس فتجتمع وفى مآويهـا تربض ، الانسان يخرج إلى عمله والى شغله الى المساء .

٤ ـ السـفن تجرى شـمالا وجنوبا ، وتعج الطـرق بالنـاس ، الاسـماك فى

(٢٥ ـ ٢٦) هذا البحر الكبير الواسـع الأطراف هناك ذبابات بلا عدد ، صغـار حيـوان مع

النهـر تقفز أمامـك ،
وأشعتك تنفذ الى أعماق
الأخضر العظيم .

٥ ـ ما أكثر أعمالك ، انهـا
على الناس خافية انت
الاله الواحد الذى ليس
معه سـواه ، وليس له
من نظير ، خلقت الدنيـا
حسب رغبتـك ، وكنت
وحيـدا ، خلقـت البشر
والأنعـام وكل ما يسعى
على الأرض بقدم ويحلق
فى الفضاء بجناح ، خلقت
بلاد خـور (سـوريا)
وكوش ومصر ، ووجهت
فيها كل فرد الى موطنه،
ودبرت للجميع شئونهم،
فأصبح لكل فرد رزقـه
وتعين لكل فرد أجـله ،
وظلت الألسنة بينهم فى
النطق متباينة ، والهيئات
والوان متمايزة(٣٥) .

كبار ، هناك تجرى السفن ،
لوياثان هـذا خلقتـه ليلعب
فيـه .

(٢٤) ما أعظم أعمالك يارب ،
كلهـا بحكمـة صنعت ، مـلأت
الأرض من غناك .

تدعى أن تلك التشابهات ، لايمكن أن تكون من قبيل المصادفة بل انها دليل على وجود جزء كبير من الأنشودة الدينية المصرية القديمة منشورا بشكل معدل فى المزامير العبرانية ، وهكذا يظهر بوضوح ان أنشودة « اخناتون » لربه « آتون » كانت المنهل الذى استقي منه مؤلف المزمور العبرانى ، ومصدر ادراكه لرحمة الله فى عون مخلوقاته حتى أصغرها ، بمعنى آخر أن موقف العبرانيين من جهة الطبيعة بصفتها عالم الكون ، وتصورهم لعناية الخالق الرؤوف بخلقه انما يرجع أصله الى أنشودة اخناتون وما يشابهها من الأناشيد الدينية فى مصر القديمة .

ورغم أن كثيرا من الباحثين يعضدون هذا الاتجاه (تأثير نشيد اخناتون فى أفكار العبريين الدينية) ومنهم « ديجال »(٣٦) و « هول » (٣٧) و « فرانسوا دوماس »(٣٨) و « جان يويوت »(٣٩) . و « الكسندر شارف »(٤٠) الا أنه يوجد رأى مخالف يشكك فى ذلك على أساس أن آراء « اخناتون » لم تكن جديدة على الديانة المصرية ، بل أن تعبيراته من وحدانية الهية كانت معروفة قبله واستمرت قرونا طويلة بعده(٤١) ويذهب « جون ويلسون » وهو واحد من أصحاب هذا الاتجاه الى أنه لو افترضنا انه كان يوجد فى مصر جنود أرقاء من العبرانيين أيام العمارنة ، فلم يكن من بين هؤلاء من تسمح له حالته بأن يتعلم من مصر اناقتها فى التفكير ، أو ما وصلت اليه فى الدين والفلسفة ، اذ أن هذه الفرصة لايمكن أن تتوفر لجميع الأرقاء الذين يعملون فى أحد المشروعات الحكومية لكى يتناقشوا مع الكهنة أو الكتبة ، فأرواحهم البسيطة المعتادة على الحياة فى الصحراء كانت تنظر بوجل الى بعض مساوىء المدنية ، وتشتاق الى الهرب من تلك العبودية القاسية ، ومن كانوا فى مثل هذه الحالة لا نتوقع منهم أن يعجبوا بمدينة أرض العبودية(٤٢) .

والحقيقة يمكن القول بأن وجهة النظر هذه لاتقوم على أسانيد تاريخية ثابتة ، وبالتالى لايمكن أن تثبت أمام النقد ، فعلاوة على أنها تحمل بين ثناياها ما يجيب عنها الا انه يمكن القول بأن ديانة « اخناتون » كانت بسيطة فى كل شيء ، فى العقيدة والشعائر وليس فيها شيء من تعقيدات كهانة « آمون » وغيرهم من رجال الكهنوت المصرى ، فكان من السهل على العبرانيين أن يعرفوا هذه الديانة البسيطة ، خاصة أن « ويلسون » نفسه يقول انهم كانوا يعملون فى المشروعات الحكومية ، وبما أن رأس الحكومة (وهو الفرعون) هو الداعية فكان من الميسور لهم معرفة هذا الدين حيث انه يدعو للوحدانية والمساواة ، وكون العبرانيين مستضعفين فى مصر كما يرى « ويلسون » فان ذلك يكون دافعا لاعتناق هذا الدين وليس سببا للبعد عنه ، وتاريخ النبوات شاهد على أن المستضعفين فى كل أمة انما هم فى أغلب الأحيان أول من يؤمن بأصحاب الديانات، ثم أن العبرانيين بعد اقامتهم فى مصر فترة طويلة من الزمن (حوالى أربعة قرون أو أكثر) لم يعودوا بدوا ، بل أصبحوا أشبه بالمصريين ، يعيشون حياتهم ويعبدون بعض الهتهم ، علاوة على كل ما تقدم ، فتشير الأحداث التاريخية الي أن العبرانيين قد تعلموا كثيرا من أفكار المصريين الدينية ، وقصة الخروج من مصر وما حدث بعدها في سيناء ، يفهم منه بوضوح ، أن القوم ودوا لو أنهم يعودون الى مصر ، ويعيدون مراسيمها الدينية ، ويشير القرآن الكريم(٤٣) والعهد القديم(٤٤) الى قصة العجل الذهبى الذى عبده بنو اسرائيل فى سيناء ، فعبادة العجل عميقة الجذور فى مصر ، اذ ترجع الى ما قبل عصر موسي بكثير ثم استمرت حتى ظهور المسيحية ، وليس من شك فى أن بنى اسرائيل باتخاذهم العجل ، انما كان لما اعتادوه

فى مصر من الهـــة(٤٥) • وهكذا يبدو واضـــحا مدى تأثير الديانة المصرية فى بنى اسرائيل ، تلك الديانة التى تمكنت من نفوســهم ابان اقامتهم الطويلة فى مصر •

(ب) الســـــحر :

كان الدين هو القوة المسيطرة على مشـاعر شعوب العــالم القديم ، حيث كان الفرد فى بادىء الأمر يتضرع لربه ليدرأ عنه الشر أو يجزيه الخير ، ولكنــه فى الوقت نفســه يريد أن يحتــال على قضاء حوائجه المستعصية بطرق أكثر قوة وأشــد فاعلية ، وبذلك اختلط عليه الأمر منذ البداية ، حيث أدرك الانســان أنه محوط بقوى خفيــة خارجة عن نطـاق فهمه ، ولم يكن فى استطاعتــه أن يقاومها بما لديه من وســائل ، فحاول أن يستميلها بالتضرع تارة وبالفن تارة أخرى ، فكان الدين والسحر هما وليدا هذا المجهود الانسانى المزدوج ، ولمــا كانا وليدى ضرورة واحدة بعينهــا أصبح من الطبيعى أن يتقــاتلا فى نقاط عدة فهما يستعملان فى غرض واحد ، حيث أن الانســان فى حالة بؤســه يلجــأ غالبــا الى ربه رغبــة أو رهبة ، فاذا عجز عن نيل مراده لجــأ الى السحر الذى يسيطر حتى على الآلهة(٤٦) وعلى ذلك فالدين والسحر قد ظهرا فى وقت واحد ومن العبث القول أيهما وليد الآخر •

وقد جاءت اشــارات عرضية عند العبريين عن قوة الســحرة المصريين ، فقــد افتخر القــديس « ســتيفن » بأن المشرع الأول « موسى » كان قديرا فى كل كلماتــه وبراهينه ، وهنــاك العديد من الأدلة التى تثبت انه كان على علم ومارس السحر المصرى ، فجملة « انه كان عظيمــا فى سحره » ربما تعنى انه كان مثل الآلهة « ايزه » (ايزيس) التى كان من القابها « العظيمــة فى أعمــال السحر » وقد اكتسبت هــذا اللقب من التجائها الى السحر للعثور على جثة

زوجها الشهيد ، واعادة الحياة اليه ، فضلا عن الدفاع عن ابنها والاصرار على توليته عرش مصر كوريث لأبيه « أوزير »(٤٧) كما أن ما قام به « موسى » من أعمال مثل جعل العصا « حية » وارجاعها الى حالتها الأولى من الأعمال التى عرفت فى الشرق الأدنى القديم من أقدم العصور ، ولكن ما قام به يدل على انه كان أبرع من المصريين أنفسهم فى السحر المصرى ، ولكن الاختلاف الجوهرى بينهم هو أن سحر « موسى » كان من عمل اله العبريين ، بينما اعتمد المصريون على الهة مصر فى سحرهم(٤٨) .

ويخبرنا العهد القديم أن « موسى » مد يده الى مياه البحر فجعل الرب هذه المياه تتراجع بواسطة رياح قوية استمرت طوال الليل حتى أصبح البحر يابسا ، وانفلق البحر ، واصبحت المياه بمثابة أسوار على اليمين واليسار فعبر بنو اسرائيل ، وشرع المصريون فى اقتفاء أثرهم وما أن وصلوا الى منتصف البحر حتى أمر الرب « موسى » أن يمد يده الى الماء ، فرجع البحر بقوة وعادت المياه الى حالتها الأولى وابتلعت الجيش المصرى كاملا(٤٩) .

الا أن أمر تجميد المياه كان قد عرفه المصريون قبل « موسى » بزمن طويل ويتضح ذلك من قصة محفوظة فى بردية « وستكار »(٥٠) وقد كتبت هذه البردية فى بداية عهد الأسرة الثامنة عشرة وان نسبت احداثها الى عهد الملك « خوفو » وفيها برهان على قوة سحر الكاهن « جاجا ـ ام ـ عنخ » الذى جعل نصف ماء البحيرة يعلو فوق النصف الآخر حتى يستخرج الحلية التى سقطت من قائدة المجدفات فى قارب الملك « سنفرو »(٥١) .

بالاضافة الى ذلك ، فقد كان كهنة العبريين يحملون عصيا سحرية ، لاشك انها كانت فى صورة ثعبان تسكن فيها قوة

« يهوه » ، كما كانوا ينصبون ثعبانا من النحـاس البراق ليشفوا به الناس ، وكان هذا الثعبـان بطبيعة الحـال أحد تلك الثعابين العديدة المقدسـة في مصر ، وقد بقيت صـورة ذلك الاله المصري القديم عند العبريين ، الى ما بعد استيطانهم فلسطين بزمن طويل ، واستمروا في اطـلاق البخور له مدة خمسة قرون بعد عهد « موسى » ، ولم يبعد من البيت المقدس الا في حكم « حزقيال » في أواخر القرن الثامن ق٠م(٥٢) ٠

٣ الأدب

كما أوضحنا في الصفحـات السابقة تأثير مصر الديني على فلسطين ، فسـوف نوضح هنا تأثيرها الأدبي على تلك المنطقـة ، والمعروف أن حضـارة فلسطين كانت تقريبـا في كل العصور خليطا مكونا من عناصر مصرية وعراقيـة وعنـاصر من مصـادر ثانويـة اخرى ، وهذا صحيح أيضا عن الأدب ، ويظهر بوضـوح في مجـالى الشعر وأدب الحكمة ٠

(أ) الشـعر :

سبقت الاشـارة الى أن تأثير مصر الأدبي على فلسطين كان كبيرا ، ففي مجـال الشعر نقل سـكان فلسـطين (الكنعـانيون ـ والعبرانيون والفلسطينيون) في شـعرهم كل خصـائص الشـعر المصري ، حيث كانت القصـائد مقسمة الى فقرات وأبيات ، والتى لم تكن بالضرورة ذات أطوال متساوية في عدد السـطور ، ولكنهـا تبين بوضوح انها مقسمة الى أقسام ، كما أن استخدام التمـاثل كان مظهرا آخر من مظـاهر التأثير المصري ، فتأخذ الفكرة الواحدة تعبيرا مزدوجا ، بمعنى أن السطر الشعري يتكون من جملتين قصيرتين

توجـد فى كل منهمـا نفس الفـكر ولكن بصيغـة مختلفـة عن الأخرى(٥٣) بمعنى آخر أن هذا الشعر لا يتألف من أبيـات بالمعنى الصحيح ، بل يشتمل على ايقاع خاص ناشىء عما يسـمى موازنـة الأجـزاء(٥٤) •

ويتمثل التشابه بين الشعر المصرى والفلسطينى أيضـا فى أن السـطور الشـعرية انما تحتوى على عدد محدد ومنتظم من الوزن الموسيقى ، وأيضـا تكرار التلاعب بالألفاظ ، وورود ألفاظ كثيرة متشابهة التطور قريبـة من بعضها البعض (الجناس والطبـاق) وقد كان الشعراء المصريون مغرمين بتجنيس حروف بداية الكلمات المتتابعة(٥٥) كما كانوا مغرمين بالتقديم والتأخير فى البيت الشـعرى وكانت الاستعارة كثيرة الاستعمال أيضا •

انطلاقا من هذا كله ، فعندما نجد أن كل هذه الصـور قد وجدت فى الشعر الفلسطينى (الكنعاني العبرى) فمن الصعب أن نقاوم الاستنتاج الذى يرى أن فلسطين قد اعتمدت على النمـاذج المصرية بدرجة ما فى التركيب البنائى لأدبهم الشعرى(٥٦) •

ولتوضيح ما سبق ، نقارن ما جاء على لوح من ملحمة « بعل »، (والتى تصف المعـركة بين اله العاصـفة ووحش البحر يام وهى ملحمة كنعانية) وما جاء فى المزمور ٩٢ : ٩ :

هوذا ، أعداؤك يا بعـل •

هوذا ، أعداؤك يبيدون •

هوذا ، انت تقضى على أعدائك •

وفى المزمور ٩٢ : ٩ تتكرر هذه الفقرة مع تغيير بسيط كالآتى :

هوذا ، أعداؤك يارب •

هوذا : أعداؤك يبدون •

كل فاعلى الاثم يتبددون(٥٧) •

وهناك قصيدة مصرية تقول :

وقد تحدث أصـــدقاء الملك •

واستجابوا فى الحال لربهم(٥٨) •

وان كان هنــاك اختــلاف فى أساليب الصياغة الشـــعرية ، الا أن التكرار الايقاعى شـــائع لدى الجميع ، فكل سطر فيه ثلاث درجات موسيقية منظومة ، كما أن هنـــاك تكرارا للفكرة ، بمعنى أن الفكرة فى الســـطر الأول لها ما يطابقها فى السطر الثانى(٥١) •

أما عن التقديم والتأخير فلنأخذ مثالا من المزامير « من الجبال تأتى المساعدة » فكلمـــة المساعدة تأتى فى الســـطر التالى الذى يقول « ان المساعدة تأتى من الرب » وانه هو الذى يعتنى(٦٠) •

أما الاستعارة ، فخير مثال عليهـــا ما يقال عن الاله « خنوم » انه هو الذى شـــيد دولاب الفخار ، وانه مقدم الجســـد ، ولنقـــارن ذلك بما جاء فى العهد القديم حيث قال عن « يهوه » : « اننا نحن الخزف ، وانه هو الخزاف ، واننا جميعـــا من صنع يديه هو الآن يارب انت أبونا • نحن الطين وأنت جابلنا وكلنا عمل يديك »(٦١) •

(ب) الحكمـــة :

هناك مجال آخر يوضـــح أثر الفكر المصرى على فلســـطين ، وهو أدب الحكمـــة ، فالحكم عبارة عن أقوال مختصرة توضح قوانين

السلوك ونتائجه ، ولها تأثير مباشر على النفس الانسانيــة ، ولكل شعب مجموعة من الحــكم والأمثــال تظهر خصائصــه وعواطفـه وهزلياته ، وتعبر عن نصــائح وارشادات يتوارثها جيل عن جيل . فتوضح العادات والتقاليد التي كانت متبعــة في المجتمع القديم(٦٢) والتشابه في أعمــال الحكماء كان في كل زمان ومكان ــ وهذا يشير ببساطة الى انتشار العدالة ــ وتدل هذه التشابهات المختلفــة على أن أدب الأمثال والحكمــة في الشرق القــديم قد تخطى حــدوده الوطنية ، وأصبح شائعا بين الأمم كما في بلاد النهرين ومصر ، وقد رحبت به الشعوب التي استقرت في فلسطين وســورية ، ويتضــح من سفر الملوك الأول في العهد القديم ، أن أمثال « سليمان » تمت في جو عالمي « وفاقت حكمــة سليمان حكمة جميع بني المشرق ، وكل حكمة مصر ، وكان أحكم من جميع الناس ، من ايثان الازراحي وهيمان وكلكول ودردع بني ما حول ، وكان صيته في جميع الأمم حواليه »(٦٣) . فأســماء هؤلاء الأشخاص التي لا تنتمي لأصــل عبراني تدل على أن كل أولئك الحكمــاء كانوا أجانب ، ومن أدب الحكمــة في مصر وصــل الينا نمــاذج وأمثلة شائقة مثل تعــاليم « تتاح ــ حتب » و « أمنموبي» (التي تعتبر نسخة من الشــكل الأقدم للتعاليم الموجهة الى « مري ــ كارع ») وتعاليم « اني » وهذه الحكم ذات أهمية كبيرة من وجهة النظر الحالية(٦٤) .

واذا لم يكن من السهل أن يستدل الباحث على انتقال الأفكار من جهة الى أخرى فان البحوث الحديثــة مكنتنا من اثبــات الحقيقة الجوهرية في هــذا الشأن ، وهي أن الشــعوب التي اســتقرت في فلسطين أطلعت على الأدب الخلقي والديني عند الأمم الأخرى ونقلت

ما عثرت عليـه من أفكارهم ، بل انها كانت تنقل ــ هذه الأفكار والآراء بنفس التعابير التى صيغت بها تلك الأصـول الأجنبيـة ، وأبرز الأمثلة على ذلك ما جاء فى تعاليم الحكيم المصرى « أمنمؤبى » وسفر الأمثال العبرانى ، فكتـاب الأمثال هذا عبارة عن مؤلفة جمعت من مجموعات متفرقة منها ثلاثة نسبت الى « سليمان » واثنتـان تنسبان الى مؤلفين آخرين مجهولى الاسم احدهما امرأة ، والى جانب هذه المجموعات الخمس ، توجد مجموعة سادسة حيث ورد فى صلب الاصحاح الرابع والعشرين ما يكشف عن عنوان جديد بهذا النص « هذه أيضـا كلمات الحكماء »(٦٥) كما نجد فى الاصحاح الثـانى والعشرين ما هو بالتأكيد بداية جزء لم يكن هنـاك عنوان له يسمى كلمات الحكماء(٦٦) تماما مثل ما وجد فى الأصحاح الرابع والعشرين، فمن هم هؤلاء الحكماء ؟(٦٧) وقد ظل هذا السـؤال دون اجابة ، الى أن طبعت ورقة بردية ظلت مدة طويلة فى المتحف البريطـانى ، فكشفت عن أن مؤلف هـذا الجزء هو « أمنمؤبى » الحكيم المصرى ، ويقطع بذلك جميع العلمـاء الذين يعتد برأيهم وأبحـاثهم فى الكتاب المقدس ، حيث اتضح أن النسخة العبرية هى تقريبـا ترجمـة حرفية عن الأصل المصرى(٦٨) وان كان هنـاك رأى آخر يرى أن برديـة « أمنمؤبى » هى التى نقلت عن سـفر الأمثـال(٦٩) ولكن هـذا الاعتراض لا يغير من حقيقة الأمر شيئا ، اذ أن غالبيـة الآراء تجمع على أن جزء من سفر الأمثال (من الاصحاح ٢٢ : ١٧ حتى الاصحاح ٢٤ : ٢٢) منقول نقلا يكاد يكون حرفيـا من بردية « أمنمؤبى » كما أن أجزاء كثيرة من حكم هذا الحكيم قد اقتبسها العبرانيون فى مواضع كثيرة من العهد القديم فى غير سفر الأمثال(١٠) مثال ذلك ما جاء فى سفر « ارميـا » :

ارميا ١٧ : ٥ ـ ٨	امنمؤبى ٦ : ١ ـ ١٢
ملعون ذلك الرجل الذى يتكل على الانسان ويجعل البشر زراعه ، وعن الرب يحيد قلبه ، ويكون مثل العرعر فى البادية ، ولا يرى اذا جاء الخير، بل يسكن الحرة فى البرية ، أرضا سبخة وغير مسكونة .	والرجل الأحمق الذى يخدم فى المعبد ، مثله كمثل شجرة نامية فى غابة ، ففى لحظة يفقد فروعه ويجد نهايته فى (مرفأ الخشب) وينقل بعيدا عن مكانه ، والنار مأواه .
مبارك ذلك الرجل الذى يتكل على الرب وكان الرب متكله ، فانه يكون كشجرة مغروسة على مياهو على نهر تمد أصولها ، ولا نرى اذا جاء الحدة ويكون ورقها أخضر ، فى سنة القحط لا تخاف ولا تكف عن الأثمار .	والرجل الحازم حقا ينتقى لنفسه مكانا . فانه مثل شجرة نامية فى حديقة يزدهر ويتضاعف ثمره ويجلس ، حضرة سيده ، وثمرته حلوة وظله وارف ، ويجد آخرته فى الحديقة(٧١) .

وحينما نتأمل الصورة التى رسمها « أمنمؤبى » للشجرتين يتبادر الى الذهن ما جاء فى المزمور الأول « طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار ، وفى طريق الخطاة لم يقف ، وفى مجلس المستهزئين لم يجلس ، لكن فى ناموس الرب مسرته ، وفى ناموسه يلهج نهارا وليلا ، فيكون كشجرة مغروسة عند مجارى المياه التى تعطى ثمرها فى أوانه ، وورقها لا يذبل ، وكل ما يصنعه ينجح ، ليس كذلك الأشرار ، لكنهم كالعاصفة التى تذريها الريح ، لذلك لا تقوم الأشرار فى الحساب ولا الخطاة فى جماعة الابرار »(٧٢) .

وقد لاحظ « برستد » أن الحساب المذكور هنا لم يرد ذكره فى سفر المزامير كله الا هذه المرة ، وهذه الملاحظة لها أهميتها ، حيث أن فكرة الحساب فى عالم الآخرة من ثمرات الدين المصرى القديم(٧٣) كما أن توكيد ذكر مجارى المياه فى الصورة العبرانية أمر مهم حيث انه لا يوجد بين بلدان الشرق القديم التى عمرت بسكان مستقرين بلد خلا من مصدر مياه ثابت غير فلسطين ، ومن ناحية أخرى نجد أن العلامة الهيروغليفية الدالة على كلمة « حديقة » كانت ترسم بصورة « تركة حديقة » ، ولذلك كان مجرد ذكر كلمة « حديقة » دلالة على الماء ومن ثم لم تذكر كلمة ماء بعينها فى الوصف الذى وضعه « أمنمؤبى »(٧٤) .

نعود الآن الى سفر الأمثال وتعاليم « أمنمؤبى » ، فنشير الى أن الأخير قد ظهرت فى كتاب الأمثال فى اصحاح بعد آخر ، ففى الاصحاح ٢٢ : ١٧ وحتى الاصحاح ٢٤ : ٢٢ نجد التشابهات كثيرة وعديدة ، وهناك أيضا تشابه فى التصورات والأفكار ، ويظهر ذلك من خلال السياق فى تعاليم « أمنمؤبى » والتى اختصرت فى كتاب الأمثال ، فيبدو من اشارات السفر أن العبارات المنقولة تظهر غالبا فى سياق الكلام ، ورغم تغير اللفظ ، فقد ظل المعنى الأصلى مطابقا للأمثال العبرية ، ولذلك علينا الا نعتنى باللفظ فقط ولكن بالمعنى أيضا ، علاوة على ذلك فان الثلاثين فصلا « لأمنمؤبى » لايوجد لها تشابه فعلى فقط ، ولكن « سمبسون » وجد ثلاثين مثلا حرفيا منها فى كتاب الأمثال العبرى(٧٥) .

معنى ذلك أن تعاليم « أمنمؤبى » كانت الأصل الذى نقل منه اصحاح ونصف على الأقل فى سفر الأمثال ، ولتوضيح ذلك ، سيتبع الباحث طريقة ترستد فى وضع الجمل المتقاربة فى اللفظ والمعنى ، جنبا الى جنب حتى تتضح درجة الاقتباس والنقل ، فمن

النصائح التى أشار اليها « أمنمؤبى » حسن الاستماع ، والفهم الصحيح للأقوال المفيدة وكيفية الرد عليها ، والمقصود من تلك النصائح قد عرفته الأمثال العبرية ، وهو ما أشار اليه « أمنمؤبى » من أن المهارة العملية ، أصل جوهرى فى المعاملات الرسمية ، كما نرى فى نص كل منهما :

أمنمؤبى ٣ : ٩ـ ١٢ ، ٥ ـ ٦	امثال ٢٢ : ١٧ ـ ١٨ ، ٢١
٩ ـ أمل أذنيك لتسمع أقوالى .	١٧ ـ أمل أذنك واسمع كلام الحكماء ، ووجه قلبك الى معرفتى .
١٠ ـ واعكف قلبك على فهمها .	
١١ ـ لأنه شىء مفيد أن وضعتها فى قلبك .	١٨ ـ لأنه حسن ان حفظتها فى جوفك ان تتثبت جميعا على شفتيك .
١٢ ـ ولكن الويل لمن يتعداها .	
(١ : ٥ ـ ٦)	
٥ ـ المعرفة كيف تظهر كلامهم .	٢١ ـ لا علمك قسط كلام الحق لترد جواب الحق للذين أرسلوك .
٦ ـ وأن ترد على تقرير الى من أرسله(٧٦) .	

والحقيقة أن الغرض الخلقى من النصائح الواردة فى كل من سفر الأمثال وتعاليم « أمنمؤبى » واضح فى كافة ثناياهما ، منها عدم التعدى على حقوق الغير أو سلب أملاكه ، وأيضا تحذير من الثراء المادى خاصة اذا كان هذا الثراء على علاقة الانسان

بربه ، كما تضمنت التحذير من الحماقة ومخالطة الحمقى من الناس ، كما دعت كل منهما الى عدم التبرم بالحياة والخوف من المستقبل لاننا لا نعلم عنه شيء ، وحضت على حسن التفكير وعدم التسرع ، وأنهت عن النفاق وحبذت اتباع اللياقة فى السلوك أمام المقامات العالية(٧٧) • ومن الأمثلة على ذلك :

عدم التعدى على حقوق الغير

امنمؤبى ٧ : ١٢ ــ ١٥	الأمثال ٢٣ : ١٠
١٢ ــ لا تنقل علامات الحدود في الأرض المزروعة •	لا تنقل التخم القديم ، ولا تدخل حقل الأيتام •
١٣ ــ أو تغير المواضع الرسمية •	
١٤ ــ لا تطمع فى ذراع من من الأرض •	
١٥ ــ ولا تدخل فى حدود أرملة •	

التحذير من الثراء

امنمؤبى	الأمثال
(٩ : ٥ ــ ٨)	
٥ ــ الفقر فى يد الله ؛	١٦ ــ القليل مع مخافة الرب،
٦ ــ خير من الغنى فى الهرى •	خير من كنز عظيم مع هم •

امنموبى	الأمثال
٧ ـ وأرغفة بقلب فرح .	١٧ ـ اكلة من بقول حيث تكون المحبة ، خير من ثور معلوم ومعه بغضة . (٢٣ : ٤ ـ ٥)
٨ ـ خير من ثروة فى تعاسة . (٩ : ١٤ ـ ٢٠)	
١٤ ـ لا تتعب فى البحث عن الثروة .	
١٥ ـ حينما تكون قد حصلت على حاجتك .	
١٦ ـ واذا كان الغنى عن طريق السرقة .	
١٧ ـ فانه لا يبقى معك سواد الليل .	
١٨ ـ ففى فجر نفس اليوم لا تجده فى البيت .	٤ ـ لا تتعب لكى تصير غنيا، كف عن فطنتك .
١٩ ـ فتبقى أماكنه ولكنه لا يبقى .	
٢٠ ـ فربما ابتلعته الأرض . (١٠ : ٤ ـ ٥)	٥ ـ هل تطير عينيك نحوه وليس هو ، لانه انما يصنع لنفسه أجنحة كالنسر يطير نحو السماء . (١٧ : ١)
٤ ـ أو يعملون له اجنحة كالأوز .	
٥ ـ ويطير نحو السماء . (١٦ : ١١ ـ ١٢)	
١١ ـ الثناء على الانسان كشخص محبوب عند الناس .	١ ـ لقمة يابسة ومعها سلامة خير من بيت ملآن ذبائح مع خصام .
١٢ ـ خير من الغنى فى الهرى (المخزن) .	

التحـــذير من الحماقـــة

(١١ : ١٣ ـ ١٤)

١٣ ـ لا تعاشر رجلا غضوبا (حاد الطبع)

١٤ ـ ولا تلحن فى محادثته •

(١٢ : ٨ ـ ٩)

٨ ـ لا تلتصق بهذا القرين •

٩ ـ لئلا تألف طريقه •

(٢٢ : ٢٤)

٢٤ ـ لا تستصحب غضوبا ، ومع رجـل سـاخط لا تجىء •

(٢٢ ـ ٢٥)

٢٥ ـ لئلا تألف طريقه وتأخذ شركا الى نفسك •

عدم التبرم بالحياة والخوف من المستقبل

(٢٢ : ٥ ـ ٦)

٥ ـ لا تعـرف شـكل الله حقـا •

٦ ـ لذا لا تتخيل الغد •

(٢٧ : ١)

١ ـ لا تفتخر بالغد لأنـك لا تعلم ماذا يلده يوم •

حسن التفكير وعـدم التسرع والنفـاق

(٢٢ : ١٣ ـ ١٤)

(١٣ : ١١ ـ ١٣)

١٣ ـ لا تفش أســـرارك للآخرين •

١٤ ـ ولا تعاشر من يكشف ما بداخـله •

١٣ ـ ١١ ـ لا تكره نفسك على تحيـة رجل حـاد الطبـاع •

١٢ ـ أو تحزن قلبـك •

١٣ ـ لا تقل له السلام عليك زورا •

(٢٠ : ١٩) (٢٧ : ١٤)

١٩ ـ الساعي بالوشاية يفشى السر فلا تخالط المفتح شفتيــه •

١٤ ـ من يبارك قريبه (رجل سيىء) تصوت عالى فى، الصباح باكرا يحسب له لعناه •

اتبـاع اللياقـة فى السـلوك

(٢٣ : ١٣ ـ ١٨)

١٣ ـ لا تاكـل الطعـام فى حضرة رجل عظيم •

١٤ ـ ولا تبدأ فى الأكل ،

١٥ ـ ادعى الشبع مع مضغ بلعـابك •

١٦ ـ متسليا بلعابك •

١٧ ـ انظر الى الوعاء الذى أمامك •

١٨ ـ واتركه للحاجة(٧٨) ؛

(٢٣ : ١ ـ ٣)

١ ـ اذا جلسـت تأكل مع متسلط ، فتأمل ما هو أمامك تأمـلاً •

٢ ـ وضع سكينا لحنجرتك ان كنت شرها •

٣ ـ لا تشته اطايبه لانهـا خبز أكاذيب •

وقد استقى « أمنمؤبى » هذه النصيحة من حكم « بتاح حتب » الذى قـال فى هذا الصـدد « اذا كنت مدعوا الى مائدة من هو أعظم منك ، فخذ ما عسى أن يعطيـه لك عندما يوضـع أمامك لا تنظر الا الى ما هو أمامك ، ولا تسدد نظرات كثيره اليه ، لأن اجبـاره على الالتفات اليك أمر تكرهه النفس » •

غض من طرفـك حتى يحييك ، ولا تتكلم حتي يخاطبـك • اضحك عندما يضحك فان ذلك يدخل السرور على قلبـه وسيقبل منك كل ما تفعله ، ان الانسان لا يعلم ما فى القلب(٧٩) •

واقتباس « أمنمؤبى » من حكم « بتاح ـ حتب » يوضـح ان الأول كان يستوحى الأدب المصرى القديم السابق لعهده فى وضع تعاليمه هـذه ، وهذه الحقيقـة تعتبر ردا واضحـا على ما يحاوله

بعض علماء الكتاب المقدس من ارجاع عصر « أمنمؤبى » الى زمن متأخر ، وبالتالى يعتبرون حكمه مستعارة من الأمثال العبرية .

كما ورد فى سفر الأمثال اشارة تدل بلا شك على الاقتباس من كتاب « أمنمؤبى » ولو أن هذه الاشارة ليست على شكل عنوان ، ولكن فى مقدمة كلمات الحكماء ورد السؤال الغريب الآتى : « ألم أكتب لك أمورا شريفة من جهة مؤامرة ومعرفة ؟ (٨٠) والحقيقة أن عبارة (أمورا شريفة) مشكوك فيها ، لذلك وضع المصنفون العبريون هجاء آخر لتلك الكلمة (شريفة) على هامش النسخة العبرية ، فصارت تعنى « ثلاثين » ، وبالتالى يصير السؤال فى سفر الأمثال هكذا » الم أكتب لك أمورا ثلاثين من جهة مؤامرة ومعرفة ؟ ووضع هذا السؤال فى سفر الأمثال لا معنى له ، ولكن عندما نلاحظ أن « امنمؤبى » قسم كلامه الى ثلاثين فقرة يتضح كل شيء ، وربما كانت تعاليم « أمنمؤبى » تسمى فى فلسطين « ثلاثين فصلا فى الحكمة » ثم اختصر الإسم الي « الثلاثين » وعلى ذلك نصل للموازنة التالية :

امنمؤبى ٢٧ : ٧ ــ ٨	الأمثال ٢٢ : ٢٠
تبصر لنفسك فى هذه الأمور الثلاثين حتى تكون مسرة (لك) وتعليما .	الم آكتب لك ثلاثين فصلا من جهة مؤامرة ومعرفة .

وذكر كلمة ثلاثين دليل واضح على ان ترجمة كتاب « أمنمؤبى » كاملة ، كانت تحت يد مؤلفى العهد القديم ، ولكى يحافظ الناقل العبرى على معنى وجود كلمة « ثلاثين » مع عدم نقله للثلاثين فصلا التى يحويها الأصل المصرى برمته ، استعمل

بالضبط ثلاثين مثلا فى نسخته العبرية (الأمثال ٢٢ : ١٧ ـ ٢٤ : ٢٢)(٨١) ٠

مما سبق يتضح بجلاء مدى تأثر كاتب الأمثال العبرانى بل ونقله من حكم « أمنمؤبى » مما يوضح أثر مصر الفكرى على فلسطين فى تلك الفترة ٠

٤ ـ العمـــارة

كان لقرب مصر من فلسـطين أثر كبير فى وقوع الحضـارة الفلسطينية تحت التأثير الدائم والمباشر للحضـارة المصرية ، هذا من ناحيـة ، ومن ناحيـة أخرى أثرت الحضـارة المصريـة على فلسطين بطريق غير مباشر عن طريق الكنعانيين/الفينيقيين الذين تأثروا تأثرا كبيرا بالحضـارة المصريـة ، ونقلوها للشـعوب التى استقرت فى فلسـطين فيما بعد ، لذلك قلدت منتجات فلسـطين المعمارية والفنية المنتجات المعمارية والفنية المصرية ٠

(أ) المعـــابد :

لتوضيح أثر العمارة المصرية على فلسطين فى بناء المعـابد ، يجب أولا أن نوضح تصميم المعبد المصرى ، ونطبق ذلك على ما وجد فى فلسطين من معـابد ليتضح مدى الاختـلاف والتشابه بينهـا ولنأخذ معـابد الآلهة فى الدولة الحديثـة ، حيث انها تمثل أزهى مراحل العمران المصرى ، وفى نفس الوقت تتمثل فيها الخصـائص والعناصر المعمارية فى معابد الآلهة المصرية السابقة عليهـا بالاضافة الى أن ملوكهـا لم يقتصروا فى بنـاء المعابد على مصر وحدها بل تعدوها الى كل أقاليم امبراطوريتها فى سـورية وفلسطين وبلاد النوبـة ٠

يتكون المعبد المصرى فى عصر الدولة الحديثة من الأجزاء الرئيسية الآتية :

١ ـ صرح المعبد ، ويتكون من تاب ضخم مستطيل الشكل ، على جانبيه برجان شاهقان تميل جوانبهما نحو الداخل كلما ارتفعا الى أعلى ، وأمام هذا الصرح يوجد فى المعبد الكبير (مثل معبد آمون) مسلتان وتماثيل للفرعون الذى شيده ، وقد يمتد أمامه أيضا طريق للكباش أو لتماثيل أبى الهول • ويبدأ من الصرح الطريق الأوسط المستقيم الذى يخترق المعبد حتى قدس الأقداس •

٢ ـ فناء كبير مكشوف مستطيل الشكل ، على جانبيه أروقة ذات أساطين ، وهو مخصص لزوار المعبد من عامة الناس ، وكان هذا الفناء يسمى فى المعابد « ساحة الأعياد » حيث يحتفل فيه بأعياد دينية مختلفة وببعض مناسك اليوبيل الملكى مثل طقس الجرى •

٣ ـ يأتى بعد ذلك بهو أو أبهاء الأساطين ، ويستخدم هذا البهو فى عرض تمثال الاله أمام عباده ، حيث يتلقى منهم القرابين ، وفى بعض المعابد يوجد بهوان من هذا النوع ، يتتابعان وراء بعضهما ، فيخصص الأول لعرض تمثال الاله ويسميه المصريون (بهو تجلى الاله) بينما يخصص الآخر لتقديم القرابين ويسمى (بهو القربان) ولا يسمح بدخول هذه الأبهاء الا الكهنة وبعض الخاصة من المتعبدين •

٤ ـ أما القسم الأخير من المعبد ، فيوجد فى منتصفه وعلى امتداد محور المعبد ، غرفة ذات جدران سميكة هى الغرفة الخاصة

بالاله أو هيكل المعبد أو قدس الأقداس وفى هذه الغرفة يوضع رمز الاله أو تمثاله ، اما داخل مقصورة من الجرانيت واما داخل ناووس موضوع فى قارب يستقر فوق قاعدة جرانيتيه ، ويحيط بقدس الأقداس ممر تتفرع منه عدة غرف تستخدم كمخازن للقرابين وأدوات العبادة وأماكن لأداة الطقوس السرية للاله ، ولا يسمح بدخول هذا الجزء (قدس الأقداس وما حوله) الا للملك والكهنة المختصين بالعمل فيه(٨٢) ٠

هذا فى الواقع التخطيط الأساسى للمعبد المصرى دون الدخول فى تفاصيل زخارفه وطرق العبادة فيه ، أما فى فلسطين فقد وجد معبدان مصريان ـ كنعانيان فى « بيت شان » يرجعان للفترة ما بين القرنين الرابع عشر والثالث عشر ق٠م ، يتكون الواحد منهما من مدخل وصالة أمامها عمودان ومقصورة مرتفعة(٨٣) وفى « حاصور » عثر على بناء شبيه بذلك من عصر البرونز المتأخر ، يتكون هذا البناء من بوابة أمامية تحيط بها قاعدتان لعمودين من البازلت ، تفضى هذه البوابة الى الردهة الرئيسية ، ومن ورائها يدخل الزائر الى قدس الأقداس ، بالقرب من منتصف قدس الأقداس يوجد مذبح للبخور من البازلت يظهر على وجهه الأمامى قرص فى وسطه نجم له أربع شعب وهو يرمز لاله الشمس المصرى الأصيل ، أما عن الأوانى الكبيرة المصنوعة من الفخار فهى قوارير وجرار كانت غالبا مملوءة بالزيت أو النبيذ الذى كان يقرب فى العيد(٨٤) ، يتضح من ذلك تأثير العمار المصرية فى بناء معابد فلسطين والأكثر من ذلك فان المعلومات التى يوفرها العهد القديم عن معبد سليمان(٨٥) تتيح لنا بسهولة التأكد من واقع التأثير المصرى ، على الرغم من أن الكاتب العبرانى يشيد بالمساعدة الفينيقية(٨٦) ٠

ويتكون معبد سليمان كما تخيله بعض الباحثين(٨٧) من الأجزاء الرئيسية الآتية :

١ ـ باب المعبد :

ويحف به من الجانبين عمودان من النحاس (وهو يقابل الصرح فى المعبد المصرى) تليه قاعة امامية ليس بها اساس دينى معين •

٢ ـ البهو المقدس :

وهو المكان الخاص لزوار المعبد من عامة الناس ، للعبادة واقامة الشعائر ، وقد صفت على جانبيه مناضد لوضع المسارج والشموع (وهذا يقابل الفناء فى المعبد المصرى) •

٣ ـ قدس الأقداس :

وهو حجرة مكعبة الشكل مظلمة ، فيها ستار يقسمها قسمين ، فى القسم الداخلى منها تابوت العهد ، أما القسم المفتوح منه فيحتوى فى الوسط على المذبح الذهبى للقرابين(٨٨) (وهذا يقابل قدس الأقداس فى المعبد المصرى) •

وبذلك يتضح أن تخطيط المعبد المصرى كان الأساس فى تخطيط معبد سليمان ، علاوة على ذلك فان بعض الممارسات الدينية كانت متشابهة فى كل من المعبد المصرى ومعابد فلسطين ، فيرجع بعض الباحثين أن فكرة « التابوت » مستعارة من المصريين ، حيث أن الفرعون وهو المساوى للآلهة ، كان يحق له وحده أن يفتح الناووس وأن يرى الشعار المرهوب الحافل بالأسرار (تمثال الاله أو رمزه) وفى اليهودية كان الحبر الأعظم وحده يدخل مرة

واحدة فى العـام الى قدس الأقداس حيث تابوت العهد(٨٩) وهناك من يفترض أن التابوت كان صخريا يشبه تابوت أوزير(٩٠) وفى هذه الحـالة يصبح التابوت غريبـا تماما عن دين « يهوه » لأن رب اسرائيل لم ينظر اليه أحد أبدا على انه مماثل للاله المصرى « أوزير » أى حتى « أدونيس » الذى يموت ويحيـا سنويا(٩١) وطبقا لرواية العهد القديم فان التابوت هو عرش « يهوه » الذى يجلس عليـه(٩٢) أو على الأقل نقش عليه اسم « يهوه » قـائد الجيوش أو رب الجنود(٩٣) ومن ثم فهو عرشـه الذى يجلس عليه كاله أعظـم ، وعلى ذلك كان التابوت عند بنى اسرائيـل امتدادا لفكرة المركبة الشمسية التى ينتقل عليهـا اله الشمس فى المحيطات السماويـة عند المصريين(٩٤) وعلى ذلك فالتابوت هو صـندوق مقـدس مثله فى ذلك مثـل غيره من النواويس التى كانت لالهـة المصريين والتى كانت تحمل بصفة خاصـة فى المواكب الدينية(٩٥) كما أن عـادة حرق البخور التى أتبعت فى معبد سـليمان ووجد لها مذبح ، هى من سمات الديانة المصرية القديمـة(٩٦) كما انه لم يعثر على معبد معاصر لمعبد سليمان فى فلسطين ، يضـم ذلك الجهاز الجنـازى الفاخر الذى جاء وصفـه فى العهد القديم من أعمدة وأوان من البرونز والكروبين (وهى تلك التماثيل المجنحـة التى لها جسم أسـد ورأس انسـان) وكذلك الذهب الذى استخدم على نطـاق واسع فى أثاث ذلك المعبد ، (ولكن هذا قليل جدا اذا قيس بما وجد فى المعـابد المصرية) فمعبد « حاصـور » الذى سبق وصفـه ، زودنا بأثاث طقسى من الأوانى والجرار والمذابح وموائد القرابين ، وكان على بوابة المعبد أسـد من البازلت ، ولكنه وجد فى بئر فى أرضية الطبقـة الأولى من المعبد ، ولم يعرف سبب وجوده فى هـذا البئر ، وطرازه يشبه طراز الأسـود التى وجدت

فى مصر الفرعونيــة ، وجدير بالذكر أنه عثر على تمثــال للملك « خفرع » من الأسرة الرابعــة فى بئر فى معبد الوادى الخــاص بهرمه فى الجيزة ، ولم يجد علمــاء المصريات أيضــا تفسيرا لمكان وجوده فى هذا البئر ، الا أن يكون من جاء تعده خشوا عليــه من الضياع أو التشويه فأخفوه فى هذا المكان البعيد عن الأنظار(٩٧) .

(ب) الأعمـــدة :

توجع أصول الأعمدة فى العمارة المصرية الى ازمنة قديمــة ، عندما كان السكان الأولون يدعمون سقوف أكواخهم بحزم من أعواد النبات أو بفروع الشجر أو جذوعه ، ويغلب على الظن أن منهــا ما كان يحلى فى أعــلاه بزهور أو اوراق الشجر خاصــة فى الأعياد والحفلات الدينية ، ثم لم يلبث أن غدا ذلك تقليدا مرعيــا(٩٨) ويعتبر هذا هو أصــل العمود الحجرى ذى التاج الزهرى والذى إنتقــل الى الحضــارة الفلسطينيــة بعد ذلك(٩٩) ويؤيد ذلك العثور على جزءين من تاج عمود (سابق للأيونى) فى أورشــليم ، وقد عثر عليهما فى القمــة الشرقية للحافة الشرقيــة ، ومعهمــا حجارة منحوتة مبعثرة ، كانت على الأرجح تشكل حائطا يشبه ذلك الذى كان مقاما فى السامرة ، وقد كشف فى السامرة عن تيجــان شبيهة بذلك(١٠٠) كمــا وجد مثلها أيضــا فى « مجدو » وهــذه التيجان تنتمى لأعمدة مرتبطــة ببعضها البعض كانت أصــلا تبطن جدران غرفة فسيحة أو ممر متسع ، وقد عثر على تيجــان مماثلة فى عدد من المواقع الأخرى بفلسطين ، يرجع تاريخهــا جميعا الى ما بين القرنين العاشر والسابع ق.م ، واقدم ما عثر عليه من هذه التيجان حتى الآن ، نموذج تاج ملون وجد فى « مجدو » لايمكن أن يكون تاريخه متأخرا عن القرن العاشر ق.م(١٠١) .

٥ ـ الفـــن

يمتاز الفن فى سورية وفلسطين بجمعه بين عناصر أجنبية ، وهذا أمر طبيعى من الوجهة التاريخيـة ، حيث انه لم تقم فى هـذه المنطقـة قوة سياسية موجـدة ولكن رغم أن التحريم الدينى لتصـوير الرب ، كان عائقا دون تطور فن النحت والتصـوير فى اسرائيل فان مخالفـة العبريين لذلك ، أمدتنا ببعض فنون النحت والتصـوير والفنون الأخرى •

تنقص النحت فى فلسطين التمـاثيل الكبيرة ، ولكن التماثيل الصغيرة كثيرة ، والنمط الغالب عليها هو جسم الأنثى العـارى ، وقد بولغ عمدا فى تجسيم مظـاهر الأنوثـة ، وجعلت اليدان على الثديين فى الغالب وهذه التماثيل الصغيرة تمثل الهة الخصوبة(١٠٢) وقد قلد العبرانيون بعد استقرارهم فى فلســطين ــ سكان البـلاد فى عمل تماثيـل لالهتهم ، والتى اعتبرت مظهرا من مظـاهر القوة الالهية ، وعرفت عندهم باسم « مسكاه » أى الصــور المصبوبة من المعادن(١٠٣) أو « فسيل » بمعنى صناعة التماثيل أو نحتهـا من الخشب(١٠٤) كما عثر الأثريون على نوع من هذه التماثيل مصنوع من الطين أو الحجر ، ويستخدم العهد القديم أحيانا أحد اللفظين « مسكاه » أو « فسيل » للتعبير عن صــورة الله(١٠٥) هـذا فضلا عن أن بعض العبرانيين قد صنع بعضـا من هذه التماثيل من الذهب أو الفضـة(١٠٦) ولا يخلو معبد عند العبرانيين من وجود هذه التماثيل لهذه المقدسـات التى تمثل المعبود ، وأحب هـذه التماثيل اليه هو تمثال « العجل الذهبى » ، كما لم يخل معبد ملكى فى اسرائيل من تمثال « الثور »(١٠٧) وان كان العهد القديم يعتبر تقديس هذه التماثيل سمة وثنية(١٠٨) وقد كشفت الحفائر فى فلسطين عن تمثالين للالهتين « عشتار » و « ايزيس » ترجـع

الى أيام الملك « سليمان » والتي يبدو أن نساءه كن يفضلن هذه الآلهة الغريبة (١٠٩) .

وطبقا لرواية العهد القديم ، فقد كان فى منزل « داود » تمثال « ترافيم » ربما كان خاصــا بالاله « يهوه » رب اسرائيل ، وقد وضعته زوجتــه « ميــكال » على فراشــه ليقتله جنود « داود » بطريق العوض(١١٠) .

وقد أقام بنو اسرائيل تماثيل للمعبودات الأجنبيــة فى المعابد الرئيسية للاله القومى ، وكانت القرابين تقدم الى حيــة النحــاس فى معبد أورشليم حتى أيام « حزقيال » أى فى نهاية القرن الثامن ق.م وقد كانت هذه الحيــة فيما يرى البعض تمثل الاله « يهوه » وترمز اليه ، وان رفض البعض الآخر وجهــة النظر هذه(١١١) واعتبروها معبودا ثانويا تعزى اليه قوة الشفاء والى هذا يشــير العهد القديم(١١٢) وكان « يهوه» هو نفسه فى الصــورة الفضية التى أقامها « ميخــا » ، الافرامى فى بيته على هيئــة تمثالين ، الواحد مسبوك ، والآخر منحوت ، وكان « ميخــا » بيت للالهــة ، فعمل « أفودا وترافيم »(١١٣) والأمر كذلك تالنسبة لارتبــاط « العجــل الذهبى » بالاله « يهوه » عندما أقــام « يربعــام » الثانى ، عجلين الأول فى مكان عال فى « دان » ، وقد أصبح بعد ذلك معبدا ملكيا ، والآخر فى مكان عال أيضا فى « بيت ايل »(١١٤) .

وكان حفر الصــور البارزة مزدهرا نسبيا فى فلســطين ، كما كان فى سائر أنحــاء الشرق الأدنى القديم ، فثمة انصــاب محفور عليهــا مثل النصب الذى اكتشف فى « حاصــور » وهو مهم من الناحيــة الدينية اذ عليه رســم يمثل ذراعين مرفوعين ، دعــاء وبتهالا وفوقهما رمز للشمس يحف به هــلال ولكن الجزء الأكبر

من الرسوم البارزة فى فلسطين عبارة عن زخارف على أشياء صغيرة ، وقد وجد فى أوجاريت طبق رائع رسم عليه بالذهب البارز منظر جيد كما عثر على فنجان ذهبى رسمت عليه صورة بارزة لثيران وأسود وحيوانات غريبة ، وأيضا وجد رسم عاجى بارز يصور الهة الحيوانات المتوحشة وهذه أمثلة حية لمستوى الفن الكنعانى الذى يجب أن نتوقع وجوده فى فلسطين وكل هذه الآثار تظهر بشكل واضح تأثير الفن المصرى وغيره على الفن الفلسطينى(١١٥) وقد كشف الخفارون فى خرائب قصر ملوك بنى اسرائيل فى « السامرة » بعض ألواح من العاج منقوشة نقشا بارزا كانت تستعمل فى التطعيم الزخرفى الذى كان يحلى به أثاث الملوك العبرانيين ، ومن تين تلك القطع ، قطعة نقشت عليها صورة الهة العدالة « ماعت » يحملها الى أعلى ملاك شمس هليوبوليس فى وضع نفهم منه انه كان على ما يظهر يقدم تلك الصورة لاله الشمس ، وتصميم الرسم مصرى فى كل نواحيه ، الا أن صناعته تدل بوضوح على أن نقشه من صنع أياد فلسطينية ، مما يدل على أن الصناع العبرانيين كانوا على علم ومعرفة بمثل تلك الرسوم المصرية القديمة(١١٦) وهذه الأشياء العاجية تتفق مع الصورة المعروفة من الآثار التى وجدت فى « مجدو » والتى ينتمى معظمها الى النصف الأول من القرن الثانى عشر ق.م .

من الواضح أن تأثير الفن المصرى كان غالبا ، حيث أنه من السهل أن نبين أن فن « مجدو » قد نشأ تحت تأثير الأعمال الفنية الكنعانية المنقولة عن أصول مصرية من عصر الرعامسة ، وعاجيات « السامرة » سالفة الذكر تنتمى الى مجموعتين ، يمكن تاريخهما من القرنين الثامن والتاسع على التوالى ، وتتكون المجموعة الأولى من عاجيات نحتت نحتا بارزا رقيقا مع الافراط فى استعمال رقائق الذهب للتغشية ، واللازورد فى الترصيع ، وزجاج

ملون ، والوحدات الزخرافية مصرية بحتة فى الالهام وتشمل أشكالا خرافية مثل حورس الطفل على زهرة اللوتس ، و « ايزيس ونفتيس » تقدسان عمود « جد » و » حورس « ممسكا برمز الحق ، كما سبق ان ذكرنا والمجموعة الثانية تتكون من تماثيل على صورة أبو الهول والسيد فى النافذة وبلاطات صغيرة نقشت بصورة الأسد أو الثور(١١٧) ويحتمل ان هذه الصور كان يزين بها حوائط قصر عمرى وأخاب وهو قريب بما جاء وصفه فى الكتاب المقدس من وصف لقدس الأقداس لمعبد « سليمان » خصوصا الكروبين التى صنعت من خشب الزيتون ، وارتفاع كل منها خمسة أمتار ويبلغ طول كل جناح ٥ر٢ متر وكانت مطعمة بالذهب(١١٨) .

وقد وجدت آثارت قليلة للتصوير بالألوان فى غرف القبور الفينيقية تحت الأرض ، وكانت جدرانها محلاه بألوان زاهية ، يغلب عليها اللونان الأحمر والأخضر ، مع زخارف من أكاليل الزهور والطير ومن البشر والحيوانات أحيانا ، وقد أدى انتشار أعمال الأختام الى تقدم كبير فى فن صناعتها ، وهذا ينطبق على الحلى وغيرها من أدوات الزينة التى وجد آثار منها تنطوى على قيمة فنية رفيعة ، وعلى الأوسمة والخواتم والأساور الذهبية ، نجد صور النخيل والأسود والوعول والطيور ، وكانت القلائد وعقود اللؤلؤ والأقراط وانماطا أخرى للزينة(١١٩) .

من كل ما تقدم يبدو واضحا أثر الحضارة المصرية على الحضارة الفلسطينية فى كل المجالات المختلفة ، فى الدين والأدب ، والفن المعمارى وغيره من الفنون الأخرى .

هوامش الفصل الخامس

(١) Roth, C., Ashort History of the Jewish People,
London, 1969, P .21.
Noth, M., The History of Israel, London, 1965, PP. 280 — 288.
Wright, B.A., 20, 1957, PP. 140 —149.
Bright, J., A History of Israel, Philadelphia, 1959, P. 213.

برستد : فجر الضمير ، ترجمة سليم حسن ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص ٣٧١ — ٣٧٢ .

(٢) محمد ابراهيم بكر : « مدينة فرعونية تقدم ادلة اثرية جديدة تؤكد الصلات السامية مع مصر » المجلة التاريخية المصرية ، ٣٠ ، ٣١ ، ١٩٨٣ ، ١٩٨٤ ، ص ١٥ .

(٣) Dothan, Op. Cit., P. 21.
Kenyon, Op. Cit., P. 225.
الملوك الأول ١١ : ٥ .

(٤) تشرنى : الديانة المصرية القديمة ، ترجمة أحمد قدرى ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، ص ٢٤٤ .

(٥) تشرنى : نفس المرجع ، ص ١٨٤ — ١٨٥ .

(٦) ارمان : ديانة مصر القديمة ، ترجمة عبد المنعم ابو بكر ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ١٦٨ .

(٧) موسكاتى : المرجع السابق ، ص ١٢٧ — ١٢٨ .

(٨) Kenyon, Op. Cit., P. 225.

(٩) تشرنى : المرجع السابق ، ص ١٤١ — ١٤٢ ، ص ١٨٨ .

(١٠) الموسوعة المصرية : المجلد الأول ، جـ ١ ، تحت مادة سوبد .

(١١) محمد ابراهيم بكر : المرجع السابق ، ص ١٩ .

(١٢) ارمان : المرجع السابق ، ص ٣٨٨ .

عن الآلهة المصرية انظر :

Bonnet, H., Realleikon der ägyptischen Religionsgeschicte Berlin, 1052.

(١٣) فرانكفورت : ما قبل الفلسفة ، ص ٢٦٣ — ٢٦٧ .

عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٣٢٩ .

(١٤) عبد العزيز صالح : مصر والعرا ، ص ٣٣٣ .

ارمان : ديانة مصر القديمة ، ص ٧٠ .

Daumas, F., Lacvilisation de L'Egypte Pharaonique, Paris, 1965, PP. 213 — 214.

(١٥) عبد العزيز صالح : « الوحدانيـة فى مصر القديمة » ـ المجلة ٣١ ، يوليو ١٩٥٩ ، ص ١٣ .

برستد : فجر الضمير ، ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦ .

(١٦) ارمان : ديانة مصر القديمة ، ص ١٤٠ ـ ١٤١ .

برستد : انتصار الحضارة ، ترجمة أحمد فخرى ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ١٣٧ .

(١٧) Breasted, J.H., Development of Religion and Though in Ancient Egypt, London, 1959, P. 332.

Daumas, Op. Cit., PP. 321 — 322.

(١٨) انظر جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٢٥٢ ـ ٢٥٤ .

ارمان : المرجع السابق ، ص ١٢٧ ـ ١٣٠ .

(١٩) فرانكفورت : ما قبل الفلسفة ، ص ٢٦٧ ـ ٢٧٤ .

ول ديورانت : قصة الحضارة ، المجلد الأول ، جـ ٢ ، ترجمة محمد بدران ، القاهرة ، ١٩٦١ .

حسن ظاظا : الفكر الدينى الاسرائيلى ، القاهرة ، ١٩٧١ .

(٢٠) فرانكفورت : المرجع السابق ، ص ٢٦٨ .

موسكاتى : الحضارات السامية القديمة ، ص ١٤٨ ـ ١٤٩ .

(٢١) Daumas, Op. Cit., P. 327.

(٢٢) سيغموند فرويد : موسى والتوحيد ، ترجمة جورج طرابيشى ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٢٧ — ٥٨ .

(٢٣) انظر سورة الشعراء وتفسيرها .

(٢٤) برستد : فجر الضمير ، ص ٣٩٥ .

(٢٥) برستد : فجر الضمير ، ص ٣٩٥ ، محمد بيومى مهران النبوة والأنبياء عند بنى اسرائيل ، الاسكندرية ١٩٧٨ ، ص ٨٧ — ٨٨ .

(٢٦) برستد : نفس المرجع ، ص ٣٨٥ .

(٢٧) ملاخى : ٤ : ٢ .

(٢٨) برستد : فجر الضمير ، ص ٣٨٥ .

(٢٩) Yadin, Y., «The Fourth Season of Excavationsat Hazor,» B.A., 22, N. 1, 1959, P. 59.

(٣٠) انظر فيما بعد الفن ، ص ٢٠٤ .

(٣١) Oesterley, W.O.E., «Egypt and Israel» in The Legacy of Egypt, Oxford, 1947, P. 244.

(٣٢) تنسب المزامير الى « داود » الذى حكم حوالى ١٠١١/١٠ — ٧٠/٩٧١ ق.م ، الا أن بعضها قد كتب فى عهد السبى البابلى (٥٨٧ — ٥٣٩ ق.م) والبعض الآخر بعد السبى وربما فى الفترة من ٤٠٠ — ١٠٠ ق.م ضمت بعضها الى بعض .

Uuger, F., Unger's Bible Dictionary, Chicago, 1970, PP. 898 — 899.

(٣٣) هنالك ما يشير الى أن « اخناتون » قد أقام ثلاثة مراكز لنشر دعوته فى انحاء الامبراطورية المصرية ، كان أحدها فى غربى آسيا (ربما فى أورشليم أو بيت شمس) .

Hall, The Ancient History of the Near East, P. 300.

فربما انتقلت أنشودة « إخناتون » الى العبرانيين عن طريق هذا المعبد الآتونى .

(٣٤) برستد : فجر الضمير ، ص ٣٩٣ .

Gunn, B., J.E.A., 4, 1817, P. 169.

(٣٥) برستد : فجر الضمير ، ص ٣٠٢ - ٣٠٣ .
ويلسون : الحضارة المصرية ، ص ٣٦٦ .
المزامير كتاب الحياة ، ترجمة تفسيرية ، دار الثقافة القاهرة ، ١٩٨٧ ، ص ٥٩ .
Gressman, H., and Others, The Psalmists, Oxofrd, 1925.

(٣٦) Weigall, A., Histoire de L'Egypte Ancienne, Paris, 1968.

(٣٧) Hall, Op. Cit., P. 20.

(٣٨) Maumas, Op. Cit., P. 322.

(٣٩) يويوت : مصر الفرعونية ، ص ١٢٩ .

(٤٠) شارف : تاريخ مصر ، ص ١٤٠ .

(٤١) أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٣٢٨ - ٣٢٩ .

(٤٢) ويلسون : الحضارة المصرية ، ص ٣٥٦ .

(٤٣) سورة البقرة آية ٩٢ ، سورة الاعراف آية ١٤٨ ، سورة طه آية ٨٨ .

(٤٤) الخروج ٣٢ : ١ - ٦ ، الملوك الأول ١٢ : ٢٨ - ٣٠ .

(٤٥) Oesterly, Op. Cit., PP. 239 — 240.

(٤٦) تاريخ الحضارة المصرية ، العصر الفرعونى ، جـ ١ ، ص ٢٦٠ ،

(٤٧) Budge, E.A.W., Egyptian Magic, London, 1986, P. 4.

(٤٨) الخروج ٧ : ١٠ - ١٣ .

(٤٩) الخروج ١٤ : ٢١ - ٢٨ .

(٥٠) نشرها ارمان فى كتابه
Die Marchen des Papyrus Westcar, Berlin, 1890.
ولها ترجمات كثيرة منشورة فى جميع الكتب الخاصة بالأدب الحديث القديم .

(٥١) من هذه القصة انظر : Budge, Op. Cit., PP. 5 — 10.
Erman, A., The Literature of the Ancient Eghptiens, London, 1027, P. 67 ff.

عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٣٤٩ – ٣٥٠ ، تاريخ الحضارة المصرية ، جـ ١ ، ص ٣٩٨ .

(٥٢) برستد : فجر الضمير ، ص ٣٨٠ .

عن السحر المصرى انظر :

Berghouts, «Magic», LA, III, PP. 1137 — 1151.

(٥٣) Erman, Op. Cit., P. 9 f.

(٥٤) غوستاف لوبون : اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى ، ترجمة د عادل زعيتر ، نابلس ، بدون تاريخ ، ص ٩١ .

(٥٥) Oesterley, Op. Cit., P. 241.

(٥٦) Oesterley, Op. Cit., P. 242.

(٥٧) النسخة العربية تقول « يتبدد كل فاعلى الاثم » .

البرايت : آثار فلسطين ، ص ٢٢٣ – ٢٢٤ .

(٥٨) Oesterley, Op. Cit., P. 242.

(٥٩) Oesterley, Op. Cit., P. 242.

البرايت : المرجع السابق ، ص ٢٢٤ .

(٦٠) المزمور ١٢١ : ١ – ٢ .

(٦١) اشعياء ٦٤ : ٨ .

(٦٢) ألفت محمد جلال : الادب العربى – القديم والوسيط ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٧٣ .

(٦٣) الملوك الأول ٤ : ٣٠ – ٣١ .

(٦٤) أحمد فخرى : « الأدب المصرى القديم » فى تاريخ الحضارة المصرية ، جـ ١ ، العصر الفرعونى ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص ٤٣٠ – ٤٤٥ .

Wilson, A.N.E.T., PP. 214 — 421; Oesterley, Op. Cit., PP. 245 — 246.

(٦٥) الأمثال ٢٤ : ٢٣ .

(٦٦) الأمثال ٢٢ : ١٧ .

(٦٧) بريستد : فجر الضمير ، ص ٣٩٦ – ٣٩٧ .

(٦٨) هذه البردية محفوظة الآن فى المتحف البريطانى (رقم (B.M. 10474 وقد اشتريت من أحد التجار فى الاقصر ، ولهذا

كثيرا ما نقرأ أنه عثر عليها فى جبانة « طيبة » ، ولكن لو وضعنا فى أذهاننا ان صاحبها « امنمؤبى » كان من أهل « اخميم » وأن قبره كان فى جبلها الغربى لرجحنا العثور عليها هنالك ، وشراء تجار الأقصر لها من تجار اخميم كما يحدث دائما ، رغم أن « بدج » هو اول من نشرها عام ١٩٢٢ م الا أن « ارمان » كان أول من أشار فى عام ١٩٢٤ م الى أن تعاليم « أمنمؤبى » هى الأساس الذى اعتمدت عليه حكم سليمان كما جاء سفر الأمثال ، وذلك فى مقاله .

«Eine agyptische quelle der Spruche Solomans» in Sit Zungher, d. Preuss A. Ked. d. Wissenschatien, 1924, PP. 86 — 93.

احمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٧١ و ٤٤٥ .

وقام « جريفث » و « سمبسون » بترجمة الوثيقة وعقد مقارنة بين بعض نصوصها وبعض نصوص سفر الأمثال ، أثبتا ان سفر الأمثال قد اعتمدت على تعاليم « امنمؤبى » الى حد كبير .

Griffith, F.L., «The Teaching of Amenophis the son of K'anaght, Papyrus B.M. 10474, J.E.A., 12, 192, PP. 191 — 231.

Simpson, D.C., «The Hebrew Book of proverbs and the Teaching of Amenophis», J.E.A., 12, 192, PP. 232 — 239.

(٦٩) Kevin, R.O., The Wisdom on Amen — em — opt and its Possible Dependence upon the Hebrew Book of Proverbs, Philadelphia, 1931.

(٧٠) احمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٤٤٥ .

(٧١) برستد : فجر الضمير ، ص ٣٩١ .

(٧٢) المزمور الاول : ١ ــ ٥ مع ملاحظة أن الكتاب المقدس ذكر كلمة الدين بدلا من كلمة الحساب .

(٧٣) جاب الله على جاب الله : العمل والميزان فى الفكر القديم ، الكويت ، ١٩٩٠ ، ص ٣٤١ ــ ٣٤٦ .

(٧٤) برستد : فجر الضمير ، ص ٣٩٢ .

البرايت : آثار فلسطين ، ص ٢٤٨ .

Gardiner, Egyptian Grammar, P. 32.

(٧٥) Simpson, D.C., Op. Cit., PP. 232 — 269.

(٧٧) Ibid., P. 23.
Oesterley, Op. Cit., PP. 246 — 247.

(٧٧) برستد : فجر الضمير ، ص ٩٩ — ٤٠٣ .

(٧٨) فى كل المقابلات السابقة اعتمد الباحث على :
Griffith, Op. Cit., PP. 204 — 224.
Simpson, Op. Cit., PP. 237 — 239.
Wilson, A.N.E.T., PP. 412 — 424.

ارمان : الديانة المصرية القديمة ، ص ١٨٢ — ١٨٥ .

برستد : فجر الضمير ، ص ٣٩٩ — ٤٠٥ .

أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٤٣٣ ، ٤٤٦ .

عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٣٦٢ .

(٧٩) أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٤٣٣ .

(٨٠) الأمثال ٢٢ : ٢٠ .

(٨١) برستد : فجر الضمير ، ص ٤٠٧ .

(٨٢) محمد أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص ١٩٢ — ١٩٦ .

(٨٣) Rowe, A., The Topography and History of Beth Shan, Philadelphia, 1930, PP. 19 ; 24.
Eissfeldt, C.A.H.,3 2B, 1980, P. 599.

(٨٤) عبد الحميد زايد : القدس الخالدة ، ص ٧٠ .

(٨٥) الملوك الأول ٦ : ٣ — ٦ ، ١٤ — ١٥ .

(٨٦) اندريه ايمان وجانين أبوايه : الشرق واليونان القديمة ، ترجمة فريد دافر وفؤاد أبو ريحان ، بيروت ، ١٩٦٤ ، ص ٢٦٧ .

(٨٧) حسن ظاظا : القدس ، ص ٣٧ — ٤٢ .
Kenyon, Op. Cit., PP. 245 — 247.
Yadin, The Art of Warfare in Biblical Lands, London, 1963, PP. 287 — 288.

(٨٨) حسن ظاظا : القدس ، ص ٤١ — ٤٢ .

(٨٩) لوبون : المرجع السابق ، ص ٦١ .

(٩٠) Lods, A., La Religion d'Israel, Paris, 1908, PP. 110 — 111.

(٩١) Lods, Israel From its Beginning, P. 428.

(٩٢) صموئيل الأول ٤ : ٤ .

(٩٣) صموئيل الثانى ٦ : ٢ .

(٩٤) فؤاد حسنين : اسرائيل عبر التاريخ ، جـ ١ ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ٢١٦ .

(٩٥) Mowinckel, S., Le Decalogue, Paris, 1027, PP. 67 — 68.
Lods, Israel from its Beginning., P. 427.

(٩٦) Ibid., P. 434.

(٩٧) عبد الحميد زايد : القدس الخالدة ، ص ٧٠ — ٧١ .

(٩٨) محمد أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٥٣ .

(٩٩) ويلسون : الحضارة المصرية ، ص ٤٩٠ .

(١٠٠) عبد الحميد زايد : القدس الخالدة ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص ٧٠ .

(١٠١) البرايت : آثار فلسطين ، ص ١٢٧ .

(١٠٢) موسكاتى : تاريخ الحضارات السامية القديمة ، ص ١٣٥ .

(١٠٣) تثنية ٩ : ١٢ ، ٢٧ : ٥ ، قضاه ١٧ : ٣ — ٤ .

(١٠٤) قضاة ١٧ : ٣ ، اشعياء ٤٤ : ١٥ ، ٤٥ : ٢٠ .

(١٠٥) الخروج ٢٠ : ٤ ، ٢٤ : ١٧ ، واشعياء ٤٠ : ١٩ .

(١٠٦) الخروج ٢٠ : ٢٣ ، ٣٢ : ٣١ .

(١٠٧) فؤاد حسنين : المرجع السابق ، ص ٢٢١ — ٢٢٢ .

(١٠٨) الملوك الأول ١٢ : ٢٨ — ٢٩ .

(١٠٩) Bertholet, A., Histoire de La Civilisation d'Israel, Paris, 1929, P. 383.

(١١٠) صموئيل الأول ١٩ : ١٣ – ١٧ .
Lods, A., Israel from., P. 429.

(١١١) Loisy, A., La Religion d'Israel, Paris, 1908, PP. 81 — 82.
Lods, Op. Cit., P. 429.
الملوك الثانى ١٨ : ٤ .

(١١٢) العـدد ٢١ : ٨ – ٩ .

(١١٣) قضـاة ١٧ : ٥ .

(١١٤) الملوك الأول ١٢ : ٢٨ – ٢٩ .

(١١٥) البرايت : آثار فلسطين ، ص ١٠٦ .
موسكاتى : المرجع السابق ، ص ١٣٥ .

(١١٦) برستد : فجر الضمير ، ص ٣٨٦ .

(١١٧) البرايت : آثار فلسطين ، ص ١٣٤ – ١٣٥ .

(١١٨) عبد الحميد زايد : القدس الخالدة ، ص ٧١ ، البرايت : المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

(١١٩) موسكاتى : المرجع السابق ، ص ١٣٤ – ١٣٥ .

الخاتمـــة

استفادت مصر من غزو الهكسوس درســا مهما ، حيث أدركت ان فلسطين تمثل خط الدفاع الأول عن حدودها الشرقيــة ، من هنا أصبح مبدأ مصر فى سياستها تجـاه فلســطين هو السيطرة المباشرة عندما تكون قادرة على ذلك أو غير المباشرة اذا انتابتهــا هزة داخلية ، كما انها عملت على الا تنفرد قوة داخليــة أو خارجية بالسيادة على فلسطين ، بمعنى ان هــذه العلاقة توقفت على أحوال مصر الداخليــة فى المقــام الأول ، فمادامت قوية ظلت فلســطين تدين لها بالولاء والطاعة ، والعكس صحيح •

قرب نهاية الدولة الحديثة سارت الأوضــاع الداخلية فى مصر من سىء الى أســوأ ، وكان ذلك نتيجــــة لعدة عوامل ، منهــا الداخلى مثل الأزمة الاقتصادية وما ترتب عليها من سوء الأحوال الاجتماعية والسياســية والأمنية ومنها الخــارجى ممثلا فى حروب مصر فى الشرق والغرب ضد الليبيين وشعوب البحر والتى نتج عنها استيطان بعض هذه العنــاصر فى غربى آسيا ، بل واستقرار بعضهم الآخر فى مناطق من مصر نفسنها •

انعكست هذه الأوضاع الداخلية على موقف مصر فى آســيا فانحسر نفوذها عن هذه المنطقة ، وفى رحلة « ونامون » خير مثال

على ذلك ، كما تعرضت مصر لغزو شعوب البحر ، ورغم نجاح كل من مرنبتاح ورمسيس الثالث فى وقف تقدمهم صوب مصر حربيا فانهم استقروا سلميا على حدودها الشرقية وفى فلسطين وفى بعض موانىء الشاطىء الفينيقى •

اما فلسطين فقد كانت مقسمة الى العديد من الممالك الصغيرة التى اتاح لها انحسار السيادة المصرية الفرصة للاستقلال ، بل قيام المنافسة والصراع فيما بينها لمحاولة كل منها بسط سيادتها على الأخرى ، وكان يستوطنها فى تلك الفترة الكنعانيون والمؤابيون والأدوميون والبلست والعبريون •

استمر تدهور أحوال مصر الداخلية ، ومع بداية الأسرة الواحدة والعشرين انقسمت البلاد واقعيا الى مملكتين ، الأولى فى الشمال ويحكمها بيت « نسبا نب جد » وعاصمتها تانيس ، والثانية فى الجنوب ويحكمها بيت « حريحور » وعاصمتها « طيبة » واتبع البيان سياسة الوفاق فيما بينهما ، وفى سبيل تحقيق ذلك زوج بعض ملوك « تانيس » بناتهم كهنة « طيبة » لضمان مشاركتهم فى كهانة « آمون » وان كان لهذه السياسة وجه آخر ، حيث نقلت بنات تانيس لكهنة طيبة وأبنائهم حقوقا شرعية استغلها بعضهم فى اتخاذ الألقاب الملكية ، وكان لذلك أثره السلبى على حالة مصر السياسية فى تلك الفترة •

شغلت مصر بأحوالها الداخلية تاركة فلسطين وشأنها مما هيأ الفرصة لقيام ممالك قوية مثل مملكة العبريين ، وكان وراء قيام هذه المملكة العديد من العوامل ، منها تعرض العبريين للخطر المستمر من الكنعانيين والبلست ، ومنها أيضا معرفة العبريين بوجود محاولات سابقة لقيام النظام الملكى ، كما كان العبريون

يرغبون فى أن يكون لهم ملوك مثل جيرانهم الكنعانيين والأدوميين والمؤابيين ، استمد العبريون أسس ملكيتهم هذه من بلاد الرافدين وان كانوا قد أدخلوا عليها من التعديلات ما جعلها تلائم ظروفهم ومعتقداتهم ، ويتضح ذلك من معارضة الأنبياء للحكم الملكى المستبد ، وتأكيدهم دائما على ان يهوه هو ملكهم الوحيد ، وادراكهم الكامل بأن الملكية بدعة كنعانية ، وبعد قيام الملكية أصبح الملك لا يتمتع بأى مميزات أكثر من ذى قبل ، بل انه شخص خاضع ليهوه ومهمته هى المحافظة على عدالته وتنفيذ حكمه على الأرض وكان الملك هو الرابطة بين يهوه وشعبه .

كان لقيام الملكية الاسرائيلية أثر كبير على أحوال فلسطين ، حيث حاول العبريون زيادة مساحة مملكتهم على حساب جيرانهم ، من هنا كان صراعهم مع الفلسطينيين ، ذلك الصراع الذى استمر طوال عصر الملكية ، ورغم ذلك لم يتمكن العبريون من بسط سيادتهم على الاقليم الساحلى ، ثم كان صراعهم مع الأدوميين حيث تمكن داود من غزو مملكتهم واحتلالها .

رغم ضعف مصر الداخلى عملت على تحقيق سياستها تجاه فلسطين ، فكلما شعرت بالقوة وجهت الحملات لغزوها ، فكانت حملة « سيامون » من الأسرة الحادية والعشرين ، ثم حملة شاشانق الأول من الأسرة الثانية والعشرين ، فاذا أصبحت غير قادرة على توجيه هذه الحملات استماتت فى الحيلولة دون انفراد قوة داخلية بالسيادة على فلسطين ، من هنا كان وقوفها بجانب الفلسطينيين ضد مملكة داود ومن بعده سليمان ، وايضا مساعدتهم للأدوميين ضد نفس المملكة ، ثم عملت مصر جاهدة على تفتيت قوة العبريين حتى تحقق لها ما أرادت بعد موت سليمان ، فانقسمت مملكتهم الى اسرائيل فى الشمال ويهوذا فى الجنوب ، والأكثر من ذلك أن مصر

كانت تتحول من العداء السافر الى عقد التحالف مع العدو اذا كان فى ذلك ما يحقق مصلحتها ، من هنا كان تحالف سيأمون مع سليمان ، ذلك التحالف الذى تعزز بزواج الملك العبرى من ابنه فرعون ·

كان نتيجة السياسة التى أتبعها ملوك الأسرتين العشرين والحادية والعشرين فى ادارة شئون الحكم والسماح للعناصر الأجنبية بالاستقرار فى مصر ان قامت الأسرة الثانية والعشرون من العناصر الليبية التى وجدت طريقها الى مصر واستقرت فى بعض اقاليمها لاسيما فى منطقة بوبسطة بشرق الدلتا ·

لم تشهد مصر فى عصر هذه الأسرة محاولات جادة لمعالجة ازمة وحدتها السياسية التى ظهرت بصورة شكلية فى عهد شاشانق الأول مؤسس الأسرة ، والذى كان لسياسته هو واسرته الأثر على حالة مصر السياسية ، حيث وقعت فريسة للانقسامات الداخلية بين الشمال والوسط والجنوب ، وداخل هذه الوحدات السياسية الثلاث · فبعد أن كان انقسام البلاد فعليا اتخذ الشكل الرسمى باعلان « بدو ــ باست » ، نفسه ملكا فى « لنتو بولس » (تل المقدام) وبه تبدأ الأسرة الثالثة والعشرون حوالى ٨١٨ ق·م وأصبحت الأسرتان متعاصرتين ، ومنذ ذلك الوقت تركت البلاد فى أيدى رؤساء محليين حتى انتهي الأمر بأن أعلن معظمهم استقلالهم بالمدن الرئيسية فى مصر الوسطى والعليا (هيراقليوبولس ــ هيرموبولس ــ طيبة) ، وأصبحوا يشيرون الى أنفسهم وكأنهم ملوك مستقلون ، وانتحل بعضهم الألقاب الفرعونية وكتب اسمه داخل خرطوش ، أما الشمال فلم يكن اسعد حظا من الجنوب حيث ظل رؤساء الماشواش وكهنة بتاح يحكمون فى منف ، أما شرق الدلتا فكان وسركون الرابع فى تانيس وأيبوت الثانى فى تل

المقدام « ونخت حرناسنوت » فى « بر ــ جرر » و « باثنف » فى « بر ــ سيد » (صفط الحنة) وفى شمال ووسط الدلتا ظلت منديس (تل الرعة وتل تمى الأمديد) امارة « للما » وكان « اكانشا » يحكم فى « ثب ــ نثر » (سمنود) الدلتا تمكن تف نخت حاكم سايس من تأسيس الأسرة الرابعة والعشرين .

أثرت هذه الأحوال الداخلية على موقف مصر بين جيرانها فى الجنوب والشرق ، ففى الجنوب كانت النوبة تشهد نموا سريعا لبعض العناصر الكوشية التى تشبعت بأصول الحضارة المصرية القديمة واتخذت نباتا عاصمة لها ، ثم أخذ حكامها يتطلعون الى مد نفوذهم صوب مصر وساعدهم على ذلك أحوالها الداخلية فى ذلك الوقت ، فتمكن الملك كاشتا من بسط نفوذه على طيبة بعد أن استولى على النوبة السفلى ثم تمكن « باى » من غزو مصر واعلان نفسه ملكا عليها ، واستمر الحال هكذا الى أن تمكن شباكا من القضاء على آخر ملوك الأسرة الرابعة والعشرين المناوءة له واعلن قيام الأسرة الخامسة والعشرين فى مصر .

أما فى الشرق فبالاضافة لضعف مصر كانت فلسطين وسوريا تعانيان النزاعات الداخلية ، مما هيأ الفرصة لقوة فتية أن تتدخل فى بلاد الشام ونعنى بهم الآشوريين ، فكانت حملات تيجلات بيليسر الثالث الذى استولى بمقتضاها على بلاد الشام وادخلها ضمن المقاطعات الآشورية واتبع نحوها نظام الترحيل الجماعى لسكانها واحل مكانهم سكان من مناطق اخرى ، وكان وراء ذلك أهداف اقتصادية وسياسية ، وتابعه فى هذه السياسة من جاء بعده من ملوك آشور (سرجون الثانى ــ سناحريب) ولكن رغم هذه السياسة الوحشية لم تنقطع ثورات بلاد الشام فى وجه الآشوريين فكان تمرد هوشع ملك السامرة على السيادة

الآشورية ورفض دفع الجزيـة السـنوية ، وتحاشـيا لانتقـام آشور قام بالاتصـال بمصر وطلب عونها ويميل الباحث الى أن الملك المقصـود الذى حكم مصر خـلال تلك الفترة ولم يذكره العهد القديم هو « تف ـ نخت » وان لفظة « سـوا » التى جاءت فى العهد القديم هى اسم « سـاوا » أو « سايس » عاصمة « تف ـ نخت » ، ثم كانت ثورة أشـدود وعصيان هانو حاكم غزة الذى خلع الحـاكم الآشورى وطرد الحاميـة ومن الواضح أن مصر كانت وراء كل هذه الثورات وتلك التمردات ، اما بارسـال الامدادات والجنود كما حدث فى موقعة قرقر ، واما بوعد هذه الممالك بالمساعدة لتشجيعها على الثورة كمـا حدث مع هوشـع ملك السامرة .

وعلى ذلك ظلت مصر تعمل على اشعال الثورة فى فلسـطين ضد آشـور ، ولثلاث مرات اجتاحت الجيوش الآشـورية سوريا وفلسـطين حتى الحـدود المصرية ، ولثـلاث مرات ولأسـباب مختلفة ـ كانت مصر عاملا مهما فى المرات الثلاث ـ يعودون دون أن يعبروا هذه الحدود ، الا أن النهاية لم تكن بعيدة الوقوع حيث كان على مصر أن تواجه سنة الحيـاة فى شيخوختها الثالثة ، وبلغ الأمر مداه فجهز الملك الآشـورى أسرحدون كل امكانياته لغزو مصر باعتبارها آخر مناطق الشرق القديم بعدا عن نفوذه وأملا فى القضـاء على ما بقى لها من قدرة على المنافسة الحربيـة وطمعا فى ثرائها وقطع معونتها عن حلفائها فى فلسطين وسـورية وتحقق أمل آشـور فى احتلال مصر عام ٦٧١ ق.م .

اذا كانت العلاقات السياسية بين مصر وفلسطين قد اتسمت بالمد والجزر ، الا أن التأثيرات الحضـارية ظلت متبادلة بين البلدين، حيث انها ليست سريعة الزوال كالنظم السياسـية وقد وجدنا هذه التأثيرات واضحة تماما فى المجـالات المختلفـة مثل الفكر الدينى والأدب والعمارة والفن .

المصادر والمراجع

أولا ــ المراجع العربية والمعربة

ابراهيم ، نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم ، ج ٣ ، سورية ، ط ٣ ، دار المعارف ١٩٦٦ .

أبو بكر ، عبد المنعم : اخناتون ، القاهرة ١٩٦١ .

ــــــــ وآخرون : العراق القديم ــ تاريخه وحضارته ، الألف كتاب ٥٩ بدون تاريخ .

أبو طالب ، محمــود : آثار الأردن وفلسطين فى العصور القديمة ، الأردن ١٩٨٠ .

احمد ، محمد خليفة : دراسات فى تاريخ وحضــارة الشعوب السامية القديمة ، القاهرة ١٩٨٥ .

الأحمدى ، سامى ســعيد : « الادارة ونظام الحكم » فى حضــارة العراق القديم ، ج ٢ ، بغداد ١٩٨٥ .

باقــــر ، طـــه : مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة ـ الوجيز فى حضارة بلاد الرافدين ، ج ١ ، ط ٢ ، بغداد ١٩٨٦ .

بكر ، محمــد ابراهيم : تاريخ السودان القديم ، القاهرة ١٩٨٤ .

ــــــــــ : « مدينــة فرعونيــة تقدم أدلة أثريــة جديدة

تؤكد الصلات السامية مع مصر » المجلة التاريخية المصرية ، ٣٠ ، ٣١ ، ١٩٨٣ ـ ١٩٨٤ ٠

جلال ، ألفت محمد : الأدب العبرى القديم والوسيط ، القاهرة ١٩٧٨ ٠

حسن ، سليم : مصر القديمة ، ج ٦ ، القاهرة ١٩٤٩ ٠

ـــــــــــ : مصر القديمة ، ج ٩ ، القاهرة ١٩٥٢ ٠

ـــــــــــ : مصر القديمة ، ج ١١ ، القاهرة ١٩٥٨ ٠

حنون ، نائل : عقائد ما بعد الموت فى حضارة بلاد وادى الرافدين القديمة ، بغداد ١٩٧٧ ٠

زايد ، عبد الحميد : الشرق الخالد ، القاهرة ١٩٦٦ ٠

ـــــــــــ : القدس الخالدة ، القاهرة ١٩٧٤ ٠

سليمان ، عامر : « العلاقات السياسية الخارجية » فى حضارة العراق القديم ، ج ٢ ، بغداد ١٩٨٥ ٠

سعيد ، أحمد محمد : نهاية الأسرة التاسعة عشرة فى مصر (١٢٠٤ ـ ١١٨٤ ق٠م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآثار ـ جامعة القاهرة ١٩٨٩ ٠

سعد الله ، محمد على : الدور السياسى للملكات فى مصر القديمة ، الاسكندرية ١٩٨٨ ٠

شهاب الدين ، تحية محمد : الوحى الالهى فى مصر القديمة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآثار ـ جامعة القاهرة ١٩٨٨ ٠

شكرى ، محمد أنور : العمارة فى مصر القديمة ، القاهرة ١٩٨٦ ٠

صالح ، عبد العزيز : التربيــة والتعـليم فى مصر القديمــة ، القــاهرة ١٩٦٦ ٠

ــــــــــــ : حضــارة مصر القديمــة وآثارهــا ، ج ١ ، الاتجاهات الحضــارية العامــة حتى أواخر الألف الثالث ق٠م ، القاهرة ١٩٨٠ ٠

ــــــــــــ : الشرق الأدنى القديم ، ج ١ ، مصر والعراق ، ط ٣ ، القاهرة ١٩٨٢ ٠

ظاظـا ، حســـن : القــدس ــ مدينــة الله أم مدينــة داود ، الاسكندرية ١٩٧٠ ٠

ــــــــــــ : الفكر الدينى الاسرائيلى ، القــاهرة ١٩٧١ ٠

عبــود ، هنــرى : معجم الحضارات السامية ، بيروت ١٩٨٨ ٠

العزاوى ، داود سليمان : تاريخ العلاقات العراقية المصرية فى فجر التــاريخ حتى الحرب العالميــة الأولى (٣٠٠٠ ق٠م ــ ١٩١٤ م) ، بغداد ١٩٨٤ ٠

عصفور ، محمد أبو المحاسن : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ــ من أقــدم العصــــور حتى مجيء الاســكندر ، ط ٢ ، بيروت ١٩٨١ ٠

فخــرى ، أحمــــد : مصر الفرعونية ، القاهرة ١٩٨٦ ٠

ــــــــــــ : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم مصر ــ العراق ــ سوريا ــ اليمن ــ ايران ، ط ٢ ، ١٩٦٣ ٠

قنديل ، عبد الرازق أحمد : « يهود مصر » مجلة كليــة اللغــات والترجمة جامعة الأزهر ، ١٠ ، ١٩٨٦ ٠

كامل ، وهيب : ديودور الصقلى فى مصر ، القاهرة ١٩٤٧ .

مصطفى ، عادل سيد : دراسة تاريخية وحضارية للأسرة الرابعة والعشرين فى مصرالفرعونية ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب جامعة الاسكندرية ١٩٩٠ .

موسى ، محمد العزب : موسى مصريا ، القاهرة ١٩٦٩ .

نور الدين ، محمد عبد الحليم : دور المرأة فى مصر القديمة ، ألقابها ووظائفها ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٦٦ .

ارمان ، ادولف : ديانة مصر القديمة ، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ، القاهرة ١٩٥٢ .

ارمان ، ادولف ورانكه ، هرمان : مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة ، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ، القاهرة ١٩٥٣ .

البرايت، وليم : آثار فلسطين ، ترجمة زكى اسكندر ومحمد عبد القادر ، القاهرة ١٩٧١ .

ايمار ، أندريه وأبوايه ، جانيين : الشرق واليونان القديمة ، ترجمة فريد داغر وفؤاد أبو ريحان ، بيروت ١٩٦٤ .

برستد : جيمس هنرى : تاريخ مصر من أقدم العصور الى الفتح الفارسى ، ترجمة حسن كمال ، القاهرة ١٩٢٩ .

________ : فجر الضمير ، ترجمة سليم حسن ، القاهرة ١٩٥٦ .

بريتشارد ، جيمس : نصوص الشرق الأدنى القديمة المتعلقة بالعهد القديم ، ج ١ ، ترجمة عبد الحميد زايد ، القاهرة ١٩٧٨ .

تشرنى ، ياروسلاف : الديانة المصرية القديمة ، ترجمة أحمد قدرى، هيئة الآثار المصرية (مشروع المائة كتاب) الكتاب السادس ، هيئة الآثار المصرية ، ١٩٨٧ .

جاردنر سير آلان : مصر الفراعنة ، ترجمة نجيب ميخائيل ابراهيم ، القاهرة ١٩٧٣ .

دريوتون ، ايتين وفانديه ، جاك : مصر ، ترجمة عباس بيومى ، القاهرة ١٩٥٠ .

دوماس ، فرانسوا : الهة مصر ، ترجمة زكى سوسن ، القاهرة ١٩٨٦ .

ديلاثورت : بلاد ما بين النهرين ـ الحضارتان البابلية والآشورية ـ ترجمة محرم كمال ، بدون تاريخ .

رو ، جورج : العراق القديم ، ترجمة حسين علوان حسين ، بغداد ١٩٨٦ .

سيجال : حلول تاريخ الأنبياء عند بنى اسرائيل ، ترجمة حسن ظاظا ، بيروت ١٩٦٧ .

شارف ، الكسندر : تاريخ مصر من فجر التاريخ حتى أنشأ مدينة الاسكندرية ، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ، القاهرة ١٩٦٠ .

فرانكفورت ، هنرى : فجر الحضارة فى الشرق القديم ، ترجمة ميخائيل خورى ، بيروت ١٩٥٩ .

ـــــــ وآخرون : ما قبل الفلسفة ، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا ، بغداد ١٩٧٤ .

فرويد ، سيغموند : موسى والتوحيد ، ترجمة جورج طرابيشى ، بيروت ١٩٧٣ ٠

كريمر : صمويل نوح : من الواح سومر ، ترجمة طه باقر ، بغداد ٠

لوبون : غوستاف : حضارة بابل وآشور ، ترجمة محمود خيرت ، القاهرة ١٩٤٧ ٠

———— : اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى ، ترجمة عادل زعيتر ، نابلس ، بدون تاريخ ٠

ماير ، ادوارد : حيادة صمويل النبى ، ترجمة مرقس داود ، القاهرة ١٩٦٧ ٠

موسكاتى ، سبتينو : الحضارات السامية القديمة ، ترجمة السيد يعقوب بكر ، القاهرة ١٩٦٨ ٠

ماسبيرو ـ جاستون : تاريخ المشرق ، ترجمة أحمد زكى ، القاهرة ١٨٩٧ ٠

هيردوت يتحدث عن مصر : ترجمة محمد صقر خفاجة ، القاهرة ١٩٨٧ ٠

ويلسون ، جون : الحضارة المصرية ، ترجمة احمد فخرى القاهرة ١٩٥٥ ٠

يويوت ، جان : مصر الفرعونية ، ترجمة سعد زاهران ، القاهرة ١٩٦٦ ٠

Aharoni, Y., The Northern Boundary of Judah», P.E.Q., 90, 1958, PP. 27 — 31.

————— , The Land of The Bible, A Historical Geography, Translated from the Hebrew by Rainey, AF., London, 1970.

Albright, W.F., The Biblical Period, from Abraham to Ezra, N.Y., 1936.

————— , «New Light from Egypt on the Chronology and History of Israel and Judah», B.A.S.O.R., 130, 1953, PP. 4 — 11.

————— , «The Amarna Letters», A.N.E.T., 1969, PP. 438 — 490.

————— , The Amarna Letters from Palestine, S.A.H3.. 2A. 1980, PP. 98 — 107.

————— , The Sea People in Palestine, C.A.H3., 2A. 1980, PP. 705 — 715.

Al-Amir, Mustafa, «Monogamy, Polygamy, Endogamy and Consanguinity in Ancient Egyptian Marriage», B.I.F.A.O., 62, 1964, PP. 103 — 107.

Allen, C.M., (ed.) The Eerdmans Bible Dictionary, 1987.

Andre, P.R., Chronologie égyptienne, Les Hebvreux en Egypte, Paris, 1968.

Astour, M., C., Hellensoemitica, Leiden, 1965.

Atlas of the Bible, 1987.

Barnett, R.D., «The Sea Peoples», C.A.H3., 2A, 1980, PP. 359 — 371.

Bartlett, J.R., «The Moabites and Edomites» in Wiseman, D.J., Peoples of The Old Testament Times, Oxford, 1073.

Bates, O., The Eastern Libyans, London, 1914.

Bermant, C.H., and Weitzman, M., E.B.L.A, An Archaeological Enigma, London, 1979.

Blackman, A.H., «On the Position of Wonen in the Ancient Egyptian Hierarchy», J.E.A., 7, 1927, PP. 8 — 30.

Bliss, F.J., and Macalister, A.S., Excavtion in Palestine, London, 1902.

Blegen, C.W., «The Expansion of the Mycenaean Civilization», C.A.H3., 2A, 1980, PP. 172 — 179.

Bonfont, G., «Who were the Philistines ?» A.J.A., 50, 1946, PP. 251 — 261.

Borger, R., «Das ende des Agyptischen feldherrn Sib'E», J.N.S.E., 19, 1960, PP. 49 — 53.

Botti, G., «Who Succeeded Ramesses IX Nefer ke re ?», J.E.A., 14, 1928, PP. 48 — 51.

Breasted, J.H., Ancient Records of Egypt, IV, Chicago, 1906.

Bright, J.A., History of Israel, London, 1972.

de Buck, A., «The Judical Papyrus of Turin», J.E.A., 23, 1937, PP. 152 — 164.

Budge, E.A.W., Egyptian Magic, London and Boston, 1986.

Bury, J.B., A History o fGreece, 4th, ed., Oxford and London 1987.

Capart, J., and Gardiner, A.H., «New Light on the Ramesside Tomb-Robberies», J.E.A., 22, 1936, PP. 169 — 193.

Catling, H.W., «Cyprus in the Late Bronze Age» C.A.H3., 2A, 1980, PP. 188 — 215.

Terny, J. «A Note on the Repeating of Births», J.E.A., 15, 1929. PP. 194 — 199.

————, «Fluctuation in the Grain Prices during the Twentieth Dynasty» A.O., 6. 1933, PP. 173 ff.

————, «Studies in the Chronology of Twenty-first Dynasty», J.E.A., 32, 1946, PP. 24 — 30.

————, «Egyptian Oracles» in Parker, R.A., A Saite Oracle Papyrus from Thebes, Previdence, 1961.

Terny, J., «Egypt from the Death of Ramesses III to the End of The Twenty-first Dynasty», C.A.H3., 2B. 1980.

Chaban, M., : Fouilles a Achmounein», A.S.A.E., 8, 1908, PP. 210 — 223.

Childs, B.S., Isaiah and The Assyrain Crisis, London, 1967.

Clermont — Ganneau, G.A., La Stèle de Mesa, Paris, 1887.

Maressy, G., «Fouilles de L'angle nord-Ouest de L'Een-ciente du grand Temple d'Amon a'Karnak», A.S.A.E., 22, 1922, PP. 60 — 64.

Daumas ,F., La Civilisation de L'Egypte pharaonique, Paris, 1965.

Douthan, M., «The Excavation at Tell Mor», I.E.J., 10, 1960, PP. 123 — 125.

Dothan, T., The philistinges and Their Material Culture, New Havan and London, 1982.

Douglas, J.D., (ed.) The New Bible Dictionary, London, 1965.

Driver, S.,, Notes on the Hebrew Text of the Books of Samuel, Oxford 1913.

Driver, G.R., and Miles, J.C. The Babylonian Laws, London, 1955.

Edgerton, W.., «The Government and Governed in The Egyptian Empire J.N.E.S., 6, 1947, PP. 152 — 160.

———————, «The Strickes in Ramesses III's Twenty Ninth Year», JN.E.S., 10, 1951, PP. 137 — 145.

Edgerton, W.F., and Wilson, J., Historical Records of Ramesses III, Chicago, 1936.

Erman, A., The Literature of the Ancient Egyptian, London, 1927.

Faukner, R.O., «The wars of Sethos I». J.E.A., 33, 1947, PP. 34 — 39.

———————, «Egypt from the Inception of the Ninetenth Dynasty to the Death of Ramesses III» SA.H3., 2A, 1980.

Frankfort, H., Kingship and the Gods, Chicago, 1948.

———————, «Egyptian and Assyrian Relisfs», Netherlands Year-Book for History of Art, 5, 1954, PP. 1 — 10.

Freedman, D.N., «A Moabite Inscription from Kerank», B.A.S.O.R., 175, 1964, PP. 50 — 51.

Gaballa, GA., «Three Documents from the Reign of Ramesses III» J.E.A., 59, 1973, PP. 109 — 113.

———————, Narrative in Egyptian Art, Mainz, 1976.

Gardiner, A.H., «The Ancient Military Road between Egypt and Palestine», J.E.A. 6, 1920, PP. 99 — 116.

———————, Egypt Grammar, Oxford, 1927.

———————, Late Egyptian Stories, Brussels 1932.

———————, «Ramesside Texts Relating to the Taxation and Transport of Corn», J.E.A., 27, 1941, PP. 41 — 72.

———————, Ancient Egyptian Onomastica, 2 Vols, Oxford, 1947.

Glueck, N., The Other Side of the Jordan, New Haven 1945.

Goedicke, H., «The End of (So) king of Egypt». B.A.S.O.R., 171. 1963, PP. 64 — 66.

Goedicke, H., «Was Magic Used in the Harem Conspiracy aganist Ramsses III»., J.E.A. 94, 1964, PP. 86 — 91.

————, «Consideration on the Battle of Kadesh», J.E.A., 52, 1966. PP. 72 — 80.

————, The Report of Wenamun, Baltimor and London, 1976.

Goetz, A., «Hittite Historical Texts», A.N.E.T., 1969.

Griffith, F., «Akhenaten and the Hittites», J.E.A. 9. 1923, PP. 78 ff.

————, «The Teaching of Amenophis the son of Kanakht», J.E.A., 12, 1926, PP. 181 — 231.

Hall, H.R., «Egypt and The External World in The Time of Akhenaton» JE.A., 7, 1921, PP. 39 ff.

————, «A Ramesside Royal Statue from Palestine», J.E.A., 14, 1928 ,PP. 280 — 281.

————, The Ancient History of the Near East, 11th ed., London, 1963.

Hitti, Ph.K., History of Syria, London, 1951.

Hograth, D.G., «Egyptian Empire in Asia», J.E.A. 1, 1914, PP. 9 — 17.

Honer, L.L., Sennacherib's Invasion of Palestine, 1926

Hook, S.H., Myth and Ritual, London, 1963.

Jacobsen, T., «The Concept of Divine Parentage of the Ruler in the Stele of the Vultures», J.N.E.S., 2, 1943. PP. 119 — 121.

Kees, H., Herihor und die Aufrichtung des Thebanischen Gottesstats, Gottingen, 1936.

————, Ancient Egypt, Acultural Topography, Tranlated by Morrow, F.D., 1961.

Keller, W., The Bible as History, London, 1967.

Kenyon, K.M., «Excavation in Jerusalem» P.E.O., 95. 1963.

Kenyon, Archacology i nthe Holy Land, London, 1970.

Kevin, R.O., The Wisdom of Amen-em-opet and Its Possible Dependence upon the Hebrew Book of Proverbs, Philadephia, 1931.

Kitchen, K.A., «Some New Light on the Asiatic Wars of Ramesses II», J.E.A., 50, 1964, PP. 68 — 79.

————, «The Philistines» in Wiseman, Peoples Of Old Testament Times, Oxford, 1973.

————, On The Princdoms of Late Libyan in Egypt, C.d.E., 52, 1977.

————, The Third Intermediat Period in Egypt (1100 — 650 B.C.) 2nd ed., Warminster, 1986.

————, «Egypt and Israel during the First Millennium B.C,» V.T., 40, 1988, PP. 107 — 123.

Kraeling, G., Aram and Israel, N.Y., 1918.

Labat, R., Le caractère religieux de la royaute — assyro babylonienne, Paris 1939.

Lacau, P., et, Chevrier, H., Une Chapelle de Sesostris Ler à Karnak, Le Caire, 1956.

Leclant ,J., and Yoyotte, J., «Notes dHistoire et de civilisation ethiopiennes», B.I.F.A.O., 51, 1958, PP. 1 — 30.

Lefebre, G., Histoire de grands prêtres d'Amon de Karnak

Jusqu'à la xxi Dynastie, Paris, 1929.

Leo Oppenheim, L.A., «Babylonian and Assyrian Historical Texts», A.N.E.T., 1969.

————— , «Histroiographi Documents, The Sumerian King List», A.N.E.T., 1969.

Lods, A., La Religoin d'Israel, Paris, 1908.

————— , Isdrael from Its Beginning to the Middle Eight Sentury, London, 1972.

Louis, D.L., «The Second Campaign of Sennacherib»,

J.N.E.S., 32, 1973, PP. 312 — 317.
lonia, 2 Vols 1926 — 1927.

————— , «Annals of Sennacherib» O.I.P., 2 PP.

Luckenbill, DD., Ancient Records of Assyria and Baby-
9 — 19.

Macalister, R.A.S., The Excavation of Gezer, 3 Vols, London, 1912.

Malamat, A., «The Kingdom of David and Solomon, in Its Cantact with Egypt and Aram Naharaim» B.A. 21, 1958. PP. 96 — 102.

————— , Aspects of Foreign Policies of David and Solomon, J.N.E.S., 22, 1063, PP. 1 — 17.

Malamat, A., Campaigns to the Mediterranean Iahd-unlim and other Early Mesopotamian Rulers, Chicago 1965.

Mariette, A., Le Serapeum de Memphis III, Paris, 1875.

Maspero, G., Histoire Ancienne des peoples de L'Orient Classique Tome III, Paris, 1899.

Mazar, B., «The Campaign of Pharoh Shishak to Palestine» V.T., 4, 1057, PP. 57 — 66.

————— , The Philistines and Their Vars with Israel, New Brunswick, 1971.

Meek, T.J., Hebrew Origins, N.Y., 1950.

Mercer, S.A.B., The Tell El-Amarna Tablets, Toronto, 1939.

Millard, A.R., «The Canaanites» in Wiseman Peoples of Old Testament Times, Oxford, 1973.

Montgamery, J.A., The Books of Kings, London, 1951.

Montet, P., La Drame d'Avaris, Paris, 1940.

————— , Les Constructions et Le Tombeau de Pau-sennes à Tanis, La Necropole royale de Tanis) Tome II, Paris, 1951.

Mowinckel, S., LeMe caloque, Paris 1927.

————— , He that Cometh, N.Y., 1954.

Murphy, P., «A Fragment of a Moabite Inscription»., B.A.S.O.R., 125, 1952, PP· 20 — 23.

Naville, E., Festival Hall of Osorkon II, London, 1892.

Nelson, H·, «The Naval Battle Pictured at Medinet Habu» J.N.E.S., 2, 1943, PP. 40 — 55.

«Nims, ch.,» An Oracle Date din the Repeting of Births» J·N.E.S., 7, 1948, PP. 157 — 162.

Noth, M., The History of Israel, London, 1965.

Oesterley, W.O.E., «Egypt and Israel». in Glanville, The

Legacy of Egypt, Oxford, 1947, PP. 218 — 248·

——————, and Robinson, A History of Israel, London 1951.

Olmstead, A.T., Western Adsia in the Days of Sargon (722 — 705 B.C.), 1909.

——————, Western Asia in the Reign of Sennacherib of Assyria (705 — 681 B·C.) 1911.

Paul, J., A History of The Jews, N.Y., and London, 1987.

Peet, E., Egypt and The Old Testament, Liverpool, 1922.

——————, «The Supposed Revolution of the High — Priest Amenhotpe under Ramesses IX», J.E·A., 12, 1026, PP. 254 — 258.

——————, «The Chronological Problems of the Twentieth Dynasty»., J.E.A., 14, 1928, PP· 52 — 73.

——————, The Great Tomb-Robberies of the Twentieth Egyptien Dynasty, 2 Vols., Oxford, 1930.

Pederson, J., Israel, Its Life and Culture, Copenhagen, 1962·

Petrie, W.M.F., and Tufnell, 0·, Beth Pelet, Vol, 1, London 1930.

Petrie, W.M.F., A History of Egypt from XIXth to XXXth Dynasty III, London, 1906.

————, The Linking of Egypt and Palestine, Antiquit, 4, 1930, PP· 279 — 284.

————, »Gaza» Antiquity, 4, 1930, P. 277.

————, «Links of Palestine and Egypt : A.E. 1935, PP. 143 — 145.

————, Palestine and Israel, Historical Notes, 1934.

Pritchard, J·, New Evidence on the Role of the Sea Peoples in Canaan in the Beginning of The Iron Age, Beirut, 1967.

————, (ed.), Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Iestament, New Jersey, 1969.

Redford, D.B., Akhenaten, The Heretic king, Princeton, 1984.

Ropinson, H., A History of Israel, London, 1932·

Roth, C., A Short History of the Jewish People, London, 1969.

Roux, G., Ancient Iraq, Pelican Books, London, 1964.

Rowe, A., The Topography and History of Beth Shan, Philadelphia, 1930.

Rowley, H.H., «The Problem of the Exodus»., P.E.Q., 90, 1958. PP. 46 — 60.

Sander-Hansen, C.E., Das Gottesweib des Amon, Kopenhagen, 1940.

Schulman, A.R., Diplomatic Marriage in the Egyptian New Kingdom» J.N.E.S., 38 (1979).

———————, «The Curious Case of Hadad the Edomite», Egyptological Studies in Honor or Richard R. Parker, 1986.

Simons, J., Handbook for the Study of Egyptian Topographical Lists Relating to Western Asia, Brill, 1937.

Simpson, D.C., «The Hebrew Book of Proverbs and the Teaching of Amenophis», J.E.A., 12, 1926, PP. 232 — 239.

Smith, E.G., The Royal Mummies, Cairo, 1912.

Spalinger, A., «The Foreign Policy of Egypt Preceeding the Assyrian Conqest»., S.d.E., 53, No. 105, 1978, PP. 33 — 47.

Speiser, E.A., Introduction to Hurrian, New Haven 1940 — 41.

———————, «Akkadian Myths and Epics, Old Babylonian Version» A.N.E.T., 1969.

Spiegelberg, W., «Briefe der 21-Dynastie aus El-Hibe», Z.A.S., 53, 1917, PP. 1 — 30.

Steindorff, G. and Seele, K., When Egypt Ruled the East, Chicago and London, 1957.

Tirard, H.M., «The Solidiers of Ancient Egypt», J.E.A.,

2, 1015 PP. 229 — 233.

Trigger, B.G., et al, Ancient Egypt, Social History, Cambridge 1983.

Pphill, E., «The Nine Bows», J.E.O.L., 19, 1965 — 66, PP. 393 — 420.

Vercoutter, J., L'Egypte et Le Monde égéen Prehellenique, Cairo, 1956.

Weigall, A., Histoir de L'Egypte ancienne, Paris, 1968.

Wente, E., «A Letter of Complaint to The Vizier To»,

J.N.E.S. 20, 1961, PP. 252 — 257.

Wilson, J., The Burden of Egypt, Chicago, 1951.

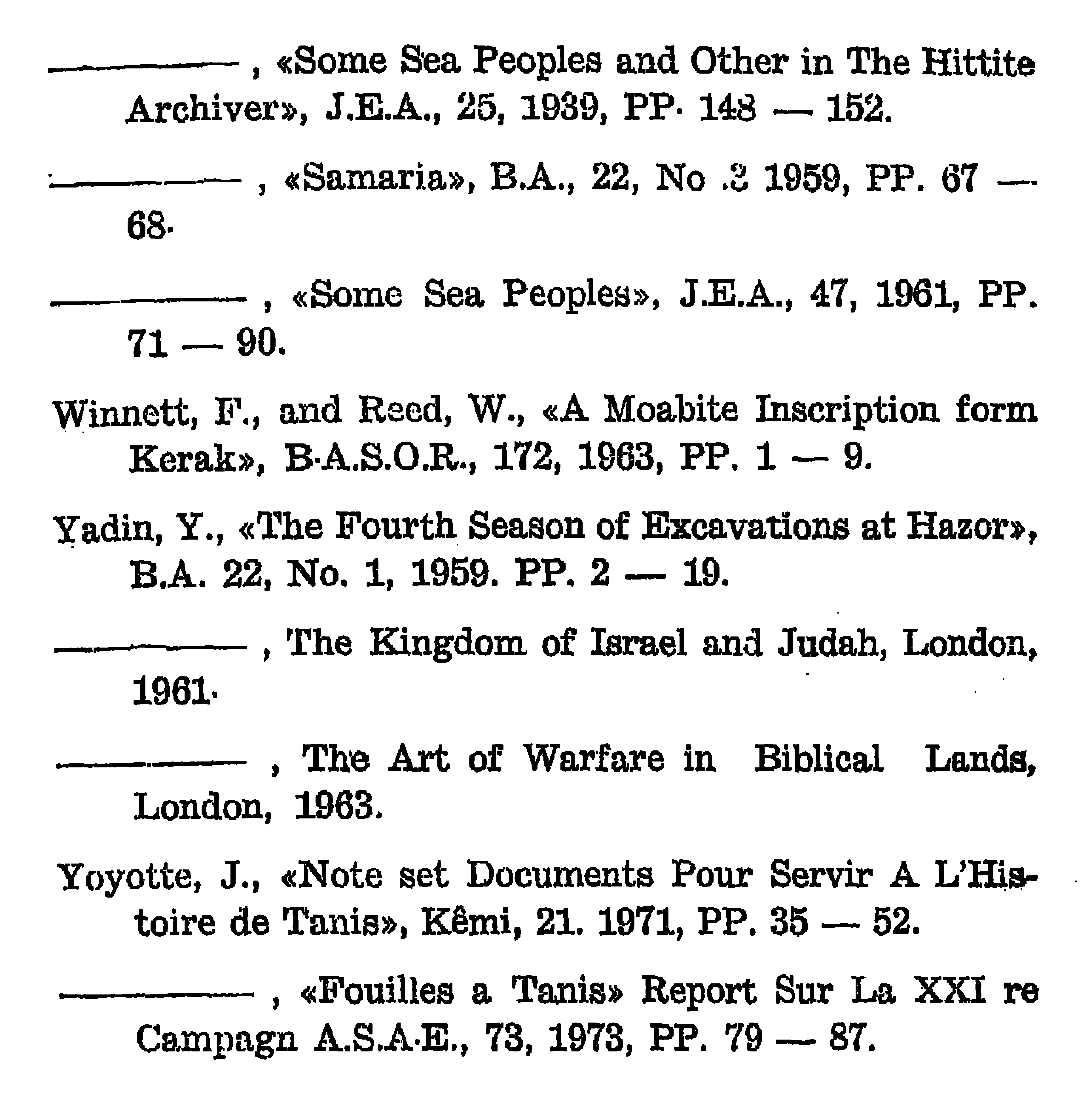
————, «Egyptian Historical Texts», A.N.E.T., 1969.

————, «Egyptian Myths, Tales and Mortuary Texts», A.N.E.T., 1969.

————, «Egyptian Instructions» A.N.E.T., 1969.

Wainwright, G.A., «El-Hibeh and Esh-Shurafa and Their Connection with Herakleopolis and Cusa», A.E.A.E., 27, 1927, PP. 76 — 104.

————, «Keftu», J.E.A., 17, 1931, PP. 26 ff.



————— , «Some Sea Peoples and Other in The Hittite Archiver», J.E.A., 25, 1939, PP. 148 — 152.

————— , «Samaria», B.A., 22, No .3 1959, PP. 67 — 68.

————— , «Some Sea Peoples», J.E.A., 47, 1961, PP. 71 — 90.

Winnett, F., and Reed, W., «A Moabite Inscription form Kerak», B.A.S.O.R., 172, 1963, PP. 1 — 9.

Yadin, Y., «The Fourth Season of Excavations at Hazor», B.A. 22, No. 1, 1959. PP. 2 — 19.

————— , The Kingdom of Israel and Judah, London, 1961.

————— , The Art of Warfare in Biblical Lands, London, 1963.

Yoyotte, J., «Note set Documents Pour Servir A L'Histoire de Tanis», Kêmi, 21. 1971, PP. 35 — 52.

————— , «Fouilles a Tanis» Report Sur La XXI re Campagn A.S.A.E., 73, 1973, PP. 79 — 87.

الفهـــرس

الموضـــوع	الصفحة
تقـــديم	٥
قائمـــة الاختصـــارات	٧
مقدمـــــة	١١

الفصـــل الأول :

مصر وفلسطين قبيل القرن الحـادى عشر ق٠م	٢١
أولا ـ مصـــر	٢٣
١ ـ الأحوال الداخليـة	٢٤
٢ ـ الأحوال الخارجيـة	٣٩
ثانيـا ـ فلســطين	٥١
١ ـ جغرافية فلســطين السياسية	٥١
٢ ـ بدء الصراع بين العبرانيين والفلســطينيين	٦٧
هوامش الفصل الأول	٧٠

الموضـــوع	الصفحة
الفصـل الثـانى :	
الانقسام المصـرى والملكية الاسرائيلية من القرن الحـادى عشر حتى منتصف القرن العاشر ق٠م	٨٣
مقدمـــة	٨٥
أولا ـ مصـــر	٨٦
١ ـ الأحوال الداخليـة فى عصر الأسرة الحادية والعشرين	٨٦
ثانيـا ـ فلسـطين	
١ ـ الملكيـة الاسرائيلية	٩٥
٢ ـ الاسرائيليون والفلسـطينيون والأدوميون فى عصـر الملكيـة	١٠٧
٣ ـ مصـر واسـرائيل	١١٤
هوامش الفصـل الثـانى	١٢٦
الفصـل الثـالث :	
مصـر وفلسطين من منتصف القرن العاشر حتى نهاية القرن التاسع ق٠م	١٣٧
مقدمـــة	١٣٩
أولا ـ مصـــر	
١ ـ قيام الأسرة الثانية والعشرين	١٤٠
٢ ـ أحوال مصر الداخلية فى عصر الأسرة الثانية والعشـــرين	١٤٥

الموضـــوع	الصفحة

ثانيـا فلسـطين

١ ـ العبريون بعد سـليمان ١٥٢

٢ ـ مصر وفلسطين فى عهد « شاشانق » الأول ١٥٧

٣ ـ مصر وفلسطين بعد « شاشانق » الأول ... ١٦٥

هوامش الفصـل الثـالث ١٧١

الفصـل الرابـع :

مصر وفلسـطين فى ظل السـيادة الآشـورية من بداية القرن الثامن حتى الربـع الأول من القرن السـابع ق٠م ١٨١

أولا ـ مصـــر

١ ـ الأحوال الداخليـة ١٨٣

٢ ـ الغزو الكوشى وقيـــام الأسرة الخامسـة والعشرين ١٨٩

ثانيـا ـ فلسـطين

١ ـ الأحوال الداخليـة ١٩٢

هوامش الفصـل الرابع ٢٢٠

الفصـل الخـامس :

التأثيرات الحضارية المتبادلة بين مصر وفلسطين ٢٢٩

مقدمـــة ٢٣١

الموضـــوع	الصفحة
١ ـ تبادل عبادة الآلهة بين مصر وفلسطين ...	٢٣٢
٢ ـ الفـكر الديني	٢٣٦
٣ ـ الأدب	٢٥٠
٤ ـ العمـارة	٢٦٣
٥ ـ الفـن	٢٦٩
هوامش الفصل الخامس	٢٧٣
الخاتمـة	٢٨٣
المصادر والمراجع	٢٨٩
أولا ـ المراجع العربية والمعربة	٢٩١

صدر فى هذه السلسلة

١ ـ مصطفى كامل فى محكمة التاريخ،
د. عبد العظيم رمضان، ط ١، ١٩٨٧، ط ٢، ١٩٩٤.
٢ ـ على ماهر،
رشوان محمود جاب الله، ١٩٨٧.
٣ ـ ثورة يوليو والطبقة العاملة،
عبد السلام عبد الحليم عامر، ١٩٨٧.
٤ ـ التيارات الفكرية فى مصر المعاصرة،
د. محمد نعمان جلال، ١٩٨٧.
٥ ـ غارات أوروبا على الشواطىء المصرية فى العصور الوسطى،
د. علية عبد السميع الجنزورى، ١٩٨٧.
٦ ـ هؤلاء الرجال من مصر جـ١،
لمعى المطيعى، ١٩٨٧.
٧ ـ صلاح الدين الأيوبى،
د. عبد المنعم ماجد، ١٩٨٧.
٨ ـ رؤية الجبرتى لأزمة الحياة الفكرية،
د. على بركات، ١٩٨٧.
٩ ـ صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل،
د. محمد أنيس، ١٩٨٧.
١٠ توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية،
محمود فوزى، ١٩٨٧.
١١ مائة شخصية مصرية وشخصية،
شكرى القاضى، ١٩٨٧.
١٢ ـ هدى شعراوى وعصر التنوير،
د. نبيل راغب، ١٩٨٨.
١٣ ـ أكذوبة الاستعمار المصرى للسودان: رؤية تاريخية،
د. عبدالعظيم رمضان، ط ١ ١٩٨٨، ط ٢، ١٩٩٤.
١٤ ـ مصر فى عصر الولاة، من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية،
د. سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٨٨.
١٥ ـ المستشرقون والتاريخ الإسلامى،
د. على حسنى الخربوطلى، ١٩٨٨.
١٦ ـ فصول من تاريخ حركة الإصلاح الاجتماعى فى مصر: دراسة عن دور الجمعية الخيرية (١٨٩٢-١٩٥٢)،
د. حلمى أحمد شلبى، ١٩٨٨.
١٧ ـ القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى،
د. محمد نور فرحات، ١٩٨٨.
١٨ ـ الجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكية،
د. على السيد محمود، ١٩٨٨.
١٩ ـ مصر القديمة وقصة توحيد القطرين،
د. أحمد محمود صابون، ١٩٨٨.
٢٠ ـ دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩: المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبدالرحمن فهمى،
د. محمد أنيس، ط ٢، ١٩٨٨.
٢١ ـ التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى جـ١،
د. توفيق الطويل، ١٩٨٨.

٢٢ - نظرات في تاريخ مصر،
جمال بدوي، ١٩٨٨

٢٣ - التصوف في مصر إبان العصر العثماني
جـ٢ : إمام التصوف في مصر: الشعراني،
د. توفيق الطويل، ١٩٨٨.

٢٤ - الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩-١٩٣٦)،
د. نجوى كامل، ١٩٨٩.

٢٥ - المجتمع الإسلامي والغرب،
تأليف: هاملتون جب وهارولد بووين،
ترجمة : د. أحمد عبد الرحيم مصطفى، ١٩٨٩.

٢٦ - تاريخ الفكر التربوي في مصر الحديثة،
د. سعيد إسماعيل علي، ١٩٨٩.

٢٧ - فتح العرب لمصر جـ١،
تأليف : ألفريد ج. بتلر، ترجمة : محمد فريد أبو حديد، ١٩٨٩.

٢٨ - فتح العرب لمصر جـ٢،
تأليف : ألفريد ج. بتلر، ترجمة : محمد فريد أبو حديد، ١٩٨٩.

٢٩ - مصر في عهد الإخشيديين،
د. سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٨٩.

٣٠ - الموظفون في مصر في عهد محمد علي،
د. حلمي أحمد شلبي، ١٩٨٠.

٣١ - خمسون شخصية مصرية وشخصية،
ذكرى القاضي، ١٩٨٩.

٣٢ - هؤلاء الرجال من مصر جـ٢،
لمعي المطيعي، ١٩٨٩.

٣٣ - مصر والقضايا الجنوب الأفريقي: نظرة على الأوضاع الراهنة ورؤية مستقبلية،
د. خالد محمود الكومي، ١٩٨٩.

٣٤ - تاريخ العلاقات المصرية المغربية، منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام ١٩١٢،
د. يونان لبيب رزق، محمد مزين، ١٩٩٠.

٣٥ - أعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة،
عبدالحميد توفيق زكي، ١٩٩٠.

٣٦ - المجتمع الإسلامي والغرب جـ٢،
تأليف : هاملتون بووين، ترجمة : د. أحمد عبدالرحيم مصطفى، ١٩٩٠.

٣٧ - الشيخ علي يوسف وجريدة المؤيد: تاريخ الحركة الوطنية في ربع قرن،
تأليف : د. سليمان صالح، ١٩٩٠.

٣٨ - فصول من تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر العثماني،
د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، ١٩٩٠.

٣٩ - قصة احتلال محمد علي لليونان (١٨٢٤-١٨٢٧)،
د. جميل عبيد، ١٩٩٠.

٤٠ - الأسلحة الفاسدة ودورها في حرب فلسطين ١٩٤٨،
د. عبدالمنعم الدسوقي الجميعي، ١٩٩٠.

٤١ - محمد فريد؛ الموقف والمأساة، رؤية عصرية،
د. رفعت السعيد، ١٩٩١.

٤٢ - تكوين مصر عبر العصور،
محمد شفيق غربال، ط٢، ١٩٩٠.

٤٣ - رحلة في عقول مصرية،
إبراهيم عبدالعزيز، ١٩٩٠.

٤٤ - الأوقاف والحياة الاقتصادية في مصر في العصر العثماني،
د. محمد عفيفي، ١٩٩١.

٤٥ - الحروب الصليبية جـ١،
تأليف : وليم الصوري، ترجمة وتقديم: د. حسن حبشي، ١٩٩١.

٤٦ - تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية (١٩٣٩ : ١٩٥٧)،
ترجمة: د. عبدالرؤوف أحمد عمرو، ١٩٩١.

٤٧ـ تاريخ القضاء المصرى الحديث،
د. لطيفة محمد سالم، ١٩٩١.
٤٨ ـ الفلاح المصرى بين العصر القبطى والعصر الإسلامى،
د. زبيدة عطا، ١٩٩١.
٤٩ ـ العلاقات المصرية الإسرائيلية (١٩٤٨ـ١٩٧٩)،
د. عبد العظيم رمضان، ١٩٩٢.
٥٠ ـ الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ـ١٩٥٤)،
د. سهير إسكندر، ١٩٩٣.
٥١ـ تاريخ المدارس فى مصر الإسلامية،
(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة، فى إبريل ١٩٩١)،
أعدها للنشر: د. عبد العظيم رمضان، ١٩٩٢.
٥٢ ـ مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين فى القرن الثامن عشر،
د. إلهام محمد على ذهنى، ١٩٩٢.
٥٣ ـ أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة،
د. محمد كمال الدين عز الدين على، ١٩٩٢.
٥٤ـ الأقباط فى مصر فى العصر العثمانى،
د. محمد عفيفى، ١٩٩٢
٥٥ـ الحروب الصليبية جـ٢،
تأليف: وليم الصورى ترجمة وتعليق: د. حسن حبشى، ١٩٩٢.
٥٦ ـ المجتمع الريفى فى عصر محمد على: دراسة عن إقليم المنوفية،
د. حلمى أحمد شلبى، ١٩٩٢.
٥٧ ـ مصر الإسلامية وأهل الذمة،
د. سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٩٢.
٥٨ـ أحمد حلمى سجين الحرية والصحافة
د. إبراهيم عبدالله المسلمى، ١٩٩٣.
٥٩ـ الرأسمالية الصناعية فى مصر، من التمصير إلى التأميم (١٩٥٧ـ١٩٦١)،
د. عبد السلام عبدالحليم عامر، ١٩٩٣.
٦٠ـ المعاصرون من رواد الموسيقى العربية،
عبد الحميد توفيق زكى، ١٩٩٣.
٦١ ـ تاريخ الاسكندرية فى العصر الحديث،
د. عبد العظيم رمضان، ١٩٩٣.
٦٢ ـ هؤلاء الرجال من مصر جـ٣،
لمعى المطيعى، ١٩٩٣.
٦٣ ـ موسوعة تاريخ مصر عبر العصور: تاريخ مصر الإسلامية،
تأليف: د. سيدة إسماعيل كاشف، جمال الدين سرور، وسعيد عبدالفتاح عاشور، أعدها للنشر د. عبدالعظيم رمضان، ١٩٩٣.
٦٤ ـ مصر وحقوق الإنسان، بين الحقيقة والإفتراء: دراسة وثائقية،
د. محمد نعمان جلال، ١٩٩٣.
٦٥ ـ موقف الصحافة المصرية من الصهيونية (١٨٩٧ـ١٩١٧)،
د. سهام نصار، ١٩٩٣.
٦٦ ـ المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى،
د. نريمان عبد الكريم أحمد، ١٩٩٣.
٦٧ ـ مساعى السلام العربية الإسرائيلية: الأصول التاريخية،
(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة، بالإشتراك مع قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس، فى إبريل ١٩٩٣)، أعدها للنشر د. عبدالعظيم رمضان، ١٩٩٣.
٦٨ـ الحروب الصليبية جـ٣،
تأليف: وليم الصورى
ترجمة وتعليق: د. حسن حبشى، ١٩٩٣.
٦٩ ـ نبوية موسى ودورها فى الحياة المصرية (١٨٨٦ـ١٩٥١)،
د. محمد أبو الإسعاد، ١٩٩٤

٧٠- أهل الذمة في الإسلام،
تأليف: أ. س. ترتون
ترجمة وتعليق: د. حسن حبشي، ط ٢، ١٩٩٤.
٧١- مذكرات اللورد كلرن (١٩٣٤-١٩٤٦)،
إعداد: تريفور إيفانز، ترجمة: د. عبد الرؤوف أحمد عمرو، ١٩٩٤.
٧٢- رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية في العصر الفاطمي (٣٥٨-٥٦٧هـ)،
د. أمينة أحمد إمام، ١٩٩٤.
٧٣- تاريخ جامعة القاهرة،
د. رؤوف عباس حامد، ١٩٩٤.
٧٤- تاريخ الطب والصيدلة المصرية، جـ١، في العصر الفرعوني،
د. سمير يحيى الجمال، ١٩٩٤.
٧٥- أهل الذمة في مصر، في العصر الفاطمي الأول،
د. سلام شافعي محمود، ١٩٩٥.
٧٦- دور التعليم المصري في النضال الوطني (زمن الاحتلال البريطاني)،
د. سعيد إسماعيل علي، ١٩٩٥.
٧٧- الحروب الصليبية جـ٤،
تأليف: وليم الصوري، ترجمة وتعليق: د. حسن حبشي، ١٩٩٥.
٧٨- تاريخ الصحافة الإسكندرية (١٨٧٣-١٨٩٩)،
نعمات أحمد عثمان، ١٩٩٥.
٧٩- تاريخ الطرق الصوفية في مصر في القرن التاسع عشر،
تأليف: فريد دي يونج، ترجمة: عبد الحميد فهمي الجمال، ١٩٩٥.
٨٠- قناة السويس والتنافس الاستعماري الأوربي (١٨٨٢-١٩١٤)،
د. السيد حسين جلال، ١٩٩٥.
٨١- تاريخ السياسة والصحافة المصرية من هزيمة يونيو إلى نصر أكتوبر،
د. رمزي ميخائيل، ١٩٩٥.
٨٢- مصر في فجر الإسلام، من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية،
د. سيدة إسماعيل كاشف، ط ٢، ١٩٩٤.
٨٣- مذكراتي في نصف قرن جـ١،
أحمد شفيق باشا، ط ٢، ١٩٩٤.
٨٤- مذكراتي في نصف قرن جـ٢ - القسم الأول،
أحمد شفيق باشا، ط ٢، ١٩٩٥.
٨٥- تاريخ الإذاعة المصرية: دراسة تاريخية (١٩٣٤ - ١٩٥٢)،
د. حلمي أحمد شلبي، ١٩٩٥.
٨٦- تاريخ التجارة المصرية في عصر الحرية الاقتصادية (١٨٤٠ - ١٩١٤)،
د. أحمد الشربيني، ١٩٩٥.
٨٧- مذكرات اللورد كلرن، جـ ٢، (١٩٣٤ - ١٩٤٦)،
إعداد: تريفور إيفانز، ترجمة وتحقيق: د. عبدالرؤوف أحمد عمرو، ١٩٩٥.
٨٨- التذوق الموسيقي وتاريخ الموسيقى المصرية،
عبدالحميد توفيق زكي، ١٩٩٥.
٨٩- تاريخ الموانئ المصرية في العصر العثماني،
د. عبدالحميد حامد سليمان، ١٩٩٥.
٩٠- معاملة غير المسلمين في الدولة الإسلامية،
د. نريمان عبدالكريم أحمد، ١٩٩٦.
٩١- تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط،
تأليف: بيتر مانسفيلد، ترجمة: عبدالحميد فهمي الجمال، ١٩٩٦.
٩٢- الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ - ١٩٣٦)،
جـ ٢، د. نجوى كامل، ١٩٩٦.

٩٣ - قضايا عربية فى البرلمان المصرى (١٩٢٤ - ١٩٥٨)،
د. نبيه بيومى عبدالله، ١٩٩٦.
٩٤ - الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ - ١٩٥٤)،
د. سهير إسكندر، ١٩٩٦.
٩٥ - مصر وأفريقيا الجذور التاريخية للمشكلات الأفريقية المعاصرة (أعمال ندوة لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة)،
إعداد أ. د. عبد العظيم رمضان
٩٦ - عبدالناصر والحرب العربية الباردة (١٩٥٨ - ١٩٧٠)،
تأليف: مالكولم كير، ترجمة د. عبدالرؤوف أحمد عمرو.
٩٧ - العربان ودورهم فى المجتمع المصرى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر،
د. إيمان محمد عبد المنعم عامر.
٩٨ - هيكل والسياسة الأسبوعية،
د. محمد سيد محمد.
٩٩ - تاريخ الطب والصيدلة المصرية (العصر اليونانى - الرومانى) جـ ٢،
د. سمير يحيى الجمال
١٠٠ - موسوعة تاريخ مصر عبر العصور: تاريخ مصر القديمة،
أ. د. عبد العزيز صالح، أ. د. جمال مختار، أ. د. محمد ابراهيم بكر، أ.د. ابراهيم نصحى، أ. د. فاروق القاضى، أعدها للنشر: أ. د. عبدالعظيم رمضان
١٠١ - ثورة يوليو والحقيقة الغائبة،
اللواء/ مصطفى عبدالمجيد نصير، اللواء/ عبدالحميد كفافى،
اللواء/ سعد عبدالحفيظ، السفير/ جمال منصور
١٠٢ - المقطم جريدة الاحتلال البريطانى فى مصر ١٨٨٩ - ١٩٥٢
د. تيسير أبو عرجة
١٠٣ - رؤية الجبرتى لبعض قضايا عصره
د. على بركات
١٠٤ - تاريخ العمال الزراعيين فى مصر (١٩١٤ - ١٩٥٢)
د. فاطمة علم الدين عبد الواحد
١٠٥ - السلطة السياسية فى مصر وقضية الديموقراطية ١٨٠٥ - ١٩٨٧.
د. أحمد فارس عبدالمنعم
١٠٦ - الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد (تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن).
د. سليمان صالح
١٠٧ - الأصولية الإسلامية.
تأليف: دليب هيرو، ترجمة: عبدالحميد فهمى الجمال.
١٠٨ - مصر للمصريين جـ ٤.
سليم النقاش
١٠٩ - مصر للمصريين جـ ٥.
سليم النقاش
١١٠ - مصادرة الأملاك فى الدولة الإسلامية (عصر سلاطين المماليك) جـ ١.
د. البيومى اسماعيل الشربينى.
١١١ - مصادرة الأملاك فى الدولة الإسلامية (عصر سلاطين المماليك) جـ ٢.
د. البيومى إسماعيل الشربينى.
١١٢ - إسماعيل باشا صدقى
د. محمد محمد الجوادى.
١١٣ - الزبير باشا ودوره فى السودان (فى عصر الحكم المصرى)
د. عز الدين إسماعيل.
١١٤ - دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى
تأليف أحمد رشدى صالح

١١٥ ـ مذكراتى فى نصف قرن جـ ٣ .
أحمد شفيق باشا.
١١٦ ـ أديب اسحق (عاشق الحرية)
علاء الدين وحيد
١١٧ ـ تاريخ القضاء فى مصر العثمانية
(١٥١٧ ـ ١٧٩٨)
عبد الرازق إبراهيم عيسى
١١٨ ـ النظم المالية فى مصر والشام
د. البيومى اسماعيل الشربينى
١١٩ ـ النقابات فى مصر الرومانية
حسين محمد أحمد يوسف
١٢٠ ـ يوميات من التاريخ المصرى الحديث
لويس جرجس
١٢١ ـ الجلاء ووحدة وادى النيل (١٩٤٥ ـ ١٩٥٤)
د. محمد عبد الحميد الحناوى
١٢٢ ـ مصر للمصريين جـ٦
سليم خليل النقاش
١٢٣ ـ السيد أحمد البدوى
د. سعيد عبد الفتاح عاشور
١٢٤ ـ العلاقات المصرية الباكستانية فى نصف قرن
د. محمد نعمان جلال
١٢٥ ـ مصر للمصريين جـ٧
سليم خليل النقاش
١٢٦ ـ مصر للمصريين جـ ٨
سليم خليل النقاش
١٢٧ ـ مقدمات الوحدة المصرية السورية (١٩٤٣ ـ ١٩٥٨).
إبراهيم محمد محمد إبراهيم .
١٢٨ ـ معارك صحفية.
بقلم/ جمال بدوى.
١٢٩ ـ الدين العام (وأثره فى تطور الدين المصرى) (١٨٧٦-١٩٤٣).
د. يحيى محمد محمود

١٣٠ ـ تاريخ نقابات الفنانين فى مصر (١٩٨٧-١٩٩٧).
سمير فريد.
١٣١ ـ الولايات المتحدة وثورة يولية ١٩٥٢م.
ترجمة/ د. عبدالرءوف أحمد عمر.
١٣٢ ـ دار المندوب السامى فى مصر جـ١ .
د. ماجدة محمد حمود.
١٣٣ ـ دار المندوب السامى فى مصر جـ٢
د. ماجدة محمد حمود.
١٣٤ ـ الحملة الفرنسية على مصر فى ضوء مخطوط عثمانى للدارندلى.
بقلم/ عزت حسن أفندى الدارندلى
ترجمة/ جمال سعيد عبد الغنى.
١٣٥ ـ اليهود فى مصر المملوكية
(فى ضوء وثائق الجنيزة)
(٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م) د. محاسن محمد الوقاد
١٣٦ ـ أوراق يوسف صديق
تقديم/ أ. د. عبد العظيم رمضان
١٣٧ ـ تجار التوابل فى مصر فى العصر المملوكى
د. محمد عبد الغنى الأشقر
١٣٨ ـ الإخوان المسلمون وجذور التطرف الدينى والإرهاب فى مصر
السيد يوسف
١٣٩ ـ موسوعة الغناء المصرى فى القرن العشرين
بقلم محمد قابيل
١٤٠ ـ سياسة مصر فى البحر الأحمر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ١٢٢٦ ـ ١٢٦٥هـ / ١٨١١ ـ ١٨٤٨م.
طارق عبد العاطى غنيم بيومى
١٤١ ـ وسائل الترفيه فى عصر سلاطين المماليك.
لطفى أحمد نصار
١٤٢ ـ مذكراتى فى نصف قرن جـ٣
أحمد شفيق باشا ط٢، ١٩٩٩ .

١٤٣ ـ دبلوماسية البطالمة فى القرنين الثانى والأول ق . م
د. منيرة محمد الهمشرى
١٤٤ ـ كشوف مصر الافريقية فى عهد الخديوى اسماعيل
د. عبدالعليم خلاف
١٤٥ ـ النظام الادارى والاقتصادى فى مصر فى عهد دقلديانوس (٢٨٤ ـ ٣٠٥م)
د. منيرة محمد الهمشرى
١٤٦ ـ المرأة فى مصر المملوكية
د. أحمد عبدالرازق
١٤٧ حسن البنا متى.. كيف.. ولماذا؟
د. رفعت السعيد
١٤٨ ـ القديس مرقس وتأسيس كنيسة الاسكندرية
تأليف / د. سمير فوزى
ترجمة / نسيم مجلى
١٤٩ ـ العلاقات المصرية الحجازية فى القرن الثامن عشر
حسام محمد عبد المعطى
١٥٠ ـ تاريخ الموسيقى المصرية (أصولها وتطورها)
د. سمير يحيى الجمال
١٥١ ـ جمال الدين الأفغاني والثورة الشاملة
السيد يوسف
١٥٢ ـ الطبقات الشعبية فى القاهرة المملوكية (٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م)
د. محاسن محمد الوقاد
١٥٣ ـ الحروب الصليبية (المقدمات السياسية)
د. علية عبد السميع الجنزورى
١٥٤ ـ هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر الإسلامية فى العصور الوسطى
د. علية عبد السميع الجنزورى
١٥٥ ـ عصر محمد على ونهضة مصر فى القرن التاسع عشر (١٨٠٥ ـ ١٨٨٢م)
د. عبد الحميد البطريق
١٥٦ ـ تاريخ الطب والصيدلة المصرية الجزء الثالث فى العصر الإسلامى
د. سمير يحيى الجمال
١٥٧ ـ تاريخ الطب والصيدلة المصرية الجزء الرابع فى العصر الإسلامى والحديث
د. سمير يحيى الجمال
١٥٨ ـ نائب السلطنة المملوكية فى مصر (٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م)
د. محمد عبد الغنى الأشقر
١٥٩ ـ حزب الوفد (١٩٣٦ ـ ١٩٥٢) الجزء الأول
د. محمد فريد حشيش
١٦٠ ـ حزب الوفد (١٩٣٦ ـ ١٩٥٢) الجزء الثانى
د. محمد فريد حشيش
١٦١ ـ السيف والنار فى السودان
تأليف / سلاطين باشا
١٦٢ ـ السياسة المصرية تجاه السودان (١٩٣٦ ـ ١٩٥٣م)
د. تمام همام تمام
١٦٣ ـ مصر والحملة الفرنسية
المستشار/ محمد سعيد العشماوى
١٦٤ ـ الجذور المصرية السودانية عبر التاريخ (أعمال ندوة لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة) بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة ٢٠ ـ ٢١ ديسمبر ١٩٩٧م.
إعداد / د. عبدالعظيم رمضان
١٦٥ ـ التعليم والتغير الاجتماعى فى مصر (فى القرن التاسع عشر)
سامى سليمان محمد السهم

١٦٦ـ مذكرات محقق سياسي (صفحة من تاريخ مصر)
السيد يوسف

١٦٧ـ الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط منذ الفتح العربي إلى نهاية الدولة الأخشيدية
د. صفي علي محمد عبدالله

١٦٨ـ مؤرخون مصريون من عصر الموسوعات
يسري عبد الغني

١٦٩ـ مدن مصر الصناعية في العصر الإسلامي إلى نهاية عصر الفاطميين (٢١ ـ ٥٦٧هـ / ٦٤٢ ـ ١١٧١م)
د. صفي علي محمد عبد الله

١٧٠ـ القرية المصرية في عصر سلاطين المماليك (٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م)
مجدي عبد الرشيد بحر

١٧١ـ تاريخ الجالية الأرمنية في مصر القرن التاسع عشر
تأليف / محمد رفعت

١٧٢ـ تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية
(من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي)
الجزء الأول
تأليف / فاطمة مصطفى عامر

١٧٣ـ تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية
(من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي)
الجزء الثاني
تأليف / فاطمة مصطفى عامر

١٧٤ـ مصر وليبيا فيما بين القرن السابع والقرن الرابع ق.م
د. أحمد عبد الحليم دراز

١٧٥ـ محمد توفيق نسيم باشا ودوره في الحياة السياسية
عادل إبراهيم الطويل

١٧٦ ـ الملاحة النيلية في مصر العثمانية ١٥١٧ ـ ١٧٩٨م
د. عبدالحميد حامد سليمان

١٧٧ ـ سياسة مصر العسكرية
ازاء حروب الشرق الأوسط
لواء دكتور/ صلاح سالم

١٧٨ ـ العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشام الكبرى في القرن الثامن عشر
د. سحر علي حنفي

١٧٩ ـ دور الحامية العثمانية في تاريخ مصر (١٥٦٤ ـ ١٦٠٩ م)
د. عفاف مسعد السيد العبد

١٨٠ ـ الحقيقة التاريخية حول قرار تأميم شركة قناة السويس
بقلم / د. عبدالعظيم رمضان

١٨١ ـ الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد جـ١)
ترجمة وتحقيق وتعليق / أ. د. حسن حبشي

١٨٢ ـ الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد جـ٢)
ترجمة وتحقيق وتعليق / أ. د. حسن حبشي

١٨٣ ـ شاهد على العصر
مذكرات محمد لطفي جمعة

١٨٤ ـ الصوفية في القرن الثامن عشر
ياسر عبد المنعم محاريق

١٨٥ ـ تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصري
د. أحمد أحمد سيد أحمد

١٨٦ ـ العقائد الدينية فى مصر الاسلامية (بين الاسلام والتصوف)

د. أحمد صبحى منصور

١٨٧ ـ نيابة حلب فى عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠ ـ ١٥١٧ م/ ٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ) جـ ١

د. عادل عبد الحافظ حمزة

١٨٨ ـ نيابة حلب فى عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠ ـ ١٥١٧ م/ ٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ) جـ ٢

د. عادل عبد الحافظ حمزة

١٨٩ ـ يهود مصر منذ عصر الفراعنة حتى عام ٢٠٠٠ م

عرفه عبده على

١٩٠ ـ العلاقات السياسية بين مصر والعراق (١٩٥١ ـ ١٩٦٣م)

د. عبد الحميد عبد الجليل أحمد شلبى

١٩١ ـ اليهود فى مصر العثمانية حتى أوائل القرن التاسع عشر جـ ١

د. محسن على شومان .

١٩٢ ـ اليهود فى مصر العثمانية حتى أوائل القرن التاسع عشر جـ٢

د. محسن على شومان .

١٩٣ ـ الإمام محمد عبده (بين المنهج الدينى والمنهج الاجتماعى)

د. عبد الله شحاته

١٩٤ ـ تاريخ الآلات الموسيقية الشعبية المصرية

د. فتحى الصنفاوى

١٩٥ ـ مجتمع الريفيا فى عصر الولاة

د. نريمان عبد الكريم أحمد

١٩٦ ـ تاريخ تطور الرى فى مصر (١٨٨٢ ـ ١٩١٤ م)

عبد العظيم محمد سعودى

١٩٧ ـ القدس الخالدة

د. عبد الحميد زايد

١٩٨ ـ العلاقات السياسية بين الدولة الأيوبية والامبراطورية الرومانية المقدسة زمن الحروب الصليبية

د. عادل عبد الحافظ حمزة

١٩٩ ـ المعبد في الدولة الحديثة
في مصر الفرعونية
د· بهاء الدين ابراهيم
محمود

٢٠٠ ـ تاريخ سواحل مصر الشمالية
عبر العصور
(أعمال الندوة التي أقامتها
لجنة التاريخ والآثار بالمجلس
الأعلى للثقافة ، بالاشتراك
مع كلية الآداب ـ جامعة
الاسكندرية من ٢٢ ـ ٢٣
أبريل ١٩٩٨) ·
اعداد : د· عبد العظيم
رمضان

٢٠١ ـ امارة الحج في مصر
العثمانية
(٩٢٣ـ١٢١٣هـ / ١٥١٧ـ
١٧٩٨م)
سميرة فهمي علي عمر

٢٠٢ ـ المندوبون الساميون في مصر
د· ماجدة محمد حمود

٢٠٣ ـ الصراع الدولي على عدن
والدور المصري
فتحي أبو طالب

٢٠٤ ـ العلاقات الاقتصادية بين مصر
وبريطانيا
(١٩٣٥ ـ ١٩٤٥م)
مرفت منبحي غالي

٢٠٥ ـ تاريخ المغربية وأعمالها في
العصر الاسلامي
(٢١ ـ ٥٦٧هـ / ٦٤٢ ـ
١١٧١م)
السيد محمد أحمد عطا

٢٠٦ ـ مصر للمصريين ج ٩
سليم خليل النقاش

٢٠٧ ـ الظاهر بيبرس
د· سعيد عبد الفتاح عاشور

٢٠٨ ـ الدور المصري والعربي في
حربتحرير الكويت ج ١
لواء / د· كمال أحمد عامر

٢٠٩ ـ الدور المصري والعربي في
حرب تحرير الكويت ج ٢
لواء / د· كمال أحمد عامر

٢١٠ ـ قبرص والحروب الصليبية
د· سعيد عبد الفتاح عاشور

٢١١ ـ امارة الرها الصليبية
د· علية عبد السميع
الجنزوري

٢١٢ ـ العامة في مصر في العصر
الأيوبي
(٥٦٧ ـ ٦٤٨هـ / ١١٧١ ـ
١٢٥٠م)
شلبي ابراهيم الجعيدي

٢١٣ ـ الأزمات الاقتصادية فى مصر فى العصر المملوكى وأثرها السياسى والاقتصادى والاجتماعى (٦٤٨ هـ ـ ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ـ١٥١٧م)
عثمان على محمد عطا

٢١٤ ـ الثغور البرية الاسلامية على حدود الدولة البيزنطية فى العصور الوسطى
د٠ علية عبد السميع الجنزورى

٢١٥ ـ الفتح الاسلامى لمدينة كابول (٣١هـ / ٦٥١ م)
د٠ اصلاح عبد الحميد ريحان

٢١٦ ـ الرأسمالية الأجنبية فى مصر (١٩٣٧ ـ ١٩٥٧)
الجزء الأول
د٠ كرفلى تسن هريدى

٢١٧ ـ العيب فى الذات الملكية (١٨٨٢ ـ ١٩٥٢)
د٠ سيد عشماوى

٢١٨ ـ اقليم الغربية فى عصر الايوبيين والمماليك (٥٦٧ ـ ٩٢٣ هـ/١١٧١ ـ ١٥١٧ م)
د٠ السيد محمد أحمد عطا

٢١٩ ـ ثورة ١٩١٩ فى ضوء مذكرات سعد زغلول (١٩٥٣ ـ ١٩٦١) ٠
د٠ عبد العظيم رمضان

٢٢٠ ـ التنظيمات السياسية لثورة يوليو
د٠ حمادة حسنى أحمد محمد

٢٢١ ـ درب النهر
ونستون تشرشل ٠ ترجمة عز الدين محمود

٢٢٢ ـ مصر الخالدة (مقدمة فى تاريخ مصر الفرعونية منذ اقدم العصور حتى عام ٣٣٢ ق٠م الجزء الاول
د٠ عبد الحميد زايد

٢٢٣ ـ مصر الخالدة (مقدمة فى فى تاريخ مصر الفرعونية منذ اقدم العصور حتى عام ٣٣٢ ق٠م ، ج ٢
د٠ عبد الحميد زايد

٢٢٤ ـ الدور الوطنى للكنيسة المصرية عبر العصور
(أعمال ندوة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة)
اعداد وتقديم أ٠د٠ عبد العظيم رمضان

٢٢٥ ـ مصر ودول حوض النيل

د. سيد محمد موسى حمد

٢٢٦ ـ السخرة فى حفر قناة السويس

د. عبد العزيز محمد الشناوى

٢٢٧ ـ العلاقات المصرية العثمانية على عهد الاحتلال البريطانى (١٨٨٢ ـ ١٩١٤)

د. أمل محمد فهمى

٢٢٨ ـ تاريخ العالم الاسلامى ، الجزء الأول

د. حسن حبشى

٢٢٩ ـ ذيل وليم الصورى

ترجمة د. حسن حبشى

٢٣٠ ـ تاريخ الجيش المصرى فى عصور ما قبل التاريخ

د. عز الدين اسماعيل احمد

٢٣١ ـ الشوام فى مصر منذ الفتح العثمانى حتى اوائل القرن ١٩

د. سمير عبد المقصود السيد

٢٣٢ ـ الراسمالية الاجنبية فى مصر ج ٢

فرعلى على تسن هريدى

٢٣٣ ـ الفيلم التاريخى فى مصر

محمود قاسم

٢٣٤ ـ العلاقات المصرية الاثيوبية ج١

د. أنتونى سوريال عبد السيد

٢٣٥ ـ العلاقات المصرية الاثيوبية ج٢

د. انتونى سوريال عبد السيد

٢٣٦ ـ مصر وفلسطين فيما بين القرنين الحادى عشر والثامن ق.م.

د. أحمد محمد عبد الحليم دراز

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٢٠٠٣/٥٤٦٠

ISBN — 977 — 01 — 8446 — 2

هذا الكتاب «مصر وفلسطين فيما بين القرنين الحادى عشر والثامن ق.م» للدكتور أحمد عبد الحليم دراز هو فى الأصل رسالة علمية حصل بها صاحبها على درجة الماجستير فى التاريخ القديم، وبالتالى تتوافر فيه الشروط العلمية التى تجعل منه دراسة تاريخية جديرة بالقراءة.

ويتناول الأحوال الداخلية والخارجية لمصر، وقيام الأسرة الحادية والعشرين، والثانية والعشرين، والخامسة والعشرين. كما تعرض لعلاقة مصر وإسرائيل وزواج سليمان من أميرة مصرية، وتناول الغزو المصرى لفلسطين، وتناول أيضاً أحوال مصر وفلسطين فى ظل السيادة الأشورية، والتأثيرات الحضارية المتبادلة بين مصر وفلسطين.

٤٢٥ قرشاً
مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب